



الجمهورية التركية
جامعة يالوفا
معهد الدراسات العليا

قسم العلوم الإسلامية الأساسية

الحركة الأدبية في بغداد في القرن التاسع عشر
مقامات الألوسي نموذجاً

أطروحة الدكتوراه

عدنان خلف مطلق

المشرف: د. شعلة أغاج

يالوفا
كانون الثاني 2025



الجمهورية التركية
جامعة يالوفا
معهد الدراسات العليا

قسم العلوم الإسلامية الأساسية

الحركة الأدبية في بغداد في القرن التاسع عشر
مقامات الألوسي نموذجًا

أطروحة الدكتوراه

عدنان خلف مطلق
207323006

المشرف: د. شعلة أغاج

يالوفا
كانون الثاني 2025

التعهد بالالتزام بالقواعد الأخلاقية العلمية

أتعهد وأصرح بأني قد جهزت رسالتي هذه بعنوان: "الحركة الأدبية في بغداد في القرن التاسع عشر، مقامات الألوسي نموذجًا" وفقًا لقواعد كتابة الرسالة الخاصة بمعهد الدراسات العليا في جامعة يالوفا، وأني قد حصلت على البيانات والمعلومات والوثائق الموجودة فيها في إطار القواعد الأكاديمية والأخلاقية، وقد قدّمت جميع المعلومات والوثائق والتقييمات والنتائج وفقًا للقواعد العلمية والأخلاقيات التي أشرت إليها، وعزوت كل ما نقلته فيها إلى مصادره ومراجعته المستفاد منها خلال دراسة الرسالة، دون القيام بإجراء أي تغيير في البيانات المنقولة، وأصرّح بأنّ العمل الذي قدّمته في هذه الرسالة أصلي، وأتحمل كامل المسؤولية القانونية التي قد تنشأ في حالة ثبوت عكس ما صرحت به.

التوقيع

عدنان خلف مطلق

ETİK BEYAN

Yalova Üniversitesi Lisansüstü Eğitim Enstitüsü Tez Yazım Kuralları'na uygun olarak hazırladığım "On dokuzuncu yüzyılda Bağdat'ta edebî bir hareket -Makâmat al-Âlûsî Örneği" başlıklı bu tez çalışmada; tez içinde sunduğum verileri, bilgileri ve dokümanları akademik ve etik kurallar çerçevesinde elde ettiğimi, tüm bilgi, belge, değerlendirme ve sonuçları bilimsel etik ve ahlak kurallarına uygun olarak sunduğumu, tez çalışmada yararlandığım eserlerin tümüne uygun atıfta bulunarak kaynak gösterdiğimi, kullanılan verilerde herhangi bir değişiklik yapmadığımı, bu tezde sunduğum çalışmanın özgün olduğunu bildirir, aksinin tespiti halinde doğabilecek her türlü hukuki sorumluluğu kabul ettiğimi taahhüt ve beyan ederim.

İmza

Adnan KHALAF MUTTLAG MUTTLAG

الشكر والتقدير

الحمد لله أولاً وآخراً، وله الفضل والمنة جلّ وعلا، أن يسر لنا إتمام هذه الدراسة، راجين منه العفو عن أي زلل أو خطأ، وأن يكتب لنا أجرها وينفع بها.

كما أشكر جهود كل الأساتذة الذي أسهموا في إنجاز هذه الرسالة، بنصحهم وإرشادهم، ابتداءً من مشرفها الأول الأستاذ الدكتور أحمد فدائي أوغلو عليه سحائب رحمة الله ورضوانه، قبل أن تكمل المسيرة من بعدها الأساتذة الدكتور شعله آغاج، والتي تحملت عناء مراجعتها بالكامل، وكانت تستيقظ مبكراً ثلاثة أيام في الأسبوع لأكثر من شهرين لغرض المراجعة وإبداء النصح والتقويم، فبارك الله بها وبجهودها.

وأقدم بالشكر والامتنان إلى لجنة الإشراف المكونة من الأستاذ الدكتور عثمان سعيد أوغلو، والأستاذ الدكتور عبد الناصر سلطان محسن، لما أبدياه من نصح وإرشاد، لا سيما في الوصول إلى الصيغة المناسبة لعنوان الدراسة، والشكر موصول لسائر الأساتذة في لجنة المناقشة، فجزى الله الجميع خيراً ما يجازي أستاذاً عن تلميذه. ولا يفوتني أيضاً أن أبدي امتناني للسيدة ميرال الموظفة في قسم السوسيال في الجامعة، لتعاونها الكبير مع طلبة الجامعة.

وأشكر كذلك أفراد أسرتي الذي تحملوني خلال فترة الدراسة والكتابة وكانوا لي خير معين، أمي التي تحملت ألم بعدي عنها، وزوجتي التي ساندتي رغم مرضها ورقودها في المستشفى لأسابيع، وابنتي سمانور، وولدي أنس الذي أبصر النور وأنا أخط آخر كلمات هذه الرسالة.

كما أشكر جميع الأساتذة والأخوة والأصدقاء والزملاء الذين ساندونا بالنصيحة والتقويم والدعاء، ولا أريد أن أذكر اسماً حتى لا أنسى أحداً، فبارك الله بهم جميعاً، وفتح لهم أبواب فضله ورحمته.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلوات ربي وسلامه على حبيبنا وقرّة عيوننا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

كانون الثاني - 2025

عدنان خلف مطلق

فهرس المحتويات

1.....	التعهد بالالتزام بالقواعد الأخلاقية العلمية
2.....	الشكر والتقدير
3.....	فهرس المحتويات
7.....	الرموز والاختصارات
8.....	الملخص
9.....	ÖZET
10.....	ABSTRACT
11.....	المقدمة
15.....	الفصل التمهيدي: بغداد.. المدينة والتاريخ والأدب
16.....	المبحث الأول: تأسيس مدينة بغداد
16.....	المطلب الأول: بغداد.. الاسم والتأسيس
18.....	المطلب الثاني: بغداد عاصمة الخلافة
19.....	المبحث الثاني: واقع الأدب في بغداد منذ نشأتها إلى القرن التاسع عشر
19.....	المطلب الأول: الحركة الأدبية في بغداد العباسية
22.....	المطلب الثاني: الأدب ببغداد بعد انتهاء الدولة العباسية
27.....	الفصل الأول: عوامل نشوء الحركة الأدبية ببغداد في القرن التاسع عشر
28.....	المبحث الأول: الواقع السياسي ببغداد في القرن التاسع عشر وتأثيره في الحركة الأدبية
28.....	المطلب الأول: السلاطين العثمانيون
31.....	المطلب الثاني: إمارة داود باشا
34.....	المطلب الثالث: بغداد بعد انتهاء دولة المماليك
37.....	المبحث الثاني: العوامل الاجتماعية والثقافية وأثرها في الحركة الأدبية
37.....	المطلب الأول: الواقع الاجتماعي

42.....	المطلب الثاني: الواقع الثقافي
42.....	المقصد الأول: المدارس
44.....	المقصد الثاني: الجمعيات العلمية والأدبية
44.....	المقصد الثالث: المطابع
45.....	المقصد الرابع: المكتبات
46.....	المقصد الخامس: الصحف
51.....	الفصل الثاني: معالم الحركة الأدبية في بغداد وفنونها
52.....	المبحث الأول: الأسر والمجالس العلمية والأدبية في بغداد
53.....	المطلب الأول: الأسر العلمية والأدبية
54.....	المقصد الأول: الألوسيون
55.....	المقصد الثاني: السويديون
56.....	المقصد الثالث: بيت الحيدري
57.....	المطلب الثاني: مجالس بغداد الأدبية
58.....	المقصد الأول: مجلس نقباء الأشراف
59.....	المقصد الثاني: مجلس آل الواعظ
60.....	المقصد الثالث: مجلس آل الجميل
61.....	المبحث الثاني: حركة الشعر في بغداد بالقرن التاسع عشر
61.....	المطلب الأول: نهضة الشعر العربي
64.....	المطلب الثاني: حركة الشعر في العراق
69.....	المبحث الثالث: واقع النثر الأدبي
70.....	المطلب الأول: حركة النثر الأدبي العربي
71.....	المطلب الثاني: تطور النثر الأدبي في العراق
77.....	الفصل الثالث: أبو الثناء الألوسي، حياته ومكانته العلمية والأدبية

78.....	المبحث الأول: حياة الألوسي.....
78.....	المطلب الأول: اسمه ونسبه.....
79.....	المطلب الثاني: طلبه للعلم.....
80.....	المقصد الأول: أساتذته وشيوخه.....
81.....	المطلب الثالث: نبوغه وذيوع صيته.....
83.....	المقصد الأول: وفاته.....
84.....	المطلب الرابع: شخصيته.....
86.....	المبحث الثاني: مكانة الألوسي العلمية والأدبية.....
86.....	المطلب الأول: سيرته العلمية والأدبية.....
89.....	المطلب الثاني: شعر الألوسي.....
94.....	المطلب الثالث: قدرته الأدبية.....
97.....	المبحث الثالث: آثاره العلمية والأدبية.....
97.....	المطلب الأول: تفسير روح المعاني.....
100.....	المطلب الثاني: كتبه الأدبية.....
102.....	المطلب الثالث: مؤلفاته في العقيدة والفقه.....
105.....	الفصل الرابع: مقامات الألوسي.....
106.....	المبحث الأول: فن المقامات، المفهوم والنشأة والتطور.....
106.....	المطلب الأول: تعريف المقامة.....
106.....	المقصد الأول: المعنى اللغوي.....
108.....	المقصد الثاني: المعنى الاصطلاحي.....
110.....	المطلب الثاني: نشأة المقامة.....
113.....	المطلب الثالث: تطور فن المقامة.....
113.....	المقصد الأول: مقامات الزهاد والوعاظ.....

115.....	المبحث الثاني: خصائص المقامة وأغراضها وأهميتها
115.....	المطلب الأول: خصائص فن المقامة وأركانها
117.....	المطلب الثاني: أهداف المقامة وأغراضها
119.....	المطلب الثالث: أهمية المقامة وأثرها في الأدب العربي والآداب الأخرى
121.....	المبحث الثالث: مقامات ابن الألويسي
121.....	المطلب الأول: نظرة عامة على مقامات الألويسي
122.....	المقصد الأول: المقامة الأولى: إنباء الأبناء بأطيب الأنباء
122.....	المقصد الثاني: المقامة الثانية: الإعوال من الأخوال
123.....	المقصد الثالث: المقامة الثالثة: قطف الزهر من روض الصبر
123.....	المقصد الرابع: المقامة الرابعة: زجر المغرور عن رجز الغرور
124.....	المقصد الخامس: المقامة الخامسة: سجع القمرية في ربع العمرية
126.....	المطلب الثاني: الفرق بين المقامات القديمة ومقامات الألويسي
133.....	المطلب الثالث: فنون البديع والبيان في مقامات الألويسي
134.....	المقصد الأول: علم البديع في مقامات الألويسي
143.....	المقصد الثاني: علم البيان في مقامات الألويسي
151.....	الخاتمة
155.....	المصادر والمراجع
165.....	السيرة الذاتية

الرموز والاختصارات

الرموز

﴿ ﴾	: إشارة ما بين هذا القوسين آية
" "	: إشارة ما بين هذا القوسين منقول نصًا

الاختصارات

إلخ	: إلى آخره
ت.	: تاريخ الوفاة
ج.	: رقم الجزء
د.ت.	: دون تاريخ النشر
د.م.	: دون مكان النشر
د.ن.	: دون ناشر \ لا يوجد دار نشر
م	: ميلادي
هـ	: هجري

الحركة الأدبية في بغداد في القرن التاسع عشر مقامات الألوسي نموذجاً

الملخص

تتحدث الدراسة عن الحركة الأدبية في بغداد خلال القرن التاسع عشر الميلادي، وتسلط الضوء على معالم هذه الحركة ورموزها، والظروف السياسية والاجتماعية التي مهدت لها أو رافقت ظهورها.

وتستعرض الدراسة تاريخ بغداد الأدبي في القرن التاسع عشر والعوامل الثقافية التي ساعدت في انطلاق الحركة الأدبية، فضلاً عن العوائق التي واجهتها في بدايتها. كما تبرز الدراسة التحولات التي شهدتها الشعر والنثر، حيث ظهرت أساليب جديدة، وبدأ الكتاب والشعراء يركزون على دقة التعبير والمعاني العميقة، بدلاً من الاهتمام بالشكل، هذا فضلاً عن الزيادة الكبيرة في أعداد المشتغلين في الأدب، ممن كانت تضج بهم مجالس بغداد الأدبية والعلمية.

وتخلص الدراسة إلى أن فن المقامة برز في ذلك القرن كواحد من أهم الفنون الأدبية، حيث تعرج على تاريخ هذا الفن، وتطوره، منذ نشأته الأولى وصولاً إلى المقامات التي كتبها العلامة أبو النناء الألوسي، والتي مثلت نموذجاً للثراء اللغوي والبلاغي، والتطور الذي طرأ على النثر، لا سيما وأن كاتبها يعد رائد الحركة الأدبية ببغداد في تلك الحقبة. ويعرض البحث سيرة العلامة الألوسي وأثره في النهضة الأدبية، ما يعكس أهمية الدراسة في فهم الأدب العربي الحديث وأثره في الثقافة العربية، في بغداد على وجه الخصوص.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، الحركة الأدبية، المقامات، الألوسي، القرن التاسع عشر.

ON DOKUZUNCU YÜZYILDA BAĞDAT'TA EDEBÎ BİR HAREKET MAKÂMAT AL-ÂLÛSÎ ÖRNEĞİ

ÖZET

Bu çalışma, 19. Yüzyılda Bağdat'taki edebi hareketi ele alarak bu hareketin ana hatlarını, öne çıkan isimlerini ve ortaya çıkışını hazırlayan grupları, siyasi ve sosyal koşullarını, incelemektedir.

Ayrıca çalışmada 19. yüzyıl Bağdat'ın edebi tarihine, edebi hareketin başlatılmasına yardımcı olan kültürel faktörlere ve bu hareketin başlangıçta karşılaştığı engellere değinilmektedir.

Çalışmada, şiir ve nesir türlerinde yaşanan dönüşümler de ele alınmıştır. Çünkü bu dönemde yeni edebi tarzlar ortaya çıkmış, yazarlar ve şairler biçimden çok ifade ve derin anlamlara odaklanmaya başlamışlardı. Bunun yanı sıra çalışmada edebiyatla ilgilenenlerin sayısındaki büyük artış ve bu artışın Bağdat'ın edebi ve bilimsel meclislerini doldurmasına dikkat çekilmiştir.

Çalışma, o dönemin en önemli öne çıkan edebiyat türlerinden biri olan “makâmat” üzerine yoğunlaşarak bu edebiyat türünün tarihine ve gelişimine, ilk ortaya çıkışından itibaren, ünlü âlim Ebü's-Senâ Şihâbüddîn Mahmûd b. Abdillâhb. Mahmûd el-Hüseynî el-Âlûsî (ö.1270/1854)'nin yazdığı makâmata kadar uzanan bir incelemedir. Zira Âlûsî'nin yazdığı makâmat dil ve belagat zenginliği açısından bir örnek teşkil etmekte ve nesirde yaşanan gelişimi yansıtmaktadır. Yazar, o dönemde Bağdat'taki edebi hareketin öncüsü kabul edilmektedir. Araştırma, âlim el-Âlûsî'nin hayatını ve edebi uyanış üzerindeki etkisini sunmakta, bu da çalışmanın, modern Arap edebiyatını anlamada ve özellikle Bağdat'taki Arap kültürü üzerindeki etkisini kavramada önemini yansıtmaktadır.

Anahtar Kelimeler: Arapça, Edebi hareket, Makamat, Al-Alusi, On dokuzuncu yüzyıl.

THE LITERARY MOVEMENT IN BAGHDAD IN THE NINETEENTH CENTURY

AL-ALUSI'S MAQAMAT AS A MODEL

ABSTRACT

The study discusses the literary movement in Baghdad during the nineteenth century, highlighting the landmarks and symbols of this movement, as well as the political and social conditions that paved the way for or accompanied its emergence.

It reviews the literary history of Baghdad in the nineteenth century and the cultural factors that contributed to the launch of the literary movement, in addition to the obstacles it faced in its early stages. The study also emphasizes the transformations that occurred in poetry and prose, where new literary styles emerged, and writers and poets began to focus on precision of expression and deep meanings rather than on form. Additionally, there was a significant increase in the number of those engaged in literature, who filled the literary and scientific gatherings in Baghdad.

The study focuses on the art of maqama as one of the most prominent literary forms of that period, tracing its history and development from its inception to the maqamat written by the scholar Abu Thana Al-Alusi, which represented a model of linguistic and rhetorical richness, as well as the evolution that occurred in prose. Notably, the author is considered a pioneer of the literary movement in Baghdad during that era. The research presents the biography of Al-Alusi and his influence on the literary renaissance, reflecting the importance of this study in understanding modern Arabic literature and its impact on Arab culture, particularly in Baghdad.

Keywords: Arabic language, Literary Movement, Maqamat, Al-Alusi, The nineteenth century.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على المبعوث رحمة للعالمين وخاتماً للنبيين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

فإن مما امتن به الله سبحانه على الإنسان أن علمه الأسماء كلها، وفتق لسانه بما يعبر به عن الأشياء المحسوسة والأفكار المجردة، ثم امتن الله على أمة الإسلام بأن أنزل فيها خير كتبه وختم رسالته بلسان عربي مبين، وجعل العربية لغة أهل الجنة. فظلت هذه اللغة حية عبر قرون ببركة كلام الله تعالى، ثم حرص الأمة عليها لأنها لغة دينهم. وقد زادت عناية أهلها بها وبآدابها وفنونها، فمرت بمراحل من الازدهار، سادت بها الدنيا، تبعاً لسيادة أهلها، كما مرت بأيام صعبة عانت فيها العربية وعلومها وآدابها، وخير مثال على ذلك ما مرت به بغداد، التي كانت يوماً حاضرة الدنيا، قبل أن تدخل فيما يشبه السبات الطويل، حتى انجلى عنها ذلك، لتعود حركة الحياة إليها من جديد، وتستأنف بذلك حركتها العلمية والأدبية في القرن التاسع عشر الذي شهد بداية نهضة أدبية آتت أكلها وامتدت ظلالها الوارفة في العديد من البلاد العربية.

موضوع الدراسة وأهميتها

هذا البحث يسلط الضوء على الحركة الأدبية التي ولدت ونمت وترعرعت في بغداد في القرن التاسع عشر الميلادي، الموافق للقرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين. حيث يتحدث عن معالم تلك الحركة الأدبية ورموزها والعوامل التي أدت إلى انطلاقها، والعوائق التي واجهتها أول الأمر، وطبيعة الفنون التي ازدهرت فيها شعراً ونثراً. ثم يأخذ نموذجاً لامعاً لتلك النهضة، مثلاً واحداً من أساطين النهضة الأدبية والعلمية، وهو العلامة أبو الثناء الألوسي رحمه الله تعالى، ويستعرض واحداً من أهم مصنفاته الأدبية في تلك الفترة، وهي المقامات، هذا الفن الذي تفرد به الأدب العربي، ليعكس ثراء اللغة العربية وتميزها، كما يعكس قدرة من يكتبها وبراعته اللغوية، ونبوغه الأدبي.

وتأتي أهمية هذه الدراسة من أنها تؤرخ لمرحلة مهمة من تاريخ الأدب العربي، وخاصة في العراق ممثلاً بعاصمته بغداد التي كانت كغيرها من الحواضر العربية موطناً لحركة أدبية أثمرت في شعر العرب ونثرهم. كما تأتي أهمية الدراسة من تسليط الضوء على واحد من أهم الفنون الأدبية، وهو فن المقامة، عبر خمس مقامات كتبها أحد كبار العلماء والأدباء في ذلك العصر، مستعرضين الثراء اللغوي والبلاغي لهذه المقامات.

أسباب اختيار موضوع الدراسة

هناك عدة أسباب تقف وراء اختيار موضوع الدراسة، من عدة جوانب، أولها أهمية المرحلة الزمنية التي شهدت نشوء حركة أدبية مؤثرة، والثاني كونها تؤرشف لهذه المرحلة المهمة في واحدة من حواضر العالم العربي والإسلامي وهي بغداد. أما ثالث الأسباب، فإن الدراسة تسلط الضوء على سيرة واحد من كبار علماء وأدباء القرن التاسع عشر، وهو شهاب الدين الألوسي رحمه الله، وما سطره من مصنفات أدبية أبرزت قصة النهضة الأدبية، لا سيّما مقاماته الخمس التي تتناولها الدراسة بشيء من التفصيل.

إشكالية البحث

يحاول البحث أن يجيب على التساؤلات الآتية:

- 1- هل كانت هناك حركة أدبية في بغداد خلال القرن التاسع عشر، وماهي أبرز معالمها؟
- 2- ما هي العوامل السياسية والاجتماعية والثقافية التي مهدت لهذه النهضة؟
- 3- لماذا يُعد العلامة أبو الثناء الألوسي رائد الحركة الأدبية ببغداد في القرن التاسع عشر؟
- 4- لماذا أخذت الدراسة مقامات الألوسي كنموذج للحركة الأدبية؟

أهداف البحث

تتلخص أهداف البحث في النقاط الآتية:

- 1- تسليط الضوء على فترة مهمة من تاريخ الأدب العربي الحديث.
- 2- استعراض موجز لتاريخ بغداد، مع التركيز على ما مرت به المدينة في القرن التاسع من ظروف سياسية واجتماعية رافقت حركتها الأدبية.
- 3- تسليط الضوء على العوامل التي بثت الروح في حركة الأدب، من أسر ومجالس علمية وأدبية ومدارس ومطابع وصحافة...إلخ.
- 4- استعراض سيرة أحد أعلام النهضة العلمية والأدبية في بغداد المتمثلة بشخصية العلامة أبي الثناء الألوسي.
- 5- تسليط الضوء على فن المقامات، ونشأة هذا الفن وتطوره وأهميته في الأدب العربي، عبر نموذج مقامات الألوسي.

منهج الدراسة

تعتمد الدراسة المنهج الوصفي التاريخي في فصولها الثلاثة الأولى، أما في الفصل الثالث فيضاف إلى ذلك شيء من المنهج التحليلي في دراسة مقامات الألوسي.

الدراسات السابقة

كثيرة هي الدراسات التي تناولت سيرة العلامة أبي الثناء الألوسي، وجهوده العلمية والأدبية، نذكر

منها:

1- جهود الألوسي البلاغية من خلال كتابه روح المعاني، وهي أطروحة دكتوراه للطلاب (صالح إبراهيم مضوي محمد)، في جامعة أم درمان السودانية عام 2009 م.

2- منهج الشيخ الألوسي في تفسيره روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، وهي رسالة دكتوراه قدمها الطالب (عصام العبد زهد) في الجامعة الإسلامية بغزة/ فلسطين، سنة 2011 م.

3- ضوابط تعيين القرينة في مجاز القرآن عند الألوسي في تفسيره روح المعاني، وهي أطروحة دكتوراه قدمها الطالب (صادق سيمن) في الجامعة الأردنية سنة 2020 م.

4- أدب الرحلات في بغداد، أبو الثناء الألوسي أنموذجاً، وهي رسالة ماجستير قدمها الطالب (مصطفى عدنان صالح الحمداني) في جامعة يلوا التركية عام 2022 م.

كما وقعت يد الباحث على دراستين تناولتا موضوع المقامات الأدبية:

1- المقامات في العصرين المملوكي والعثماني، للطالبة (سحر ماهر أحمد عطوي)، رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية بغزة/ فلسطين، سنة 2014 م.

2- فن المقامات بين الهمداني والحريري، رسالة ماجستير للطالبة (دقيش هدى) في جامعة العربي بن مهيدي/ الجزائر، سنة 1435 هـ.

غير أن الباحث لم يقف على دراسة تحدثت عما شهدته بغداد من حركة أدبية في القرن التاسع عشر، لا سيما مع الاستشهاد عليها بأحد أبرز أعلامها، وواحد من أهم نتاجاته الأدبية وهي المقامات.

هيكلية البحث

تكونت الدراسة من تمهيد وأربعة فصول.

ففي التمهيد يعرج الباحث سريعاً على شيء من تاريخ بغداد وواقع الحركة الأدبية فيها، منذ تأسيسها وصولاً إلى العصر الذي شهد بداية الحركة الأدبية موضوع البحث، حيث يحصي أسماء المدينة وكيفية اختيار موقعها وبنائها، حتى أصبحت عاصمة الدنيا، ليعرج على أبرز معالم وأعلام حركتها الأدبية، قبل تسقط على يد هولاكو لتعيش قروناً صعبة وقاسية، إلى أن استعادت شيئاً من عافيتها ووجهها على العديد من الأصعدة، بما فيه الأدب.

أما الفصل الأول فقد خصصه للباحث للحديث عن عوامل نشوء الحركة الأدبية في بغداد والظروف السياسية والاجتماعية والثقافية التي تهيأت لها، وما مدى تأثير المدينة بالتغيرات التي بدأ العالم يشهدها حينذاك، على نحو تأثر جاراتها من المدن الكبرى.

وفي الفصل الثاني كان الحديث عن أبرز معالم الحركة الأدبية في بغداد من أسر ومجالس علمية، وكذلك التغيرات التي طرأت على بنية الشعر والنثر الأدبي في تلك المرحلة، في العالم العربي بشكل عام، وفي العراق بشكل خاص وبالقلب منه العاصمة بغداد.

أما الفصل الثالث فقد خُصص للحديث عن سيرة عن العلامة أبي الثناء الألوسي ودوره البارز في الحركة الأدبية ببغداد، عبر تدريسه ومجلسه العلمي ومحاضراته ومصنفاته التي تدل على غزارة علمه ومقدرته الأدبية العالية.

في حين جاء الفصل الرابع متحدثاً عن فن المقامات، مع سرد تاريخي لنشأة وتطور وأهمية هذا الفن، ثم الحديث عن مقامات الألوسي الخمس واستعراض أبرز مميزاتها، وما حوته من أساليب بلاغية.

الفصل التمهيدي: بغداد.. المدينة والتاريخ والأدب



قبل الشروع بالحديث عن الحركة الأدبية التي شهدتها مدينة بغداد في القرن التاسع عشر الميلادي، والذي تزامن مع القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، نخرج سريعاً على تاريخ مدينة بغداد وما مرت به، منذ تأسيسها في القرن الثاني الهجري، وما شهدته من تراث أدبي ضخم من أول نشأتها إلى دخول القرن التاسع عشر.

المبحث الأول: تأسيس مدينة بغداد

لكل مدينة في التاريخ قصة ومعالم، وبغداد معلم خاص ووجه مغاير، فقد جمعت على جانبيها العجائب والمتناقضات، بيد أنها ظلت تلك المدينة التي ارتبطت بوجدان العرب والمسلمين، بانها حاضرة الدنيا أيام بني العباس ومنبع العلوم والآداب والفنون، ومهد أعلام ورموز في شتى ميادين العلم والمعرفة.¹

المطلب الأول: بغداد.. الاسم والتأسيس

ولأن للمدينة تاريخ عريق وراسخ، فقد تعددت الأسماء التي أطلقت عليها، حتى عد بعضهم عشرين اسماً لها وهي: بغداد. وبغذاذ. وبغداد. وبغدان، وبغدين، ومغذان، ومغدان، وبغدام، ومغدام، وبغدان، وبهاد، والزوراء، ومدينة السلام، ودار السلام، وقبة الإسلام، وحاضرة العباسيين، ودار الخلافة، ودار الإمارة العباسية، وأم العراق، إلى غير هذه الأسماء ما يستغنى عن ذكرها.²

أما عن معنى اسمها الأول (بغداد)، فهناك العديد من التفسيرات لأصل الاسم ومعناه، منها ما ذكره ابن الكلبي من أن اسم بغداد جاء عن اللغة الفارسية؛ لأنه أهدي لكسرى خصي من المشرق، فأقطعه بغداد، وكان لهم صنم يعبدونه بالمشرق، يقال له: البغ، فقال: بغ داد. يقول: أعطاني الصنم. والفقهاء يكرهون هذا الاسم من أجل هذا، وسماها أبو جعفر مدينة السلام؛ لأن دجلة كان يقال لها: وادي السلام. وبعض الأعاجم يزعم: أن معنى بغداد بالعربية بستان رجل، فبغ بستان، وداد رجل.³

ويرى بعض الباحثين أن الاسم يعود لأصل كلداني، لا سيما وأن بعض الآثار المكتشفة في بغداد وأطرافها أثبتت أن المدينة تعود إلى زمن الكلدانيين، وكانت عامرة قبل الميلاد بنحو ألفي عام. وقد أيد ذلك الكتابة المنقوشة على الكثير من الأجر القديم الذي وجده الباحثون وقد كتب عليه بالخط المسماري اسمها "بل دو دو" وعلى بعضها "بغدادو" أو "بغدانو".⁴

1 لبنى علوش، **بغداد في الشعر العربي** (فلسطين: جامعة حيفا، وظيفة سيمنار، 2011)، 4.
2 أحمد بن مصطفى الدمشقي اللبائدي، **اللطائف في اللغة، معجم أسماء الأشياء** (القاهرة: دار الفضيلة، د.ت)، 209؛ وأبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2002)، 392/1.
3 الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، 346-366.
4 عليّ ظريف الأعظمي، **مختصر تاريخ بغداد القديم والحديث** (بغداد: مطبعة الفرات، 1926)، 3.

ومنها أن مفردة بغداد جاءت من الفعل بَعَدَدَ أو تبغدد بمعنى زها وتكبر وتبخر، وتبغدد في المشي: تبخر وتغطرس في مشيه، والكلمة مشتقة من اسم بغداد. بَعْدَدَة: تكلف، تحذلق، تصنع.⁵

أما عن سبب تسميتها بالزوراء، فقد قيل إنه لازورار أبوابها بعضها عن بعض، وقيل سميت بذلك لانحراف دجلة عندها.⁶

وبصرف النظر عن كثرة أسمائها والاختلاف في دوافع تلك التسميات، فقد ظلت بغداد مدينة ألف ليلة وليلة، يستحضر اسمها السحري في ذهن صورة مدهشة، ويرسم خيال الإنسان منظرها الرائع وألق عمرانها، تبرز من خلاله الباب الذهبية الصقيلة لكثير من المساجد، فتتألق كخيوط من أحجار كريمة ملونة، وتشتمخ منائرهما في قلب السماء الزرقاء، في وقت تزدهم فيه الشوارع والأسواق بحشد مندفع طلق الأسارير لتجار الأقاليم وأثرياء الشرق.⁷

وما لبثت بغداد أن صارت أهم مدينة في العالم العربي والإسلامي، إذ بنيت بها مئات المساجد وعشرات القصور الفخمة، وتكاثر بها التجار والصناع، وكان لكل طائفة منهم شارع خاص أو سوق خاصة، فهذا سوق العطارين وذاك سوق البزازين، وهذا سوق الصيارفة وذاك سوق الورّاقين، وهذا سوق بائعي الحلوى، وأمّا الأدباء والعلماء من كل صنف ولون، فزخرت بالحياة.⁸

مدينة السلام كما سماها بانيها أبو جعفر المنصور، وكأن بينها وبين مسمياتها عداوة أزلية، حتى قال عنها الرحالة الشهير ابن بطوطة إنها مدينة ذهب رسمها ولم يبق إلا اسمها.⁹

وهذا يونس بن عبد الأعلى، يقول: "قَالَ لي محمد بن إدريس -يقصد الشافعي-: يا يونس دخلت بغداد؟ قلت: لا. قَالَ: يا يونس ما رأيت الدنيا، ولا رأيت الناس". ويكفي أن تسمع كلام ابن مجاهد المقرئ عن جمال بغداد وزهوها، حين قَالَ: "رأيت أبا عمرو بن العلاء في النوم، فقلت له: ما فعل الله بك، فقال لي: دعني مما فعل الله بي، من أقام ببغداد على السنة والجماعة ومات نقل من جنة إلى جنة".¹⁰

⁵ رينهارت بيتر أن دوزي، *تكملة المعاجم العربية*، ترجمة محمد سليم النعيمي، جمال الخياط (العراق: وزارة الثقافة والإعلام، 1979)، 386/1.

⁶ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ابن كثير، *البداية والنهاية*، تحقيق علي شيري (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1988)، 103/10.

⁷ ألكسندر كونستانس، *بغداد في الأيام الخوالي*، ترجمة سيد أحمد الحكيم (الإمارات العربية المتحدة: المجمع الثقافي، 2001)، 56.

⁸ شوقي ضيف، *تاريخ الأدب العربي* (القاهرة: دار المعارف، 1960)، 17/3.

⁹ علوش، *بغداد في الشعر العربي*، 4.

¹⁰ الخطيب البغدادي، *تاريخ بغداد*، 348-347/1.

ويوجز الزجاج أهمية بغداد وعظمتها في ذلك الوقت بقوله: "بغداد حاضرة الدنيا وما سواها من البلاد بادية".¹¹

وفي هذا المعنى قال ابن زريق الكاتب:¹²

سَافَرْتُ أَبْغِي لِبَغْدَادٍ وَسَاكِنَهَا مَثَلًا قَدْ اخْتَرْتُ شَيْئًا دُونَهُ الْيَأْسُ
هِيَ هَاتِ بَغْدَادُ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا عِنْدِي وَسُكَّانُ بَغْدَادٍ هُمُ النَّاسُ

المطلب الثاني: بغداد عاصمة الخلافة

ما أن استقر الحكم لأبي جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس حتى شرع في بناء مدينة بغداد، وقيل إن الدوافع التي دعت له ذلك هو أن المنصور كره سكنى الهاشمية التي بناها أخوه أبو العباس السفاح بنوحي الكوفة، حيث لم يكن يأمن أهل الكوفة على نفسه، فخرج يرتاد له موضعًا يسكنه، فاختر موضع بغداد، وابتدأ في البناء سنة مائة وخمس وأربعين للهجرة.¹³

وَوَضَعَ المنصور أَوَّلَ لَبْنَةٍ لِعَاصِمَتِهِ الْجَدِيدَةِ بِيَدِهِ فَقَالَ: "بِاسْمِ اللَّهِ، وَبِاللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، ابْنُوا عَلَيَّ بَرَكَهَ اللَّهِ".¹⁴

وجعل المنصور المدينة مدورة، وذلك لكيلا يكون بعض الناس أقرب إلى السلطان من بعض، حيث بنى قصره في وسط المدينة، وجعل المسجد الجامع بجانب القصر، وعمل لها سورين الداخل أعلى من الخارج.¹⁵

وَقَدْ كَانَ الْفَرَاغُ مِنْ بِنَاءِ بَغْدَادَ سَنَةً 146 للهجرة، وقيل في 148، وَلَمْ يَزَلِ الْمَنْصُورُ يَزِيدُ فِيهَا وَيَتَأَنَّقُ فِي بِنَائِهَا حَتَّى كَانَ آخَرَ مَا بَنَى فِيهَا قَصْرَ الْخَلْدِ.¹⁶

¹¹ ياسين خير الله العمري الخطيب الموصل، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام (بغداد: منشورات دار البصري، 1968)، 17.

¹² جمال الدين الألوسي، بغداد في الشعر العربي (بغداد: المجمع العلمي العراقي، 1987)، 23.

¹³ أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، صاحب حماة الملك المؤيد، المختصر في أخبار البشر، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، يحيى سيد حسين (مصر: المطبعة الحسينية المصرية، دت)، 3/2.

¹⁴ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2003)، 791/3.

¹⁵ أبو الفرج غريغوريوس ابن أهرن بن توما الملطي ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، تحقيق أنطون صالحاني اليسوعي (بيروت: دار الشرق، 1992)، 122.

¹⁶ ابن كثير، البداية والنهاية، 110/10.

وقد مثلت مدينة بغداد حينها قمة ما وصل إليه فن تخطيط وبناء المدن في العالم العربي والإسلامي. وقد نال هذا التصميم إعجاب من كتب عنها من المؤرخين والجغرافيين العرب والغربيين، فأشادوا بها وذكروا روعتها وإتقان تخطيطها وموقعها بين المدن السابقة واللاحقة.¹⁷

ولما نزل المنصور عاصمته الجديدة بوزرائه وحاشيته ومواليه، نقل إليها من الهاشمية خزائنه ودواوين دولته وأنجز نظام المدينة وترتيبها، ليتفرغ بعدها لنشر العلوم، حيث جلب المترجمين من أقاصي البلاد فترجموا كتبًا كثيرة في الأدب والفلسفة والطب والهندسة والفلك، وأنشأ مدارس للطب والشريعة صرف عليها أموالاً طائلة وشجع العلماء على تدوين علوم التفسير والحديث والفقه والنحو واللغة والبلاغة والتاريخ وغير ذلك، فأخذت أنوار العلوم والفنون تسطع من بغداد التي غصت يوم ذلك بالعلماء والأدباء إلى سائر بلاد المسلمين والعالم.¹⁸

من الناحية الجغرافية تقع بغداد على هضبة واسعة وقليلة الارتفاع، يقطعها نهر دجلة من الوسط، وعلى ساحلي دجلة تنتشر البساتين بشكل طويل غير منقطع ومستمر على التوالي وتوجد غابات النخيل. كانت المدينة بنيت أول الأمر على ساحل دجلة الأيمن فقط، ولكن جعفر البرمكي وزير هارون الرشيد، أسس بساتين الساحل الأيسر، وبعد ذلك نشأت محلة في ذلك القسم كبرت وتوسعت شيئاً فشيئاً إلى أن أصبحت أكبر من الضفة الأخرى.¹⁹

المبحث الثاني: واقع الأدب في بغداد منذ نشأتها إلى القرن التاسع عشر

المطلب الأول: الحركة الأدبية في بغداد العباسية

اتخذ بنو العباس مدينة بغداد عاصمة لملكهم العظيم، فصارت مركزاً للعلوم والآداب والفنون، واتجهت إليها العيون من شتى بقاع المسلمين، فنشط فيها العلماء والأدباء وأهل الفن والصناعة والمترجمون والمؤلفون، حتى غدت دارة العلم وهالة الأدب وملتقى الثقافات، ولونت حضارتها آداب الأمصار الإسلامية الأخرى بألوانها، وأضفت عليها من رونق علمها وأدبها. وقد ظلت بغداد على هذا الحال زمناً طويلاً، حتى ضعف ملك بني العباس، وانشق عن سلطان بغداد كثير من البلدان، وأخذت تتعدد مراكز الآداب الإسلامية،

¹⁷ نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق (بيروت: دار الجميل، 1985)، 29/9.

¹⁸ الأعظمي، مختصر تاريخ بغداد، 10.

¹⁹ سعاد هادي العمري، بغداد كما وصفها السواح الأجانب في القرون الخمسة الأخيرة (بغداد: دار المعرفة، 1954)، 84.

ومع ذلك ظلت بغداد إحدى المراكز الكبرى، حتى قضى عليها التتار وأزالوا دولة بني العباس بالكلية عام 656هـ.²⁰

ومنذ أن اتخذها المنصور عاصمة لدولته، هاجر إلى بغداد كثير من علماء الأمصار الأخرى، وخاصة البصرة والكوفة، وامتزج مذهباهما في العربية وتكون منها مذهب بغدادى جديد، وشغف أهلها بالعلوم الأدبية وترجموا الكتب في سائر الفنون فانتشرت اللغة العربية في سائر آسيا وتكلم بها أهلها عوضاً من لغاتهم. وكان الخلفاء يحضرون الدروس ويكافئون المؤلفين والأدباء. وبهذا غدت بغداد قبلة الشعراء والأدباء ومعقد أواصر المسلمين ومستقر خلافتهم ومحط رحالهم، وأصبحت ميداناً تتسابق فيه جيايد الفحول في كل فن، لا سيما الشعراء فقد كانت لهم عند الخلفاء سوق رائجة ودام أمرها كذلك حتى انتهاء الدولة العباسية.²¹

وقد كان واضحاً في تلك الفترة نشوء طائفة من العلماء والأدباء الذين نوّعوا معارفهم ولم يكتفوا بالاختلاف إلى حلقة واحدة، بل مضوا يترددون على جميع حلقات العلم والأدب، آخذين بطرف من كل أصناف المعرفة. وقد كانت لهم حظوة في مجالس الخلفاء والوزراء وعلية القوم، إذ كانوا يستطيعون أن يطرفوهم بالأحاديث الشيقة ويروّحوا عنهم في ساعات صفوهم وغضبهم بما يوردون على سمعهم من طرائف الأخبار والمعارف. وإذا كان الخلفاء ووزرائهم قد أغدقوا على هذه الطائفة كثيراً، فإنهم لم يحرموا طائفة العلماء المتخصصين، بل كثيراً ما كانوا يصفون عليهم عطاياهم الجزيلة، وجاراهم في ذلك الولاة القادة، وكان أول من سنّ ذلك وجعله تقليداً للدولة المهدي، واحتذاه في ذلك ابنه الرشيد ثم المأمون، وقد هذا الصنيع كان من أهم الأسباب في ازدهار الحركة العلمية بالمساجد، إذ كان من يبرز نجمه في حلقاتها لا يلبث أن يستدعى إلى مجالس الخلفاء والوزراء والولاة، لتسبغ عليه العطايا، فقد تحولت تلك المجالس إلى ما يشبه ندوات علمية يتناظر فيها العلماء والأدباء، لتكون عوناً للمساجد في ازدهار الحركة الفكرية.²²

وفي هذه الفترة بلغت الدولة العباسية أوج عظمتها، وكانت بغداد عاصمة لسلطنة واحدة تمتد مما يقرب من الهند إلى تونس، حيث استطاعت الخلافة أن تفرض هيبتها على الرعية، وازدهرت بغداد أيما ازدهار، ونشأت بفضل احتكاك العرب بالمدن العالمية، نهضة فكرية عظيمة، وكان الخلفاء والوزراء يمدونها بمالهم وجاههم، ويشجعون أرباب العلم والأدب، ويتنافسون في إنشاء الدور لنشر الثقافة.²³

²⁰ محمود رزق سليم، الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث (د.م: دار الكتاب العربي، 1957)، 7.

²¹ أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة (بيروت: دار الكتب العلمية، 1993)، 37.

²² ضيف، تاريخ الأدب العربي، 101/3-102؛ وحنّا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي (بيروت: دار الجبل، 1968)، 522.

²³ الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، 519.

وكان من أهم الأسباب في بلوغ الحركة العلمية غايتها من النهضة الواسعة استخدام الورق، إذ أخذ ينتشر منذ بداية هذا العصر وكانوا قبل ذلك يكتبون في الجلود والقراطيس المصنوعة من ورق البردي. ولم يلبث الفضل بن يحيى البرمكي أن أنشأ في عهد الرشيد مصنعاً للورق ببغداد. وكان مما دفع لرواج الوراقة تنافس كثيرين على اقتناء الكتب واتخاذ المكتبات، وقد أقامت الدولة منذ عصر الرشيد مكتبة ضخمة هي دار الحكمة وعُنت فيها أشد العناية بالكتب المترجمة التي تحمل كنوز الثقافات الأجنبية، فكانت هذه المكتبة بمثابة جامعة كبرى لطلاب العلم والمعرفة.²⁴

وقد كانت مصادر المعرفة والثقافة متاحة في بغداد، والتعليم مجاًناً من حق الجميع. وكان لذلك آثار بعيدة، فإن جمهور العلماء والشعراء لهذا العصر كانوا من عامة الناس، ويكفي أن نعرف أن أعلام الشعر حينئذ وهم بشار بن برد وأبو نواس وأبو العتاهية ومسلم بن الوليد وأبو تمام كانوا جميعاً من الطبقة الدنيا في الشعب، وكان هذا كان ثمرة ازدهار الحركة العلمية في العصر، حيث امتزج الشعر بجميع مظاهر الحياة، فالشاعر صار بلبل القصور، ونديم الملوك، وهو لسان اللهو، كما هو لسان الفلسفة والزهد والتصوف، والناس إليه آذان تصغي وأيد تنبسط وتجو.²⁵

لاحقاً وبعد أن بدأ الضعف يسود الدولة العباسية مع نشوء عدد من الحركات والدول التي خرجت من سلطان الخلافة، ما ألقى بظلاله على بعض جوانب الأدب، فقد ضعفت الخطابة في هذا العهد شيئاً فشيئاً، وذلك لضعف الدواعي إليها ولضعف القدرة عليها، ففي صدر العهد العباسي ظلت أسباب الخطابة قوية لما جرى من انقلابات خطيرة وما ظهر من دعوات مذهبية، وثورات اجتماعية؛ ولم يكن اختلاط العرب بالأجانب بعد شديد الأثر على الألسنة؛ فكان للخطابة بسبب كل ذلك شأن يُذكر، فتعددت موضوعاتها وتشعبت مناحيها ثم أخذت أهميتها تنقلص.²⁶

ومع ذلك لم تبق الكتابة مقصورة على الدواوين، بل تعدتها إلى وصف الحضارة الجديدة بما فيها من لهو وترف وقصور ورياض، وإلى وصف النفس البشرية بما لها من نزعات وأهواء، ونقد الكتب الأدبية وشرحها، وبسط المسائل العلمية والدينية. كما تعددت فنون الكتابة فكان منها الرسائل الإخوانية في الشكر والعتاب والتعازي والتنهاني والاستعطاف وغير ذلك؛ ومنها التصانيف العلمية والأدبية، ومنها المقالات، والمناظرات، والعهود، والروايات القصصية، والمقامات.²⁷

²⁴ ضيف، تاريخ الأدب العربي، 103/3.

²⁵ ضيف، تاريخ الأدب العربي، 107/3؛ والفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، 667.

²⁶ الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، 528.

²⁷ الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، 523.

ومع ذلك فقد ظلت موجة الشعر قوية، بل لعلها ازدادت حدة، ويكفي للدلالة على ذلك أن يبرز في مستهله المتنبي وفي أواخره الشريف الرضي، وشعراء كثيرون بلغ عددهم في العراق عنده أكثر من سبعين شاعرًا مما يصور ازدهار الشعر حينئذ.²⁸

ينبغي الإشارة هنا إلى أن العرب ومنذ أواسط العصر العباسي، صار لديهم لغتان متميزتان: الأولى هي اللغة الفصحى، وهي لغة تدوين العلم والأدب والشعر وكتابة الدواوين والفن والصناعة، وتمتاز بمراعاة نحوها وصرفها وذوقها البلاغي وطرق توليد مفرداتها، ورفض الدخيل الطارئ لفظًا وتعبيرًا. أما اللغة الثانية، فهي العامية، التي تمثل لغة أو لهجة كل شعب يتحدث بها جميع أبنائه في شتى أحوال معاشهم، فيما عدا ما سبق، وهي محرفة عن الفصحى، وتتمتع بكثرة التغير والتحول حسب مقتضيات الأحوال، ولهذا فهي لا تكثر كثيرًا بمراعاة القواعد التي تلتزمها الفصحى، ولا تمنع المفردات الدخيلة، بل تضم عددًا كبيرًا من الكلمات الأجنبية التي جاءت كنتيجة طبيعية لاحتكاك العرب مع الأمم الأخرى.²⁹

وقد كانت بلاد الرافدين أيام العباسيين بلادًا عامرة وافرة الغنى، لتدر أرض السواد الخصب والخير العميم، إذ كانت الدولة آنذاك معنية عناية فائقة بوسائل الإصلاح وشؤون الري والزراعة وال عمران، فلا عجب إذا ما ازدهرت البلاد ازدهارًا عظيمًا امتد إلى مختلف مجالات الحياة، إلا أنه بتتابع الأيام راحت الأمور تجري على غير الصورة الأولى، فقد بقيت بغداد جذابة غنية. مهيبة الجناح، لكنها كانت خائرة القوى، لا حول لها ولا طول بيدها، تنعم بعظمتها الخالدة، ولذلك لم تقو على مغالبة عاديّات الأيام إذ سرعان ما عصفت بها ريح الخراب عندما دهمها هولاء حفيد جنكيز خان عام 656هـ فأطفأ نار الخلافة فيها، واستباح غنائمها التي لا تحصى وكنوزها العظيمة، وذبح شعراءها وتجارها وفرّق سرائرها وعلماءها وفقهاءها، فاستحالت في يوم واحد من مركز للحضارة الإسلامية إلى مدينة يعمها الخراب وتعلوها جثث أبنائها.³⁰

المطلب الثاني: الأدب ببغداد بعد انتهاء الدولة العباسية

في سنة 656 للهجرة، 1258 للميلاد، استولى التتار بقيادة هولاكو على بغداد وقتلوا أكثر أهلها حتى الخليفة المستعصم بالله، وانقضت دولة بني العباس منها.³¹

²⁸ ضيف، تاريخ الأدب العربي، 7/5.

²⁹ سليم، الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث، 21.

³⁰ عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني (القاهرة: وزارة المعارف المصرية، 1959)، 1.

³¹ عباس العزاوي، موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين (بغداد: الدار العربية للموسوعات، 2004)، 197/1.

ويذكر ابن كثير في البداية والنهاية ما جرى في بغداد في ذلك الوقت من أهوال حيث مَالَ المغول عَلَى أهل المدينة فَقَتَلُوا جَمِيعَ مَنْ قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ وَالْمَشَائِخِ وَالْكُهُولِ وَالشُّبَّانِ، وَقِيلَ أَنَّ عِدَدَ الْقَتْلَى بَلَغَ أَلْفَيْ أَلْفِ نَفْسٍ -أي مليونين-، حَتَّى جَرَتْ مَيَازِيبُ الْأَبْنِيَةِ مِنَ الدِّمَاءِ فِي الْأَرْقَةِ، وَدَخَلَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي الْأَبَارِ، وَالْمَخَابِي وَحَتَّى الْأَمَاكِنِ الَّتِي تَرْمَى فِيهَا الْقِمَامَةُ، هَرُوبًا مِنْ بَطْشِ جُنْدِ الْمَغُولِ، وَعَادَتْ بِغَدَادُ بَعْدَ مَا كَانَتْ أَنْسَ الْمُدُنَ كُلَّهَا، كَانَتْهَا خَرَابٌ لَيْسَ فِيهَا إِلَّا الْقَلِيلُ مِنَ النَّاسِ، وَهُمْ فِي خَوْفٍ وَجُوعٍ وَذَلَّةٍ وَقِلَّةٍ.³²

وهكذا انقرضت دولة بني العباس، وزال معها زهو بغداد طوال ازدهارها على مدى قرون، ليملكها هولاء قهرا ويعيث بها وجنوده خراباً قبل أن يموت سنة 663 للهجرة، تلاه ابنه "أبغا"، وبعد موت هذا الأخير ورثه أخوه "بكدار" الذي أسلم وسمى نفسه أحمد، وهكذا توالى على حكم المدينة سلسلة من حكام التتار.³³

حتى حق عليها قول عمرو الوراق فيها:³⁴

مَنْ ذَا أَصَابَكَ يَا بَغْدَادُ بِالْعَيْنِ	أَلَمْ تَكُونِي زَمَانًا قُرَّةَ الْعَيْنِ
أَلَمْ يَكُنْ فِيكَ أَقْوَامٌ لَهُمْ شَرَفٌ	بِالصَّالِحَاتِ وَبِالْمَعْرُوفِ يَلْقَوْنِي
أَلَمْ يَكُنْ فِيكَ قَوْمٌ كَانَ مَسْكَنُهُمْ	وَكَانَ قُرْبُهُمْ زِينًا مِنَ الزَّيْنِ
صَاحَ الزَّمَانُ بِهِمْ بِالْبَيْنِ فَاِنْقَرَضُوا	مَاذَا الَّذِي فَجَعَتْنِي لَوْعَةَ الْبَيْنِ
أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ قَوْمًا مَا ذَكَرْتُهُمْ	إِلَّا تَحَدَّرَ مَاءُ الْعَيْنِ مِنْ عَيْنِي

وقد كانت بغداد إلى وقت سقوطها على يد المغول عاصمة العالم الاسلامي ومركز خلافته لمدة تزيد على 500 عام، ولم تفقد مكانتها العظمى وأهميتها الدينية والعلمية والأدبية حتى بعد أن تأسست مواطن علمية كبرى في البلاد الاسلامية الاخرى. لكن ما حصل لها أثر ذلك الغزو وضياح مكانتها، استدعى حزناً عميقاً وألماً كبيراً، فقد صارت بعد ذلك مدينة عادية يُعَيَّن لها والٍ أو وزير، وأصبحت تابعة لغيرها بعد أن كانت رأس المدن وحاضرتها، وفقدت المدينة ثقلها الديني والسياسي، وبالتالي اضمحل توهجها العلمي والأدبي لقرون تلت.³⁵

³² ابن كثير، البداية والنهاية، 133/13-135.

³³ الخطيب الموصلي، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام، 166-167.

³⁴ محمد بن أيمن المستعصي، الدر الفريد وبيت القصيد، تحقيق كامل سلمان الجبوري (بيروت: دار الكتب العلمية، 2015)، 352/3.

³⁵ عباس العزاوي، تاريخ الأدب العربي في العراق (بغداد: المجمع العلمي العراقي، 1962)، 300/1.

وبعد سقوط بغداد تعرضت الكثير من المؤسسات الفكرية مثل المدارس والمساجد وخزائن الكتب إلى الخراب والتدمير، كما قتل عدد كبير من رجالاتها. إلا أن الخسائر والاضرار المادية والبشرية التي لحقت ببغداد وعلمائها رغم جسامتها لم تؤد الى توقف الحركة الفكرية تمامًا، فقد تواصل العطاء الفكري في تلك الظروف العصيبة، لكن مع فارق كبير عما كان عليه الأمر في أيام زهو بغداد أو حتى في ظروفها الطبيعية التي سبقت الغزو.³⁶

تتبع التتار علماء بغداد قتلاً، وكتب حضارتها إبادة وإتلافًا، وقيل إن هولاء قتل علماء بغداد ومنهم محيي الدين بن الجوزي وأولاده، وأمر بإلقاء جميع الكتب التي في دور الخلفاء في نهر دجلة، فأضاع بذلك على الدين واللغة ذخائر لا تعوض. فكان لهذه الكوارث آثارها في نفوس الأمة.³⁷

وكان هذا العصر بمجمله وبالأعلى على الأدب، فقد بدد المغول نفائس المصنفات، وأحرقوا المكتبات وشرّدوا رجال العلم في بغداد وفي سائر البلاد التي استحوذوا عليها. وقد انسحب الخراب الذي عاشته بغداد على واقع الحركة الأدبية التي عانت لقرون تلت من تراجع واضح.³⁸

كما أصيب الشعر في هذه الفترة بوباء التنميق اللفظي الذي ذهب برونقه. فإذا ما أرحت ستار الألفاظ البراقة لا تقع غالبًا إلا على معانٍ مكررة، وافتن الشعراء بأنواع البديع والتصنع. وأولع الشعراء خصوصًا بالتورية وتباهوا بأنها من خصائص عصرهم، ونظموا الألغاز والأحاجي، واستكثروا من الألفاظ المصغرة والمعجمة والمهملية، بهدف إظهار براعتهم اللغوية، والتزموا ما لا يلزم، وأتوا بما لا يستحيل بالانعكاس وبالغوا في التاريخ الشعري.³⁹

وقد عرف العصر الذي تلا سقوط الدولة العباسية في العراق بعصر الانحطاط. فقد خمدت الحركة الأدبية وأصبح الشعر والنثر يتسمان بالتقليد والإسفاف. فكسدت سوق الأدب وزال الإبداع والإشعاع في البلد الذي أنجب العديد من أساطين البلاغة والبيان والقريض.⁴⁰

أما في العصر العثماني فقد كانت الحياة الفكرية استمرارًا طبيعيًا للعصر المملوكي، وقد كانت اللغة العربية هي اللغة الرسمية السائدة للدولة كما يتضح من نص الرسالة التي بعث بها السلطان سليمان القانوني إلى فرنسيس الأول ملك فرنسا سنة ٩٣٢ هـ أي بعد افتتاح العثمانيين بلاد الشام بعشر سنوات. أما على صعيد الأدب فقد أكثر الكتاب والشعراء من الصور البديعية، وبالغوا في ذلك أكثر من سابقهم.⁴¹

³⁶ العزاوي، موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين، 238/1-239.

³⁷ سليم، الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث، 8.

³⁸ الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، 1026.

³⁹ الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، 1028.

⁴⁰ مير بصري، أعلام الأدب في العراق الحديث (د.م: دار الحكمة، 1995)، 27/1.

⁴¹ عمر موسى باشا، تاريخ الأدب العربي العصر العثماني (بيروت: دار الفكر المعاصر، 1989)، 37.

ربما كانت بغداد طوال القرون التي تلت أيام زهوها في العصر العباسي مثالاً حيّاً على كيفية انهيار المدن وانقلاب العواصم إلى خرائب بعد أن كانت مرفهة وسعيدة. لكن مع ذلك ظلت عراقة المدينة أقوى من الخراب الذي أصابها بغزو هولاكو وخروج صولجان الحكم منها، وبقيت لها مساحة غير قليلة من عراقتها، وظلت منزلاً للعلم والعلماء.⁴²

وما أن دخل القرن التاسع عشر الميلادي، الذي تزامن مع القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، حتى بدأت بوادر نهضة جديدة في بغداد، نهضة عملية وفكرية وأدبية أرادت أن تعيد مدينة السلام إلى سابق مجدها وألقها..



⁴² ضيف، تاريخ الأدب العربي، 254/5.



الفصل الأول: عوامل نشوء الحركة الأدبية ببغداد في القرن التاسع عشر



المبحث الأول: الواقع السياسي ببغداد في القرن التاسع عشر وتأثيره في الحركة الأدبية

للقوف على طبيعة الحركة الأدبية في بغداد في القرن التاسع عشر، لا بد من الاطلاع على الواقع السياسي الذي كانت تعيشه المدينة في تلك الفترة، وذلك بهدف معرفة الظروف التي عاشها الأدب، ومدى التأثير المتبادل بين النشاطين السياسي والأدبي.

وكما هو معلوم فإن المرء لا يمكن أن يتجرد من السياسية فيغفل تأثيرها في الأدب، لا بل إن تاريخ الأدب يتلازم في كثير من الأحيان مع التاريخ السياسي، الذي يمثل الأحداث العظيمة وما تتركه من أثر في الفعاليات الاجتماعية والثقافية.⁴³

ومع حلول القرن التاسع عشر الميلادي جاءت العديد من الأحداث السياسية والعوامل الفكرية والأسباب العلمية لتشير إلى حالة من التملل التي انتهت في نهاية المطاف إلى يقظة أدبية وفكرية، تمكنت من تحقيق الكثير مما كان يريده أبنائها، هذه الحركة وإن كانت في بدايتها وئيدة، إلا أنها ما لبثت أن آتت أكلها، بفضل الله الذي قيض لها من يتبناها من أبناء الأمة المصلحين.⁴⁴

ثم إن القرن التاسع عشر يعد فترة امتداد لما قبله من حيث أسلوب الحكم وطبيعة المجتمع والحياة في العراق. وقد شهد هذا القرن 19 واليًا أو أكثر في بغداد ما عدا الموصل والبصرة، واستوعب أحداثًا وثورات وحروبًا في العديد من الولايات العراقية.⁴⁵

ولمعرفة الواقع السياسي ببغداد في تلك الحقبة، سيسلط الباحث الضوء على ثلاث فترات مثلت ذلك الواقع، وهي: فترة السلاطين العثمانيين، وولاية داود باشا، ثم الولاية الذين جاءوا بعد نهاية عصر المماليك في بغداد.

المطلب الأول: السلاطين العثمانيون

كان العراق جزءًا من الإمبراطورية العثمانية المترامية الأطراف، والتي قسمت حينها لعدة ولايات، حكم كلا منها واليعين من الأستانة بفرمان يصدره السلطان. وقد كان أكثر الولاة مطلقا التصرف بإدارة شؤون ولاياتهم، ويملكون الصلاحيات داخل حدودها.⁴⁶

ويمكن تقسيم الحكم العثماني في بغداد إلى خمسة عهود مختلفة، لكل منها طابعه الخاص:

⁴³ محمد مهدي البصير، نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر (بغداد: مطبعة المعارف، 1946)، 10.

⁴⁴ سالم الحمداني - فائق مصطفى أحمد، الأدب العربي الحديث دراسة في شعره ونثره (طهران: دار زين العابدين، 2014)، 13.

⁴⁵ إبراهيم الوائلي، لغة الشعر العراقي في القرن التاسع عشر (بغداد: مطبعة الإرشاد، 1965)، 2.

⁴⁶ يوسف عز الدين، داود باشا ونهاية المماليك في العراق (بغداد: دار البصري، 1967)، 5.

الأول: من دخول السلطان سليمان القانوني رحمه الله بغداد إلى دخول الصفويين إليها. 941 - 1032هـ (1534 - 1622م).

الثاني: من استعادة السلطان مراد الرابع لبغداد إلى بداية حكم المماليك 1048 - 1162هـ (1638 - 1749م).

الثالث: عهد المماليك 1162 - 1247هـ (1749 - 1831م).

الرابع: عهد إعادة الحكم المباشر 1247 - 1286هـ (1831 - 1869م).

الخامس: العهد الأخير، منذ تعيين مدحت باشا واليًا على بغداد حتى نهاية الحكم العثماني 1286 - 1336هـ (1869 - 1917م).

وهذه الأقسام الثلاثة الأخيرة سيأتي الحديث عنها خلال هذا الفصل، لأنها جاءت في القرن التاسع عشر الميلادي.⁴⁷

وقد كان افتتاح القرن التاسع عشر في أيام السلطان الغازي سليم خان الثالث (ت: 1222هـ/ 1808م) وكان من أفضل ملوك دولته دمث الخلق، محبًا للأدب مهتمًا بالرعية. جاء من بعده ابن عمه السلطان مصطفى خان الرابع، لكنه لم يملك أكثر من سنة، فآلت أمور الدولة من بعده إلى أخيه محمود خان الثاني (ت: 1839م)، وذلك عام 1808م فطالت مدته. وكان كالسلطان سليم محبًا للأدب. وللشاعر نقولا الترك⁴⁸ (ت: 1244 هـ/ 1828 م) أبيات من الشعر يتغنى فيها مرحبًا بجلوس السلطان على العرش إذ يقول:

تَوَلَّى التَّخْتِ سُلْطَانُ الْبِرَايَا وَأَيَّدَهُ الْإِلَهُ بِمَرْتَقَاهُ
فَصَاحَ الْكُونُ لَمَّا أَرَّخُوهُ نَظَامُ الْمَلِكِ مَحْمُودٌ بِهِاهُ

⁴⁷ جميل موسى النجار، الإدارة العثمانية في ولاية بغداد (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1991)، 67-68.
⁴⁸ نقولا بن يوسف الإسطمبولي الترك، مذكرات نقولا الترك، تحقيق جاستون فيبيت (القاهرة: مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، 1950)، 2.

ومن مساعي السلطانين سليم ومحمود المشكورة تعزيزهما لفنّ الطباعة، حيث طبعت في زمنهما العديد من المصنفات باللغتين العربية والتركية. وبلغ عدد المصنّفات العربيّة التي نُشرت بالطبع في هذه الثلاثين سنة نيفاً وأربعين كتاباً كقاموس المحيط للفيروز آبادي (ت: 1814م) مع شرحه باللغة التركيّة، وحاشية السيلكوتي على مطوّل التفتزاني (ت: 1812م) و"مراح الأرواح" لأحمد بن علي بن مسعود مع مجموع تآليف أخرى نحويّة وصرفيّة (1818م) و"كافيّة ابن حاجب" (م: 1819) وغير ذلك من المطبوعات المهمة. وكان هناك العديد من الولاة الذين يساعدون السلاطين في إدراك غايتهم الشريفة الرامية لنهضة الأمة عبر العلوم والآداب، مثلما فعل سليمان باشا في عكا، ويوسف باشا كنج في دمشق، وداود باشا في بغداد وغيرهم.⁴⁹

أما فيما يخص العراق بشكل عام، فقد كان البلد مستقلاً استقلالاً إدارياً منذ أن فتح السلطان سليمان القانوني (ت: 1566م) رحمه الله بغداد عام 941هـ، 1534م،⁵⁰ لا سيّما بعد أن استردها السلطان مراد خان الرابع (ت: 1640م)⁵¹ من حكم الصفويين سنة 1638م، إلى أن انتهت حكومة المماليك على يد علي رضا باشا اللار، وكانت حينها إمارة كبيرة تسمى إيالة⁵² بغداد.⁵³

وبسبب بعد بغداد عن عاصمة الدولة العثمانية الأستانة، وانقطاع المواصلات، كان بعض الوزراء يعلنون استقلالهم، فقامت بسبب ذلك الحروب بينهم وبين السلاطين العثمانيين، وأصبحت بغداد نتيجة لذلك بضروب النوائب والنكبات، ما أدى إلى تأخر عجلة الأدب كسائر مجالات الحياة.⁵⁴

⁴⁹ رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو، تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والرابع الأول من القرن العشرين (بيروت: دار المشرق، د.ت)، 19.

⁵⁰ العزاوي، موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين، 37/4.

⁵¹ العزاوي، موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين، 281/4.

⁵² الإيالة لغة: من "آل ماله يؤوله إيالة"، إذا أصلحه وسأسه "و" آل الرعية يؤولها إيالة حسنة، وهو حسن الإيالة". أبو منصور، محمد بن أحمد الهروي الأزهرى، تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2001)، 314/15؛ محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود (بيروت: دار الكتب العلمية، 1998)، 39/1؛ أما اصطلاحاً فالإيالة، هي أكبر الوحدات الإدارية في الدولة العثمانية، ويتولى حكمها حاكم برتبة بكربكي، أي أمير أمراء. ويسمى الذي يتولى الإيالة وزيراً وتنقسم إلى عدة ولايات، وكانت تضم مدن العراق بما فيها الموصل وفي أكثر الأحيان كردستان وشهرزور وأحياناً الجزيرة. وكان الوزير مستقلاً بإدارة البلاد لا يستأذن السلطان إلا في الأمور الكبيرة، وكان – أي الوزير – من يعين الولاة والحكام على سائر المدن المرتبطة ببغداد التي هي مركز الإيالة. سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 2000)، 45.

⁵³ الأعظمي، مختصر تاريخ بغداد، 233.

⁵⁴ عز الدين، داود باشا ونهاية المماليك في العراق، 11–13.

لم تصب بغداد باستبداد أولئك الوزراء وأعوانهم ومماليكهم فحسب، بل لأنها نكبت بالحروب التي كانت تنشب عادة بين الحكومة والأعراب أو بين القبيلة والأخرى، وتارة بين الوزراء المتغلبين الذين كان بعضهم يقاتل بعضًا طمعًا بالإيالة حتى يتم الفوز للقوي وكثيرًا ما كانت تقوم المعارك بينهم حول المدينة وأحيانًا في داخلها حتى ينتصر القوي ويهزم الضعيف أو يقتل.⁵⁵

ومعلوم أن الحركات الفكرية إنما تنشأ وتشتد وتأتي أكلها في ظل الاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي والطمأنينة الاجتماعية، ما يفسح المجال أمام أهل العلم والأدب لينصرفوا للإبداع من غير خوف ولا وجل. ومع أن بغداد في تلك الفترة لم تعيش ظروفًا مثالية كما عاشتها في عصرها الذهبي أوائل الخلافة العباسية، فقد عرف القرن التاسع عشر نهضة علمية أدبية مشهودة. وظهر في العراق آنذاك عدد كبير من أساطين الفقه والتفسير والحديث والأدب شعره ونثره.⁵⁶

المطلب الثاني: إمارة داود باشا

وافق بدايات القرن التاسع عشر الميلادي في بغداد تولي آخر الولاة المماليك وهو داود باشا، وذلك بأمر من السلطنة العثمانية بعد عزل سلفه سعيد باشا، وشهدت فترة حكمه عهدًا من النهضة والتقدم لم يألّفه العراق منذ زمن طويل، حيث قام بإصلاحات تعليمية واقتصادية وعسكرية مهمة.

ولد داود باشا في بلاد الكرج (جورجيا حاليًا) عام 1188 للهجرة الموافق لعام 1767 للميلاد، في أسرة مسيحية، واختطف من أهله عندما كان في سن الثالثة عشرة فجاء به أحد النخاسين إلى بغداد وعرضه للبيع فاشتراه أحد وجهاء بغداد وهو مصطفى بك الربيعي غير أنه باعه بعد أيام. وصار بعدها داود ينتقل من شخص إلى آخر حتى انتهى به المطاف عند الوالي سليمان باشا الكبير، الذي أدخله في زمرة مماليكه وأخضعه للتدريب الذي كان يخضع له سائر المماليك في تلك الأيام، ونشأ نشأة إسلامية.⁵⁷

عرف داود الحياة وتعلم ما لم يتعلمه أمثاله من الشباب بفضل العناية التي حظي بها من سليمان باشا الذي لم يدخر وسعًا في تعليمه وتثقيفه. وكانت مرارة البيع والشراء تزيد من حماسة هذا الفتى صاحب الذكاء الوقاد، يؤازرها حماسة الشباب وذل الغربة والأسر، فقد كان عبدًا تابعًا لسيده، وكان عليه أن يرفع من قيمته في هذا المجتمع، فسلّك من أجل ذلك سبيل العلم، فانكب على دروس اللغة العربية والفقه والأصول، كما أجاد قراءة القرآن الكريم، ودرس التفسير والتصوف والبلاغة وسائر العلوم التي كانت

⁵⁵ الأعظمي، مختصر تاريخ بغداد، 233.

⁵⁶ البصير، نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر، 8-9.

⁵⁷ عثمان بن محمد بن أحمد بن سند البصري، مطالع السعود بأخبار الوالي داود، اختصره أمين الحلواني، تحقيق محب الدين الخطيب (القاهرة: المطبعة السلفية، 1389)، 7-8.

تدرس يومها للطلاب، فكان الطالب المبرز الذي يشار اليه بالبنان، حتى صار عارفاً باللغات الثلاث (العربية والتركية والفارسية)، وظل يرتقي في مدارج العلم، في نفس الوقت الذي يتعلم فيه الفروسية والمبارزة.⁵⁸

وكان سيده سليمان باشا يراقبه عن كثب ويعجب به أشد الإعجاب، حتى جعله أميناً لمفاتيح الوالي ثم أميناً لأختامه، وهو ما أثار الحسد في قلوب من حوله، وازداد هذا الحقد عندما علموا أن حاكم بغداد يريد أن يزوج ابنته لعبد من عبيده، كيف لا وسليمان نفسه كان عبداً، وقد تزوج ابنة سيده أحمد باشا قبل أن يقوم بترسيخ حكم المماليك في بغداد. وقد أخذ داود باشا يترقى حتى تولى منصب (دفتر دار)، وكان هذا المنصب لا يعهد الا لذوي الكفاءة والعقل الراجح، ثم ترقى إلى درجة (الكتخدا)⁵⁹ في عهد سعيد بن سليمان باشا.⁶⁰

استفاد داود من شخصيته العصامية والمحبة للعامة لكي يحسن صلاته بالجيش، لكن سعيد باشا الذي خلف والده في الحكم، اضطر للرضوخ لرغبة أمه فعزله، فقد كان خاضعاً لها تماماً، كما كان مفرطاً في اللهو والعبث، ثم إن من حوله أوغروا صدره ضد داود ليفتك به، لكن الأخير استطاع الهرب إلى كركوك، تاركاً بغداد التي عمت بها الفوضى واللصوصية بفعل تصرفات سعيد باشا وأمه وحاشيته.⁶¹

ظل داود باشا في كركوك حتى جاءه الفرمان من الباب العالي بتعيينه "بيلربيك"⁶² لبغداد والبصرة وشهرزور، فدخل بغداد مستفيداً من سخط الناس على سعيد باشا والثورة التي اندلعت ضده في محلة باب الشيخ، ومناصرة رؤساء القبائل العراقية وفي مقدمتها قبيلة المنتفك الذين نصحوا سعيد باشا بالاستسلام.⁶³

⁵⁸ عز الدين، داود باشا ونهاية المماليك في العراق، 25-26.

⁵⁹ كتخدا (Kethüda) لفظ تركي - فارسي أصله كدخدا ومعناه «صاحب الدار»، وكان يطلق في البداية على من يشرفون على أعمال رجال الدولة، أو الوزراء، ومن ينوبون عنهم، ثم شاعت لاحقاً لتطلق بشكل أوسع على كل مديري الأعمال والمشرفين العاملين في معية الكبار، وأصبح فيما بعد لقباً بمعنى: أمين الوالي أو وكيله. يُنظر: نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط (القاهرة: مجمع اللغة العربية، 1972)، 775/2؛ وصابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، 188؛

Mehmet Zeki Pakalın, *Osmanlı Tarih Deyimleri ve Terimleri Sözlüğü* (İSTANBUL: MİLLÎ EĞİTİM BAKANLIĞI YAYINLARI, 1993), 126.

⁶⁰ عز الدين، داود باشا ونهاية المماليك في العراق، 26-27.

⁶¹ العزاوي، موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين، 267/6؛ وعز الدين، داود باشا ونهاية المماليك في العراق، 29-30.

⁶² البكرلي بالتركية (Beylerbeyi): وتُلفظ بايليرباي، أمير الأمراء، وهو من أعلى المناصب في الدولة العثمانية، ويتمتع بسلطات عسكرية ومدنية واسعة. وكان هناك بكرلي في العهود الأولى من الدولة العثمانية، حيث كان مسؤولاً عن الجيش وما يتعلق به، وكانت كلمته مسموعة بعد السلطان مباشرة، ولما توسعت الفتوحات العثمانية في أوروبا، انقسم هذا المنصب إلى قسمين: بكرليك الأناضول، وبكرليك الروملي. ثم ازداد عدد البكرليك فيما بعد، وأدى ذلك إلى تقليل نفوذهم، حيث كانوا يعينون ولاية على الولايات وقادة على الجيش.

Pakalın, *Osmanlı Tarih Deyimleri ve Terimleri Sözlüğü*, 216-217;

صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، 64.

⁶³ عز الدين، داود باشا ونهاية المماليك في العراق، 31-33.

وقد نهض داود بموكب فخم إلى بغداد فوصل يوم الجمعة 5 ربيع الآخر سنة 1232 هـ فتوقف خارج الباب الشرقي ونصب خيامه هناك. ومن ثم استقبله الأعيان والعلماء والأركان، فدخلها مساء بابتهاج من الأهلين مضى من وسط المدينة فتعالت الأصوات من كل صوب مرحبة بمقدمه. وفي اليوم الثالث اجتمع العلماء والأعيان وصنوف الجيش والندماء ووجهاء البلد وعموم العثمانيين فتألف الديوان العظيم وازدحم الخلق فقرئت المناشير على الملأ وأجريت مراسيم الأفراح.⁶⁴

وبعد أن استتب الأمر لداود باشا في بغداد وغيرها من مدن العراق، سار سيرة حسنة في أهلها، وبذل جهده في إرجاع مجد بغداد وعزها وعمرانها، وقرب العلماء والأدباء والشعراء واحترمهم وأكرمهم، وحرص الناس على الاشتغال بالعلوم والفنون والآداب، وبنى عدة جوامع ومدارس، فتقدم العلم والأدب والشعر في دار السلام، وكثر طلاب العلم والأدباء والشعراء، وأخذت المدينة بالتقدم نحو الرقي العلمي والأدبي والعمراني حتى بلغت المعاهد في ذلك الوقت 28 معهداً، وزهت بغداد، وكادت تستعيد سالف مجدها الغابر لولا أن دهمها الطاعون الذي فتك بأهلها.⁶⁵

وقد كانت المدارس ببغداد يوم ذاك تدرس العلوم الدينية واللغة والآداب العربية والحساب وغيرها من العلوم التي أسهمت بالنهضة العلمية التي عاشتها المدينة. وكان لها تأثير عظيم في إحياء العربية، حيث وصل صداها للأقطار الأخرى بعدما كانت بغداد تعيش حالة من التقهقر العلمي والأدبي، وذلك يعود لسياسية داود باشا الذي نشط تلك النهضة وبذل في سبيلها المال والجهد. ولم يكن داود باشا مهتماً بنشر العلوم والفنون فحسب، بل استحدث أعمالاً جمة، حيث جدد الأسواق ووسع نطاق التجارة والزراعة، وتعهد آثار العراق التي دُرست بسبب الإهمال، وكري الأنهر وشق الترعر، وجلب من أوروبا متخصصين لإنشاء المصانع، وغيرها من الأعمال التي أنعشت الحياة في بغداد على مختلف المستويات لتعكس على علمها وأدبها.⁶⁶

وقد أشار العلامة أبو الثناء الألوسي في مقاماته إلى شيء من سيرة داود باشا وعلاقته به، ففي المقامة الثاني التي يتحدث فيها عن علاقته المتوترة بأخواله الذين توسطوا عند أحد المتنفيذين لإيذائه فيقول: "فتعهد لهم أن يسعى بي عند حضرة شيخ الوزراء والي الزوراء، وأثبت لهم بما أقنعهم أنه سيتسبب بنفي من بغداد، واختطاف حمامة عمري بعقاب الأنكاد".⁶⁷

⁶⁴ العزاوي، موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين، 276/6.

⁶⁵ الأعظمي، مختصر تاريخ بغداد، 223.

⁶⁶ الأعظمي، مختصر تاريخ بغداد، 224-225.

⁶⁷ أبو الثناء، شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، مقامات ابن الألوسي (مطبعة كربلاء الحبرية، 1857)، 33-32.

لكن داود باشا بعد كل ما صنع أخطأ عندما قادته أطماع النفس البشرية ليوسع ملكه ويستقل عن الدولة العثمانية كما فعل محمد علي باشا في مصر، وبعد 15 سنة من استقرار الحكم له، وازدهار الحال في العراق، امتنع عن دفع المال المقرر إلى العاصمة (الأستانة)، لا سيّما وأن الدولة العلية طلبت منه عوناً في الحرب ضد روسيا، فأبى، حتى قرر السلطان محمود الثاني أن يتخلص منه.⁶⁸

أرسل السلطان محمود الثاني والي حلب علي رضا باشا ليتولى إزاحة داود باشا عن ولاية بغداد، واستطاع هذا الأخير أن يحقق الغرض مستغلاً ما وقع في بغداد من طاعون قتل الآلاف، ثم الفيضان الذي دمر العديد من المباني، حتى اضطر داود باشا إلى الاستسلام، وعند وصوله أسيراً إلى الأستانة نفاه السلطان إلى بورصة، ثم عفا عنه وعينه شيخاً على المسجد النبوي، وظل هناك حتى وفاته سنة 1267هـ،

1851 م.⁶⁹

المطلب الثالث: بغداد بعد انتهاء دولة المماليك⁷⁰

انتهى عصر المماليك، وانتهى معه الطاعون والفيضان في بغداد، لتشرق شمس الصيف على مدينة خاوية خربة قد بعثر سكانها، وانتثرت بيوتها منهاراً على الجانبين. ودخل جيش اللاز فاتحاً، فلم ير إلا جثثاً وأطلالاً. واستقر علي رضا اللاز في بغداد ليبدأ الحكم المباشر، وتعاقب بعده الولاة الذين يصدر أمر تعيينهم من الأستانة.⁷¹

وقد تزامن استرجاع بغداد من أيدي الولاة المماليك وإخضاعها للحكم المباشر للعاصمة الأستانة مع قيام السلطان محمود الثاني (1808 – 1839م) بحركة إصلاحات واسعة، كان استرجاع بغداد أحد مظاهرها. تلك الإصلاحات التي كونت أساساً لما عُرف بـ (عهد التنظيمات) الذي بدأ بإعلان خلفه عبد

⁶⁸ العزاوي، موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين، 17/7؛ وعز الدين، داود باشا ونهاية المماليك في العراق، 42-43.

⁶⁹ الأعظمي، مختصر تاريخ بغداد، 230-231.

⁷⁰ ممالك بغداد هم سلسلة من الولاة الذين حكموا العراق بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد، وتعود أصولهم إلى عدة مناطق من آسيا الوسطى (جورجيا ومن بلاد الشركس وداغستان وبلاد جبال القوقاز الأخرى)، حيث استمر حكمهم للعراق زهاء 82 عاماً بولاية سليمان باشا الكبير في عام 1749م، وانتهى بعزل داود باشا من منصب والي بغداد عام 1831م. وقد كان ممالك العراق يشبهون نظرائهم من ممالك مصر من حيث الأصل والمنشأ، مع اختلاف الحقبة التاريخية التي حكموا بها، حيث انتهى عصر ممالك مصر على يد السلطان سليم الأول سنة 1517 م إثر معركة الريدانية. للمزيد عن تاريخ الممالك في العراق يُنظر: العزاوي، موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين، 17/6-352.

⁷¹ الوائلي، لغة الشعر العراقي في القرن التاسع عشر، 42-43؛ وينظر: العزاوي، موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين، 360/6 وما بعدها.

المجيد (1839 – 1861 م) للمرسوم الإصلاحي (خط شريف كلخانة) في عام 1839م. وقد امتدت التنظيمات، لتستغرق سنوات حكم السلطانين عبد المجيد، وعبد العزيز (1661-1876م). ما يعني أن حركة الإصلاحات تلك قد امتدت إلى سائر الولايات العثمانية وفي مقدمتها بغداد.⁷²

بدأ علي رضا سياسته الداخلية الهادفة إلى توطيد سلطته المركزية بالقضاء على فلول المماليك داخل بغداد وخارجها. لذا عمد إلى جمع المماليك الذين تعاونوا معه ضد داود باشا وأعلنوا الولاء للباب العالي، في حفل لقراءة فرمانات السلطان، لكنه أحاط المكان بالجند، وما أن انسحب سرًا، أمطر جنوده المماليك بالرصاص فقتلوه عن آخرهم، بينما عفا عن القلة الذين أعلنوا خضوعهم له. وأصدر في ذات الوقت أوامره بملاحقة المماليك واستئصال شأفتهم وقطع دابرهم فيما عرف بمذبحة المماليك.⁷³

وبعد أن استتب الأمر للوزير الجديد علي رضا باشا اللاز في بغداد، فرض فيها الأمن وأجزل العطاء لأهلها، وقرب العلماء والأدباء وادخل في المدينة نظامًا جديدًا، فالتف حوله خلق كثير، ومدحه الشعراء. وفي أيام هذا الوزير ابتدأ سير السفن البخارية في دجلة بين بغداد والبصرة، بعد أن كان مقتصرًا على السفن الشراعية، كما بدأت الحكومة بمد الأسلاك التلغرافية في العراق ونظمت البريد. وفي أيامه تغير الزي الرسمي في بغداد وسائر مدن العراق بعد أن كان عبارة عن عمامة بيضاء وجبة، وسبب ذلك هو أن السلطان محمود الثاني غير زيّه وأصدر أمرًا إلى كل البلاد التي تحت حكمه بلبس الطرابيش بدلًا من العمام.

وفي مقاماته تحدث الألوسي عن طرف من فترة حكم علي رضا اللاز، وعلاقته التي لم تكن على ما يرام معه أول الأمر، قبل أن تنصلح الأحوال بينهما لاحقًا، فيقول في مقاماته الثالثة قطف الزهر من روض الثمر: "حتى إذا أقام القضا أهل بغداد على واليهم الوزير علي رضا، فخان من خان وكان ما كان.... حتى إذا استوفي القدر ما يدعيه من حقه، وهم أن يتلافى ما أسلف من فتنه برتقه، اتفق أن جاء إلى مجلس وعظي في القادرية أواخر رمضان، مرتضى الوزراء علي رضا جعفر الفضل والإحسان، فقد يستمع غير قليل، وعقد فواده عبد الرحمن أفندي الأعظمي عليه الرحمة على حبي بأنامل نظره الجليل".⁷⁴

وبعد أن حكم علي رضا باشا 12 عامًا عزل سنة 1258هـ وتوالى على بغداد بعده الولاة المعروفون بالوزراء، وأشهرهم نجيب باشا والسردار عمر باشا ونامق باشا، وفي كل هذه المدة لم تتحسن

⁷² النجار، الإدارة العثمانية في ولاية بغداد، 22.

⁷³ عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ العراق الحديث (القاهرة: دار الكتاب العربي، 1968)، 61.

⁷⁴ الألوسي، مقامات ابن الألوسي، 44-45.

حالة العراق وخصوصًا بغداد إلا قليلًا، لذلك كانت الحركة العلمية والأدبية في أيامهم بطيئة جدًا، إلى أن جاء الوزير مدحت باشا سنة 1285 هـ الموافق 1868 م لتدخل بغداد دورًا جديدًا وعهدًا سعيدًا.⁷⁵

وكان من أبرز الولاة مدحت باشا الذي أولى بغداد عناية كبيرة لجعلها نموذجًا يحتذى، إذ أدخل أساليب حديثة في المواصلات والخدمات الاجتماعية، فقد رأى أن بغداد تحتاج لإصلاحات في العديد من الجوانب لتكون بمكانتها التي تستحقها، كما كانت المدينة بحاجة ماسة إلى مشروعات صحية واجتماعية ترعى أهاليها. ومن بين جملة الإصلاحات التي شملتها رعاية مدحت باشا الزراعة والتجارة والعمران، كما نالت الثقافة والتعليم حصة من اهتماماته في العراق، وفي مجال إصلاح التعليم وضع الحجر الأساس لتنظيم التعليم المدني والعسكري من خلال إنشاء مدارس حديثة كمدرسة الرشدية الملكية ومدرسة الصناعة والمدرس المهنية والمدرسة الإعدادية العسكرية.⁷⁶

إن اهتمام مدحت باشا بنشر التعليم في العراق انعكس من خلال تزايد النسبة المئوية للمتعلمين ففي سنة 1850م لم تكن نسبتهم تزيد عن نصف في المائة من سكان المدن. فقد جعل التعليم مجانيًا، والدراسة فيها كانت في مختلف المجالات مثل ما يدرس في الغرب ومنها دراسة الرياضيات والعلوم، من قبلها لم تدرس هذه العلوم في المدارس الدينية.⁷⁷

كما كان لمدحت باشا الفضل في بناء أول مستشفى حديث، حيث استأجر حديقة تابعة لوقف مدرسة سليمان باشا في جانب الكرخ من بغداد، لبناء هذه المستشفى التي تسابق أهالي بغداد في جمع الأموال اللازمة لإكمال بناء المستشفى وتجهيزها.⁷⁸

وعلى الرغم مما تميز به مدحت باشا من كفاءة، وما قام به من إصلاحات، لكن ذلك لم يمنعه من ارتكاب أخطاء كبيرة وهفوات كثيرة، من جراء ثقافته الناقصة وشغفه بالحضارة الأوروبية حد الانبهار، فقد كان مولعًا بتقليد الأوروبيين ويعددهم مثله الأعلى الذي يجب أن يهتدي به كل من يريد أن يرتقي ببلاده من أبناء الشرق.⁷⁹

كما أن حياته السياسية شابها الكثير من الجدل بسبب مواقفه، فقد تم تعيينه صدرًا أعظم عام 1872م، لكنه حوكم بعد ذلك بأمر من السلطان عبد الحميد الثاني بتهمة الضلوع في اغتيال عمه السلطان

⁷⁵ الأعظمي، مختصر تاريخ بغداد، 236-239.

⁷⁶ يوسف عز الدين، "بواكير الحركة الأدبية في العراق وبداية الوعي"، مجلة المجمع العلمي العراقي 32 (1961)، 79.

⁷⁷ كاظم حبيب، لمحات من عراق القرن العشرين (أربيل - العراق: دار آراس للطباعة والنشر، 2013)، 96.

⁷⁸ العزاوي، موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين، 232/7.

⁷⁹ علي الوردي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث (بغداد: مطبعة الإرشاد، 1971)، 236/2.

عبد العزيز وحُكم عليه بالإعدام، إلا أن الحكم خُفف إلى المؤبد ونفي إلى الطائف حيث مات فيها مخنوقاً في ظروف غامضة عام 1884م.⁸⁰

المبحث الثاني: العوامل الاجتماعية والثقافية وأثرها في الحركة الأدبية

من المعلوم أن الأمم إنما تحيا بأدابها لما لها من دور في ارتقاء المرء فوق الحياة المادية، وتسمو به إلى المدارك الشريفة وتقربه إلى عالم الجمال الروحي الذي يمثل جوهر الجمال. وبناء على ذلك فإن الباحث عن معرفة درجة التمدن التي بلغها أي شعب من الشعوب، ما عليه إلا أن يبحث عن انتشار الآداب بين أهل ذلك الشعب. ولذلك نرى العديد من المؤرخين يقدمون في مؤلفاتهم تاريخ الآداب إلى جانب تاريخ الوقائع، وربما أفردوا للآداب تاريخاً قائماً بذاته يتحدث عن نشأتها واتساع نطاقها وأسباب رقيها ودورها في إصلاح المجتمع وتحسين واقعه، ودفعه إلى معالي الأمور.⁸¹

المطلب الأول: الواقع الاجتماعي

إن دراسة الحالة الاجتماعية في العراق خلال القرن التاسع عشر ليست أمراً سهلاً للباحث لأن المؤرخين الذين تناولوا دراسة العراق في تلك الفترة لم يرسموا صورة واضحة للناحية الاجتماعية من كل جوانبها. ولعل انصرافهم إلى الناحية السياسية وتقليدهم المؤرخين القدماء قد جعلهم يهتمون نقل صورة المجتمع ورسم خصائصه بدقة. وما كتبه مؤرخو العراق لم يتجاوز الحوادث السياسية العامة والحروب والثورات وعلاقة القبائل والمدن بالدولة عامة والولاية والموظفين على وجه الخصوص، أو أعمال الدولة والولاية في تدبير الحكم وقمع الثورات والخوض في الحروب والمعارك.⁸²

بيد أن المتتبع لمظاهر الحياة الاجتماعية في العراق خلال العهد العثماني يمكن أن يجد بعض الملامح التي تعبر عن تلك الفترة، حيث إن أكثر تلك المظاهر الاجتماعية كان امتداداً لما عرفه العراقيون وألفوه في الحقب سابقة، فمجموعة العادات والتقاليد والمجاس والأزياء والألعاب والاحتفالات التي عرفها الناس في القرون الماضية لم تتغير كثيراً، وربما ظل معظمها محتفظاً بصورته الأصلية، وذلك كدليل على مدى محافظة الشعب العراقي على تراثه.⁸³

⁸⁰ العزاوي، موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين، 307/7 وما بعدها.

⁸¹ لويس شيخو اليسوعي، تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والرابع الأول من القرن العشرين (بيروت: دار المشرق، 1991)، 1.

⁸² الوائلي، لغة الشعر العراقي في القرن التاسع عشر، 71.

⁸³ نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، 213/10.

أما أزياء العراقيين فاتسمت بالتنوع في أشكالها وألوانها في هذه الفترة الزمنية، فملابس الأغنياء اختلفت عن ملابس الطبقة الوسطى وملابس الفقراء، وما يلبسه أهل المدن لا يشبه ما يلبسه أهل الريف، كذلك كان لكل طائفة من الطوائف أزيائها التي تميزها عن غيرها كما كان لاختلاف درجات الحرارة أثره في تنوع ملابس السكان وقد كان لباس أهل بغداد يتألف بصورة عامة من الملابس الفضفاضة وهي من الملابس البسيطة إذا ما قورنت بملابس شعوب الشرق إلا أن ملابس الأعيان والأغنياء والتجار كانت تختلف حيث كانت تصنع من المنسوجات الهندية ويظهر ذلك في القفطان والسراويل والأردية الخارجية، ويصنع لباس الصدر والرأس من الحرير ويضعون عباءة على الكتفين.⁸⁴

ويعد الدين من أهم مقومات مجتمعاتنا العربية الإسلامية، وهو من المسائل الحيوية في حياتها، ومنذ أن فتح العثمانيون بلاد العرب، وانضوائها تحت سيادتهم، عدوا أنفسهم وريثاً للخلافة الإسلامية وامتداداً لها، فأخضعوا كل الحياة بمختلف نواحيها لمبادئ الشريعة الإسلامية واحترموا الدين، وأجلوا علماءه، فكانت دولتهم تستند في أحكامها إلى الشريعة الإسلامية الغراء، ورعاياها يخضعون إلى نظام الملل العثماني.⁸⁵

وقد قام هذا النظام على التبعية الدينية للطوائف غير الإسلامية، وكل فئة أو طائفة دينية تسمى ملة، وكانت ملة الإسلام أكبر ملة في الوطن العربي يليها ملة الروم الأرثوذكس، وقد عد الروم واليهود في جملة الملل.⁸⁶

وقد شهد الأوروبيون شهادة صريحة بتسامح العثمانيين الديني مع المسيحيين، والحرية المدرسية التي أتاحتها لهم الدولة العثمانية في الولايات الخاضعة لها، إذ كانت سياستها قائمة على العدل والتسامح. فالدولة العثمانية احترمت الأديان، وجعلت الدين الإسلامي دين الدولة الرسمي، وعدت منصب الخلافة أعلى منصب رسمي وديني يليه منصب شيخ الإسلام، الذي يستشير به الخلفاء، وبفتوى منه من الممكن أن يثبت الخليفة أو يخلعه، ثم يأتي بعده القضاة وقد حكموا بالمذهب الحنفي، وكان في الوطن العربي قضاة حكموا بالمذاهب الأخرى.

وعلى هذا الأساس فإن أبرز رافد أثر في التيار الأدبي في القرن التاسع عشر هو الدين، والذي كان يظهر طوراً في محاربة الظلم والطغيان وتارة بالدعوة إلى الإصلاح. ويظهر الشعر الديني في مدح الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، حيث عاش الشعر الديني على المدائح النبوية، فخمست القصائد

⁸⁴ نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، 221-217/10.

⁸⁵ أنور الجندى، العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي (بيروت: دار الكتاب اللبناني ومطبعة المدرسة، 1983)، 284-268-38.

⁸⁶ إسماعيل أحمد ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث (الرياض: مكتبة العبيكان، 1997)، 80.

الشهيرة التي قيلت في مدحه عليه الصلاة والسلام، ونسج العديد من الشعراء على منوالهم في مدحهم، كما هو الحال مع حسين العشاري ومحمد شيت الجومرد ونعمان خير الدين الألوسي.⁸⁷

وقد كان المشرق العربي قبيل النهضة الأخيرة في حالة من التأخر الاجتماعي لا تختلف عما كانت عليه في القرن الثامن عشر، حيث كان الجهل سائداً والحياة العمرانية في الحضيض. فمن الطبيعي والحال هذه أن يكون الأدب العربي في الحقبة الأولى من هذه النهضة شديد الإحساس وشديد الاهتمام بحاجة الناس وضرورة النهوض بأحوالهم، وقد بدا ذلك واضحاً بشكل خاص في البلاد العربية المطلة على البحر الأبيض المتوسط، نتيجة لقربها من الحراك الأوروبي الذي كان يجري على أكثر من صعيد.⁸⁸

وحيثما دخل القرن التاسع عشر كان المشرق الإسلامي يترصد ما يجري في أوروبا التي كانت تعيش حالة هرج ومرج، والحروب قائمة على قدم وساق بين دولها، فلم تحط عن أوزارها إلا بعد نفي الامبراطور الفرنسي نابليون بونابرت إلى جزيرة سانت هيلانة. فكانت بلاد المسلمين مسرحاً لأحداث مشابهة، وهو ما لم يسمح بصرف الفكر إلى العلوم والآداب، وكما يقال إنَّ الحرب والعلم على طرفي نقيض فإن رجح واحد منهما خفَّ الآخر. كما أن المدارس كانت قليلة، وهو ما ساهم في ضعف الحركة العلمية والأدبية في مستهل هذا القرن. أما الكتب فكانت نادرة، أكثرها من المخطوطات الباهظة الثمن التي لا يستطيع الحصول عليها إلا القلة من الناس. وكذلك الطباعة العربية كانت إذ كانت قليلة الانتشار، أما مطبوعات أوروبا العربية فلم يكن يعرفها إلا الأفراد من أهل العلم والدارسين.⁸⁹

على أننا نلاحظ أن الأدب العربي في البلاد العربية كان أول احتكاكه بالحضارة الغربية متحمساً لها، لكنه سرعان ما ظهر له أن الحضارة ليست كلها نعمةً ومباهج، فكما تكون سبيلاً للرفي والهناء تكون أيضاً سبيلاً للتقهقر والشقاء. ومن أسباب هذا التقهقر وذاك الشقاء ما جرته الحضارة معها من ألوان الترف والرخاء والخلاعة. وهذا ما أشار إليه ابن خلدون في مقدمته الشهيرة بقوله: "إنَّ غاية العمران هي الحضارة والتَّرف وأتَّه إذا بلغ غايته انقلب إلى الفساد وأخذ في الهرم كالأعمار الطَّبيعية للحوانات. بل نقول إنَّ الأخلاق الحاصلة من الحضارة والتَّرف هي عين الفساد لأنَّ الإنسان إنَّما هو إنسان باقتداره على جلب منفعه ودفع مضارِّه واستقامة خلقه للسَّعي في ذلك".⁹⁰

⁸⁷ يوسف عز الدين، في الأدب العربي الحديث (بغداد: دار البصري، 1967)، 12-13.

⁸⁸ أنيس خوري المقدسي، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث (بيروت: الجامعة الأمريكية، 1952)، 5/2.

⁸⁹ شيخو، تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والرَّبع الأول من القرن العشرين، 6.

⁹⁰ عبد الرحمن بن محمد بن محمد، أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة (بيروت: دار الفكر، 1988)، 468.

وقد هال كثيرًا من الأدباء ما رأوه في ذلك العصر من طغيان الفساد الاجتماعي حتى قال الشاعر
رضا الشيببي:

تَظُنُونَ هَذَا الْعَصْرَ عَصْرَ هَدَايَةٍ وَأَجْدَرَ لَوْ نَدَعُوهُ عَصْرَ ضَلَالَاتٍ
وقوله أيضًا:

خداعٌ وكذبٌ واقترافٌ وقسوةٌ وظلمٌ أهذا العالمُ المُتمدنُ؟

فالحضارة الغربية جرت معها الى الشرق العربي الكثير من الموبقات، وقد اندفع في تيارها الكثيرون ممن لم يدركوا معنى الحضارة الحقيقي فجرفتهم إلى عواقب وخيمة ومأس مؤلمة تركت أثرها في النفوس، ثم سطرته الأقلام في الكتب والصحف. ولهذا ندد الأدب بجملة المفاصد الاجتماعية التي اقتحمت مجتمعات الشرق المحافظة.⁹¹

أما بالنسبة للعراق في القرن التاسع عشر، فقد كان معزولاً عن الاتصالات الدائمة مع العالم الخارجي، وكان من أقل البلاد العربية تأثراً بالغرب. بيد أن تراثاً حياً من الشعر بقي ماثلاً هناك، فالمساهمة العراقية لم تحظ بما تستحقه من مكانة في هذا المجال على الصعيد العربي، رغم أن شعر العراق كان غزيراً في تلك الحقبة. وكان معظم شعر بلاد الرافدين في ذلك القرن يحوم حول الموضوع السياسي. كما أن تراث الشعر القديم بقي حياً من جيل إلى جيل، فقد حافظت عليه معاهد العلم في جوامع المراكز الإسلامية الموجودة في المدن العراقية الرئيسية، وبخاصة في بغداد والموصل والبصرة، تعزز هذا مع وفرة المواهب الإبداعية التي ساهمت في ازدهار حركة من التبادل الثقافي بين تلك المراكز.⁹²

وقد بذل العراق جهوداً عظيمة للاحتفاظ بالتراث الذي ورثه عبر القرون، على الرغم مما أصاب هذا التراث من ضربات قاسية ونكبات متتالية، تمثلت بالحروب والفوضى السياسية والأوبئة الفتاكة والكوارث الطبيعية كالفيضانات التي قضت على الكثير من ثروته الأدبية حيث تعرضت الكثير من الكتب النفسية إلى الضياع أو التلف، كما ضاعت جهود المبدعين، بسبب الملاحقة أو غياب الاستقرار.⁹³

لكن ذلك لم يمنع من سد الخلل الذي أصاب البلاد في قرون مضت، لتصنع في حاضرها نهضة جديدة يتناصر في تعزيزها أرباب الدولة مع العلماء والأدباء، فقد تحسنت المدارس لاحقاً، وتعددت المطابع،

⁹¹ المقدسي، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، 17/2-18.

⁹² سلمى الخضراء الجيوسي، الاتجاهات والحركات الأدبية في الشعر الحديث، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة (بيروت:

مركز دراسات الوحدة العربية، 2007)، 48-49.

⁹³ العزاوي، تاريخ الأدب العربي في العراق، 7/2-8.

وارتقت الصحافة، وزادت اعداد الكتب المنشورة في مختلف الفنون ما يدل على أن العراق أفاق من غفوته.⁹⁴

يقول محمد مهدي البصير (ت: 1974م) إن الشعراء كثروا في تلك الفترة بشكل واضح، حتى الفحول منهم يعدون بالعشرات، ومن هؤلاء محمد سعيد الحبوبي، وحيدر وجعفر الحليان، والكوازي الكبير، وعبد الباقي العمري وعبد الغفار الأخرس وغيرهم. فالثقافة العربية الإسلامية في العراق -رغم ما لحق به من أذى- لم تنقرض بانقراض الدولة العباسية وإنما ظلت سائرة في طريقها قائمة في أروقة المساجد وحلقات المدارس الدينية. ومع ذلك فقد شهد القرن التاسع عشر الميلادي نهضة علمية أدبية خطيرة، حيث نبغ في العراق آنذاك عدد كبير من أعظم الفقهاء والمحدثين والأدباء.⁹⁵

كما تجدر الإشارة إلى أن الاتجاه الاجتماعي برز بشكل جلي في الأدب العربي في نهضته من خلال جملة من المظاهر، في مقدمتها الدعوة إلى الحياة الجديدة، فقد مر الشرق العربي قبيل النهضة الأخيرة بعقود من التأخر تركت أثرها على الأدب، وعندما بدأت النهضة الأدبية في منتصف القرن التاسع كان الأدب لا يزال تقليدياً للقدماء يتابعهم في أوصافهم وأساليب تعبيرهم. ثم أخذت الأمور تتغير، فنشأ جيل يدعو إلى التجديد، والاهتمام بما توحى إليه الحياة الجديدة، هذه الدعوة صرفت الأدب الحديث عن التقليد الحرفي للقدماء في أوصافهم، فاحتلت الباخرة والقطار محل الجمل والحصان، وطغت أصوات المدافع والقذائف على صلصلة الاسنة والبواتر وتبارت الألسنة والأقلام في وصف الغرائب العصرية وما أحدثته من تطور في حياتنا الاجتماعية.⁹⁶

فالنهضة الأدبية مرتبطة بالنهضة الاجتماعية والثقافية، وبمدى انفتاح البيئة التي تعيش فيها على سائر البيئات، قريبة وبعيدة. والنهضة الأدبية وجه من وجوه الحضارة وعنصر أساسي من عناصرها، تتفاعل معها لتكون رافداً من روافدها المتميزة.⁹⁷

وبرز العامل الاجتماعي أيضاً من خلال مناصرة المبادئ والحقوق الإنسانية. فكما هو معلوم نشأ الأدب العربي في الجزيرة العربية، وكان للعربي الذي عاش في صحراء الجزيرة وباديتها جملة من المبادئ التي يتمسك بها كالإباء ورفض الضيم والذل، وإكرام الضيف والحرص على الشرف إلى غيرها من المبادئ التي حفلت بها قصائد العرب الأولى. لكن في القرن التاسع عشر صار هناك نوع آخر من الحقوق الإنسانية التي سعى العديد من الأدباء إلى الدفاع عنها، والدخول إلى معترك الذب عنها، كالحرية

⁹⁴ شيوخ، تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والرابع الأول من القرن العشرين، 443.

⁹⁵ البصير، نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر، 9-10.

⁹⁶ المقدسي، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، 13-9/2.

⁹⁷ وليم الخازن، تبشير النهضة الأدبية (بيروت: دار العلم للملايين، 1993)، 11.

واحترام الكرامة الإنسانية ورفض الاحتلال والتبعية للغرب وسواها من الأمور التي فتحت قرائح الشعراء واقلام الأدباء.⁹⁸

المطلب الثاني: الواقع الثقافي

يبرز الواقع الثقافي في القرن التاسع عشر في بغداد وسواها من الحواضر العربية بجملة من العوامل التي ساهمت في صناعة ثقافة جديدة، وبالتالي قيام النهضة الأدبية التي تميز بها هذا القرن.

وهذه العوامل هي المدارس، والجمعيات الأدبية، والمطابع والمكتبات، والصحافة التي ارتكزت عليها النهضة الأدبية بشكل واضح، وجعلت عامة الناس على غير ما كان عليه آبائهم وأجدادهم، كما أنها عملت على تحرير الأدب من ربة البلاط الذي ارتبط به طوال قرون مضت، وتوجيه الأدب نحو المسائل التي تهم الناس وترتبط بحياتهم ومشاكلهم وقضاياهم. فبعد أن كان الأدب العربي يعيش على موائد الأمراء ومن هباتهم وأعطياتهم، أصبح يعيش على موائد الشعب، ومن عطائه وهباته.⁹⁹

المقصد الأول: المدارس

من الأسباب التي ساعدت على انتشار الثقافة وبالتالي اتساع المعارف الأدبية وارتقاء اللغة العربية ما أنشئ في الشرق من مدارس. وأول هذه المدارس التي فتحت كانت مدرسة "عين طورا" التي باشرت بالتعليم سنة 1834م، ثم أنشئت بعد تسع سنوات مدرسة للآباء اليسوعيين في كسروان التي بقيت عامرة إلى سنة 1875م وفيها نقلت إلى بيروت فقامت عوضاً عنها مدرسة القديس يوسف الكلية.¹⁰⁰

وقبل إنشاء المدارس الحديثة، كانت الدراسات الإسلامية تقدم في المساجد في الغالب، ثم لما انتشرت المدارس أخذت على عاتقها تدريس مختلف العلوم الدينية والأدبية والتطبيقية، فكثر عدد الدارسين والمتعلمين، وكان لهم الفضل في النهضة التي حدثت في المشرق الإسلامي.¹⁰¹

أما تاريخ نشأة المدارس في العراق فيعود إلى ما قبل ذلك بكثير، وتحديدًا سنة 459هـ تاريخ بناء المدرسة النظامية التي بناها الوزير نظام الملك، وكذلك المدرسة المستنصرية التي بناها المستنصر بالله العباسي سنة 630هـ. ولما دخلت بغداد مرحلة الضياع عقب الغزو المغولي، شمل الضياع هاتين المدرستين، وتوقفت حركة العلم والعمران، إلى أن بنى والي بغداد سليمان باشا الكبير المدرسة السلিমانيّة

⁹⁸ المقدسي، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، 33/2.

⁹⁹ المقدسي، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، 7/2.

¹⁰⁰ شيخو، تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والرابع الأول من القرن العشرين، 49.

¹⁰¹ سليم، الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث، 118.

عام 1206 هـ، تلتها المدرسة العلية التي شيدها علي باشا الشهيد والي بغداد، ثم المدرسة المرادية المعروفة بمدرسة نائلة خاتون، والتي تقع أمام جامع الحيدر خانة، حيث كانت أول أمرها مسكنًا لمراد أفندي أحد رجال الدولة العثمانية وأمرائها، وبعد وفاته أوقفت زوجته نائلة خاتون البيت وحولته إلى مدرسة. توالى بعد ذلك بناء العديد من المدارس على غرار مدرسة جامع علي أفندي، والمدرسة الداودية، ومدرسة جامع الوزير، وغيرها الكثير من المدارس.¹⁰²

وهكذا فعندما انتهى عصر المماليك وجاء الولاة العثمانيون يتعاقبون بأمر من السلطان، بدأوا بإنشاء مدارس في بغداد وغيرها من مدن العراق، لكن هذا العمل لم يبدأ إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بعد أن أسست المدارس الحديثة في الأستانة وبعض الولايات الأخرى فقد أنشأ (مكتب رشدي) في بغداد في زمن الوالي محمد نامق بولايته الثانية (1277 - 1284 هـ - 1861-1961م) ثم أسست ثانوية للبنين في سنة 1870م بعهد الوالي مدحت باشا، تبعثها مدرسة للصناعة. وفي عام 1898م أنشئت مدرسة ابتدائية للبنات في بغداد وتبعثها ابتدائيات أخرى في الألوية. وفي الموصل أسس مكتب رشدي سنة 1861م وبقي وحده حتى سنة 1890م. وكان الاهتمام بالنواحي العسكرية في مقدمة العمل المدرسي فقد أنشأ مدحت في بغداد ثانوية عسكرية سنة 1288 هـ / 1871 - 1872م.¹⁰³

وعلى هذا الأساس فقد صار في بغداد في القرن الثالث عشر الهجري/ القرن التاسع عشر الميلادي، نوعان من المراكز العلمية يسيران في خطين متوازيين. أولهما المدارس الحديثة التي أنشأها العثمانيون، وثانيهما المراكز العلمية القديمة التي حافظ عليها العراقيون بقدر ما يستطيعون. وقد تخرج من هذه المراكز بنوعها أكثر رجال الحركة الفكرية في العراق.¹⁰⁴

وقد كانت المدارس في مطلع القرن التاسع عشر على اختلاف أديانها تعلم اللغة في الكتب القديمة كالأجرمية، وابن عقيل، والحريري، ونحوها. فلما ظهر اليازجي الكبير في أواسط القرن، ألف أرجوزته ومقاماته، وصارت تُعلم في المدارس. ثم ظهر أحمد فارس الشدياق فنظر في اللغة نظرًا تحليليًا، ووضع كتابه (سر الليال في القلب والإبدال) على نسق جديد سرد فيه الأفعال والأسماء الأكثر تداولًا، ورتبها

¹⁰² الهلالي، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني، 70-71.

¹⁰³ الوائلي، لغة الشعر العراقي في القرن التاسع عشر، 96.

¹⁰⁴ نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، 113/11.

بالنظر إلى التلفظ بها لإيضاح تناسبها وتجانسها لفظاً ومعنى، وهو ما مثل أسلوباً جديداً في عرض وتعليم اللغة العربية.¹⁰⁵

المقصد الثاني: الجمعيات العلمية والأدبية

المقصود بها الجمعيات التي تشد أزر العلم والأدب، وتأخذ بيد أهلها، ولم يكن منها في العصور الإسلامية السابقة على الشاكلة التي تكونت في بلاد الإفرنج، غير ما كان من الأسواق في الجاهلية وصدر الإسلام، كعكاظ والمربد ونحوهما، وما كانوا يعقدونه من مجالس الأدب في منازل الكبراء للمساجلة أو المناشدة، وقد يكون ذلك في مجلس امرأة عاقلة أديبة، كما كانت تفعل سكينه بنت الحسين، وعائشة بنت طلحة. كما كان في صدر الدولة العباسية جارية شاعرة مغنية اسمها دنانير، كان أهل الأدب وذو المروءة يقصدونها للمساجلة أو المذاكرة في الشعر، ويدخل في ذلك ما كان يقع في مجالس الخلفاء أو الأمراء من المناظرة، فهذه كلها ترفع شأن الأدب، لكنها ليست من قبيل الجمعيات التي بدأت تأخذ دورها في هذا العصر.¹⁰⁶

وقد تعددت الجمعيات العلمية والأدبية في البلاد العربية وكانت من عوامل تقدم العلوم والثقافة لأنها كانت تحمل الأدباء والعلماء على التكتل وتبادل الآراء، وكانت تسهل لهم سبل الدرس والبحث وتيسر لهم طرق النجاح في مهماتهم. وقد ظهرت أول الأمر في لبنان، وانتشرت بعد ذلك الجمعيات في البلاد العربية.¹⁰⁷

أما في العراق فقط كانت المجالس الأدبية هي البديل -إذا جاز التعبير- لهذه الجمعيات، وهو بديل نجح في أخذ دوره أدبياً على الأقل وهو ما سيستفيض فيه الباحث في الفصل الثاني.

المقصد الثالث: المطابع

تعد الطباعة من أفضل الأدوات التي ظهرت في تلك الفترة حيث وفرت أسباب العلم وعملت على نشره بين جميع الطبقات، بل وحفظه وبقائه، فقد تولت الطباعة إخراج الكثير من الكتب التي صار بمقدور كل راغب الاطلاع عليها، وبذلك سهلت الاتصال بعلوم المتقدمين والمتأخرين، ويسرت طرق التعليم، كما ترتب على وجودها انتشار المطبوعات على مختلف أنواعها، لا سيّما الصحف والمجلات.¹⁰⁸

¹⁰⁵ جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012)، 1455-1456.

¹⁰⁶ زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، 1254.

¹⁰⁷ حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي (بيروت: المطبعة البولسية، 1953)، 922.

¹⁰⁸ سليم، الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث، 111.

والطباعة من أكبر الوسائل في نشر المعارف بين جميع طبقات الأمة. وقد اخترعت في القرن الخامس عشر الميلادي لكن لم تظهر الحروف العربية مطبوعة إلا سنة 1514م في إيطاليا، وفي منتصف القرن السادس عشر عرفت الأستانة الطباعة، بيد أن أول مطبعة دخلت العالم العربي كانت سنة 1610م في دير قزحيا في لبنان.¹⁰⁹

وفي القرن الثامن عشر أخذت الطباعة العربية تفد إلى الشرق، فقامت مطبعة "سعيد بن محمد حلبي" بطباعة كتب اللغة العربية والأدب والتاريخ، وكذلك مطبوعات تركية وفارسية. ومنذ ذلك الحين ازدهرت الطباعة العربية في الأستانة، وأهم مطابعها بعد ذلك هي "الجوانب" لصاحبها أحمد فارس الشدياق الصحفي والأديب اللغوي، حيث أسسها في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، وأصدر عنها جريدة "الجوانب"، وكتب عربية كثيرة.¹¹⁰

صحيح إن الطباعة سبقت بداية القرن التاسع عشر بقليل، لكن المطبوعات العربية في الشرق كانت قليلة لا تتجاوز بعض العشرات وأكثرها دينية كما في مطابع حلب وبيروت والقدس. أما مطبعة بولاق في القاهرة والتي أسست سنة 1821م، فقد قامت بطباعة نحو 300 كتاب في شتى العلوم الحديثة كالرياضيات والطب والفنون العسكرية، في حين كانت الكتب الأدبية قليلة.¹¹¹

أما في العراق فقد أنشأت في الموصل سنة 1856م مطبعة بإدارة الآباء الدومنيكان، والمطبعة الكلدانية سنة 1863م. وظهرت في كربلاء مطبعة حجرية سنة 1856 طبع فيها مقامات الشيخ محمود الألوسي. وفي بغداد أحضر المرزا عباس مطبعة حجرية عرفت بمطبعة كامل التبريزي ونفعت العلوم ببعض المنشورات نحو خمس سنوات. ثم توقفت تلك المطبعة بظهور مطبعة ولاية بغداد سنة 1869م فأصدرت جريدة الولاية ومطبوعات غيرها.¹¹²

المقصد الرابع: المكتبات

ليست خزائن الكتب العربية من محدثات المدنية الغربية، فقد كانت بلاد المسلمين عامرة بالمكتبات قبل أن تصحو أوروبا بأمم طويل، وأكثر ما بين أيدينا من الكتب في الآداب العربية شذرات من بقايا تلك المكاتب. فقد حوت خزائن الكتب العربية في العراق والأندلس ومصر والشام، مئات الألوف من المجلدات،

¹⁰⁹ الفخوري، تاريخ الأدب العربي، 914-915.

¹¹⁰ سليم، الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث، 111-112.

¹¹¹ شيخو، تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والرابع الأول من القرن العشرين، 48.

¹¹² شيخو، تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والرابع الأول من القرن العشرين، 78.

وتجاوز بعضها مليون مجلد، أعظمها كان للخلفاء العباسيين في بغداد، والأمويين في الأندلس، واقتدى بهم في هذه المنقبة وزرأوهم وعمالهم ورجال العلم في أيامهم. على أن هذه الخزائن كان بعضها خاصاً بأصحابه، أو من يأذنون له، وبعضها كان عامّاً أنشئ لخدمة الطلاب، والاستفادة من الأدباء وغيرهم. وأكثر المكاتب العامة أنشأها الخلفاء أو غيرهم من الملوك، مثل: بيت الحكمة في بغداد وغيرها في مصر والاندلس والمغرب والأستانة.¹¹³

إذن فقد عرفت بلادنا المكتبات منذ أمد بعيد، لكن عرفت أيضاً ظلماً وجهلاً أوديا بتلك المكتبات على نحو ما فعل التتر في مكتبات بغداد. لكن القرن التاسع عشر شهد عودة انتشار المكتبات الخاصة والعامة في العديد من الحواضر العربية، وفي بغداد لوحدها كان يوجد نحو 30 مكتبة.¹¹⁴

ولا يخفي ما كان للعراق من القدر المَعْلَى في العلم والأدب، وهي أسبق سائر البلاد الإسلامية إلى إنشاء المكتبات من صدر الدولة العباسية في بغداد والبصرة والكوفة وغيرها من مدائن العراق، التي أصيبت بما أصيب به سواها من العالم العربي الإسلامي، فلما أقبل القرن التاسع عشر تبين أن ما تركته تلك المدنية الضخمة مهما بلغ من انحلالها لا بد من آثار تدل عليها في العديد من مدن العراق، لا سيّما في بغداد التي حوت عشرات المكتبات منها على سبيل المثال لا الحصر، المكتبة المرجانية التي أوقف كتبها السيد نعمان الألوسي، ومكتبة الخالدية، ومكتبة الحيدر خانة التي غلب عليها كتب الدين والفقه والحديث والنحو، ومكتبة الفضل، ومكتبة الأعظمية وأغلب مصنفاتها دينية كالتفسير، ومدرسية كالصرف والنحو. وكذلك هناك المكتبة المرادية والمكتبة القادرية، وغيرها.¹¹⁵

المقصد الخامس: الصحف

ظهرت الصحافة في شكلها الحديث كنتيجة لانتشار المطابع، وقد بدأت في أوروبا ثم انتقلت إلى بلاد الإسلام، وصارت إحدى وسائل نشر العلم والأدب والثقافة، وميدان رحب للنقد وتبادل الأفكار، فضلاً عن دورها في تسجيل الحوادث والأخبار، وإحدى وسائل الاتصال بين الشعوب وتلاقح ثقافتها.

ومما امتاز به القرن التاسع عشر في المشرق هو إنشاء الجرائد، وأول جريدة كانت في أزمير أنشأها المسيو بلاك سنة 1825م ودعاها "بريد أزمير" ثم استدعاه السلطان محمود الثاني إلى إسطنبول

¹¹³ زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، 1284.

¹¹⁴ الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، 923-924.

¹¹⁵ زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، 1318-1333.

فأنشأ فيها جريدة فرنسية دعاها "البشير العثماني" سنة 1831م، ثم أعقبها في السنة التالية بجريدة تركية تدعى "تقويمي وقائع".

أما الصحافة العربية فنشأت أولاً في مصر، فقد أنشئت سنة 1828م جريدة (الوقائع المصرية) التي كانت في عهد محمد علي باشا، وكان ظهورها ثلاث مرات في الأسبوع، ثم انتشرت الجرائد بعد ذلك في العديد من مدن المشرق.¹¹⁶

وإذا كان عاملا الطباعة والصحافة قد لعبا دوراً فاعلاً في حركة النهضة الأدبية في سوريا ومصر، فإنه لم يكن كذلك في العراق، فعلى الرغم من أن الصحافة قد وجدت في وقت مبكر، مع جريدة الزوراء التي صدرت عام 1869م، إلا أن صحيفة واحدة لا يمكن أن تؤدي وظيفتها في حركة النهضة الأدبية، ومع ذلك فقد كانت جريدة الزوراء حجر الأساس في ولادة الصحافة العراقية، وارتبطت كذلك بأول مطبعة أنشأت في العراق، وهي مطبعة الزوراء التي جلبها الوالي مدحت باشا من فرنسا.¹¹⁷

لكن هناك من الباحثين من يرى أن (جورنال عراق) كانت أول جريدة عراقية وعربية، صدرت في السنة الأولى من حكم الوالي داود باشا عام 1816 ببغداد. وقد جاءت بعد قرنين من صدور أول صحيفة أسبوعية هي «ريلاسيون» في ستراسبورج عام 1605. وبذلك فهي سبقت أول صحيفة مصرية «الوقائع المصرية» باثني عشر عاماً. وكانت تطبع في مطبعة حجرية وتنتشر في اللغتين العربية والتركية وتذاع فيها أحداث القبائل، وأنباء العراق وأخبار الدولة العثمانية وقوانين البلاد وأوامر الوالي والاصلاحات الواجب إجراؤها وأسماء الموظفين وغيرها من الحوادث. وكانت توزع على قادة الجيش وكبار موظفي الدولة وأعيان المدينة. وتعلق منها نسخ على جدران دار الإمارة ليطلع عليها من يهمه الوقوف على أخبار البلاد.¹¹⁸

ومما هو جدير بالملاحظة، أن أهمية الصحافة، لم تقف عند حدود نشاطها السياسي والنضالي وحسب، بل تعدت ذلك إلى بث الوعي الفكري والثقافي، فبالإضافة إلى ما ترعاه من مقالات سياسية واجتماعية وغيرها، تعهدت الصحافة الشعراء والأدباء بالعناية والرعاية وذلك بنشر إنتاجهم من الشعر والنثر، وغير ذلك مما أسهم في نهضة الأمة الثقافية والأدبية. وعلى هذا الأساس، فإن عنصر الصحافة كان واحداً من العوامل المؤثرة في نشاط الحركة الثقافية، لا سيما وأن الذين أسهموا فيها كانوا يكتبون في

¹¹⁶ الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، 917.

¹¹⁷ الحمداني - أحمد، الأدب العربي الحديث دراسة في شعره ونثره، 19.

¹¹⁸ رفائيل بطي، الصحافة في العراق (القاهرة: معهد الدراسات العربية العالية، 1955)، 10.

كل ميدان، فلم يقتصر الشاعر منهم على نظم الشعر، ولا الناقد على توجيه مقالاته الأدبية، بل كان الواحد منهم شاعرًا وناقداً ومفكرًا وثنائراً اجتماعيًا أو مناضلاً سياسيًا أو مصلحاً دينياً.¹¹⁹

ينبغي الإشارة هنا، إلى أن لغة هذه الصحف والمجالات كانت تسير نحو التطور، حيث كانت احد أسباب الجنوح إلى السهولة والوضوح والجزالة معاً في الأسلوب، وذلك لأن من أهم ما كانت تعنى به، لغتها وأسلوبها، عبر اعتماد السهولة والوضوح، مع حسن العرض ورعاية الذوق البلاغي والمحافظة على قواعد اللغة مع تجديد التعبير، عبر جملة من المصطلحات والصيغ والتعابير اللغوية التي بدأت تظهر في اللغة العربية، دون إغفال أن بعض الصحف لا يخلو من الإسفاف أحياناً وحشو العبارات باللهجات العامية والدخيل والعبارات السوقية، بل تجرأ البعض بالدعوة إلى نبذ الفصحى، وهي دعوة وجدت من تصدى لها وفندها.¹²⁰

وعلى أي حال فإن الصحافة كانت واحدة من العوامل المؤثرة في نشاط الحركة الثقافية، لا سيما وأن الذين أسهموا فيها كانوا يكتبون في كل ميدان، فلم يقتصر الشاعر منهم على نظم القصائد، ولا الناقد على مقالاته الأدبية، بل كان الكثير منهم يمارس إلى جانب ذلك فنه الذي يجيد دوره في الإصلاح.¹²¹

تجدر الإشارة هنا، إلى ما كتبه الأستاذ أحمد حسن الزيات (ت: 1968م) عن أثر الصحافة السلبي على اللغة العربية عبر مساهمتها بإفشاء العامية وخفض الملكة البلاغية، حيث يقول إن الصحافة إلى جانب السرعة والتطفل هي البلايا الثلاث التي ابتليت بها البلاغة العربية. ويعلل رحمه الله سبب ذلك بأن جريرة الصحافة -وهي من فنون الأدب المستحدثة - على البلاغة أنها أوشكت أن تستبد بالمجال الحيوي للكتابة. فعمل الصحافة هو رواية الأخبار، وتسجيل الأحداث اليومية، ونشر الثقافة العامة؛ وهي في كل ذلك تخاطب الجمهور فلا غنى لها عن لغة التبسيط والتبذل والإسفاف والإطناب مراعاة للموضوعات التي تكتب فيها، وللطبقات التي تكتب لها، وللسرعة التي تعمل بها. من أجل ذلك طغت العامية، وفشت الركافة، وفسد الذوق، وأصبحت العناية بجمال الأسلوب تكلفاً في الأداء، والمحافظة على سر البلاغة إلى الوراء، ولم يبق للمخلصين للغة الوحي وأدب الرسالة إلا أن يكتبوا لأنفسهم ولمن يعصمهم الله من أعقاب هذا الجيل.¹²²

119 الحمداني - أحمد، الأدب العربي الحديث دراسة في شعره ونثره، 21.

120 سليم، الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث، 116-117.

121 الحمداني - أحمد، الأدب العربي الحديث دراسة في شعره ونثره، 21.

122 أحمد حسن الزيات، دفاع عن البلاغة (القاهرة: عالم الكتب، 1967)، 21-22.

وإذا سلمنا برأي الأستاذ الزيات بهذا الخصوص، فإن ذلك لا يلغي دور الصحافة، لا سيّما الرصينة منها، ومساهمتها في حركة الأدب والثقافة، بل هو دليل على مدى تأثيرها سلبيًا، وإيجابيًا كما يرى الكثيرون في ردد النهضة الأدبية ودفعها إلى الأمام.





الفصل الثاني: معالم الحركة الأدبية في بغداد وفنونها



بعد عصور الازدهار أيام العباسيين، دخلت الحياة الأدبية والفكرية بعد احتلال بغداد في سبات عميق لقرون، كاد يمزق أوصالها وينتهي بها إلى الشعور بفقدان شخصيتها، وضياح هويتها إلا أن لغتها ظلت تحتفظ بعناصر القوة والأصالة بفضل القرآن العظيم، الذي حفظ لها عوامل الصلة بين أبنائها وبين غيرهم من أبناء الأمم الأخرى، وظل الإسلام الأصرة القوية بين شعوب الأمة الإسلامية على اتساع جغرافيتها.¹²³

ومع إطلالة القرن التاسع عشر، بدأت الروح تدب في التيار الأدبي ببغداد كما حدث في باقي الأمصار العربية، لكن هذا التيار امتاز عن سواه بوحدة الثقافة العامة والمعرفة الأدبية، فجميع الأدباء من طلاب المساجد والمعاهد الدينية الذين تأثروا بتيارات تكاد تكون واحدة، وإن كان هناك اختلاف في الإنتاج فأساسه عمق الثقافة والذكاء، فضلاً عن التجربة الفردية والانفعالات النفسية، وما اختلف الإنتاج قوة وجزالة، إلا من باب الفروق الفردية كما يقول علماء النفس.¹²⁴

وفي الحقيقة فإن العديد من الأحداث السياسية والعوامل الفكرية والأسباب العلمية، منذ بداية القرن التاسع عشر، كانت تشير إلى حالة التملل، الذي انتهى في منتصف ذلك القرن إلى يقظة أدبية وفكرية وسياسية، ما لبثت أن حققت لها الكثير مما كان ينشده أبنائها على مدى عدة قرون، وما لبثت هذه النهضة أن نضجت أكثر، بفضل ممن قيضة الله من أبناء الأمة من المصلحين، والأدباء والمفكرين، حتى وجدنا صورة الأدب بعد منتصف هذا القرن، تتميز تميزاً ملحوظاً عما كانت عليه في بدايته.

المبحث الأول: الأسر والمجالس العلمية والأدبية في بغداد

مثلت الأسر والمجالس العلمية والأدبية في بغداد علامة بارزة على النهضة الأدبية التي بدأت في القرن التاسع عشر، حي اضطلعت بدور يشبه ما قامت به الجمعيات العلمية والأدبية التي شهدتها بلاد أخرى، كما هو الحال في مصر والشام.

وفي هذا المبحث يسلط الباحث الضوء على هذين الركنين من أركان النهضة الأدبية في العراق عامة، وبغداد على وجه الخصوص.

¹²³ الحمداني - أحمد، الأدب العربي الحديث دراسة في شعره ونثره، 13.

¹²⁴ عز الدين، في الأدب العربي الحديث، 11.

المطلب الأول: الأسر العلمية والأدبية

من يستقرئ واقع الفكر في العراق يجد أنه بقي طوال قرون مستنداً على النهج التقليدي القديم في دراسة آثار السابقين وتدقيقها، وخاصة في علوم الشريعة الإسلامية. ولم يحصل تجديد يذكر في دراسة العلوم بسبب عدم تعرضه لأي تأثيرات ثقافية جديدة.¹²⁵

لكن مع مجيء القرن قبل الماضي، بدأ المشرق العربي ومنه العراق يشهد بروز عائلات تحمل العلم والأدب من الأجداد إلى الأحفاد. ومن هذه العائلات أو البيوتات في مصر، الشرقاويون والرازيون (آل عبد الرزاق) والرافعيون وغيرهم. وكذلك كان الأمر في بلاد الشام، فقد اشتهرت عوائل عديدة منها اليازجيون والبستانيون والشرتونيون. أما في العراق فقد اشتهرت في بغداد بيوتات كثيرة تمتاز بتلقي العلم والأدب بين أبنائها، وأشهر هذه البيوتات الألوسيون والسويديون والواعظون والرحبيون والحيدريون والزهاويون والطبجليون، وغيرهم.¹²⁶

فبعدما عاش العراق أوضاعاً صعبة على مدى قرون، نشأت في بغداد فئة نبيلة شعرت بحاجة الأمة إلى العلم، فشمرت عن سواعد الجد والاجتهاد، وسعت دون أن يعترها فتور أو كلال، لتعيد ذكريات العز والسؤدد التي عاشتها حاضرة العباسيين في عصورها السالفة، ولتسترجع قسطاً من مكانتها كمركز للعلم ومنار للأدب. فقد أنجبت مدينة السلام في تلك الأعوام أسراً عديدة أسهمت في وضع قواعد النهضة الأدبية لتمتد أغصانها الوارفة بعد ذلك لعقود. فقدمت تلك الأسر رجالاً برزوا في شتى ميادين العلم والأدب، وضربوا من كل فن بسهم وافر.¹²⁷

وقد تعددت بيوتات البغداديين، بتعدد مهن أهلها واهتماماتهم، فكما وجدت بيوت التجار والصناعيين كبيت السيد فتاح وبيت ملا إسماعيل وبيت الدباغ، وجدت بيوت أهل العلم والفقهاء كبيت النقيب، نسبة إلى نقيب أشراف بغداد ومتولي الحضرة القادرية السيد محمود أفندي ابن السيد رجب، وكذلك بيت السيد العشاري، وبيت الراوي، وعشرات البيوتات الأخرى.¹²⁸

وامتازت العوائل البغدادية فوق أنها تحمل الصفة العلمية التي تتوارثها، فهي اختصت بصفة أخرى لا تقل عن الأولى أهمية وخطورة، ألا وهي فروع العلوم من منطق وكلام وأدب وحديث، تنحصر في عائلة منها فقط، ويبقى هذا الفرع في نماء وازدهار في الأجيال التالية من العائلة نفسها، فمثلاً: اشتهر بيت السويدي بالحديث والمنطق، وبيت الواعظ بالوعظ، وبيت الزهاوي بالمنطق والكلام، وكثير من الفقهاء

¹²⁵ نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، 109.

¹²⁶ أحمد حسن الزيات، مجلة الرسالة (القاهرة: دار الرسالة، د.ت)، 10.

¹²⁷ محمد بهجة الأثري، أعلام العراق (القاهرة: المطبعة السلفية، 1345)، 6-7.

¹²⁸ عبد الرحمن حلمي السهروردي، تاريخ بيوتات بغداد في القرن الثالث عشر للهجرة (بغداد: الجواد للطباعة والنشر، 1996)، 27 وما بعدها.

ظهروا من بيت الطَّبَّجلي والرحبي. يضاف إلى ذلك ما لانهصار الثقافة العلمية في العائلة الواحدة من أثر عظيم في خلق الجو العلمي والأدبي في صقل المؤهلات وتقويم الملكات والتوجيه الصحيح المستقيم.¹²⁹ وهكذا نجد أن الظروف تهيأت للنهضة الأدبية في العراق من خلال تهيئة حماة وأنصار لم يكونوا في الحسبان، من هؤلاء الأسر العراقية النبيلة، كالنقيب وهم أهل علم وأرباب جاه وثراء عظيمين، وآل الشاوي، وهم رؤساء قبيلة، نبغ منهم شاعران مجيدان هما أحمد بك وابنه عبد الحميد بك، وآل كبة وهم أرباب تجارة إلا أن بينهم كان ملتقى العلماء والأدباء والشعراء.¹³⁰

وسيسلط الباحث الضوء على مجموعة من الأسر العملية البغدادية وأبرز أعلامها:

المقصد الأول: الألوسيون

الألوسيون هم قوم من أدباء بغداد أحبوا العلوم والآداب فأوقفوا نفوسهم لخدمتها ونشروا معالمها في بلادهم. وأصلهم من ألوس إحدى قرى الفرات بمحافظة الأنبار اليوم. انتقلوا إلى بغداد وامتازوا فيها بحسن الخصال. ولما كانت أواسط القرن التاسع عشر برز بينهم أولاد السيد صلاح الدين ابن السيد عبد الله الألوسي. وكانوا ثلاثة رضعوا كلهم الأدب وذهبوا في فنونه كل مذهب.¹³¹

وأولهم أبو الثناء شهاب الدين السيد محمود أفندي المعروف بالشهاب الألوسي.¹³²

واشتهر في زمانه أخواه عبد الرحمن وعبد الحميد فعرف الأول بفصاحة لسانه وخلاصة أقواله في الخطابة والوعظ، بيد أنه لم يكن كأخيه أبي الثناء في العلم والفضل، بل كانت مراجعته للمواعظ والأحاديث أكثر، وللفقه أوفر، فقد كان مشغولاً بالخطب والوعظ والإفتاء وكان يدرس العلوم الدينية في أكبر جوامع الكرخ إلى وفاته سنة 1284هـ/ 1867م، عن عمر ناهز الثالثة والستين سنة.¹³³

أما عبد الحميد الألوسي وهو الشقيق الأصغر لأبي الثناء، فكان كفيف البصر بعد إصابته بالجذري، لكن ذلك لم يمنعه من طلب العلوم فأخذها عن أخيه محمود الذي أجازته في علوم النقل والعقل والفروع، فراح يدرس في مدرسة نجيب الدين السهروردي ببغداد، ويقصده الناس للاستماع إليه حتى من عليه القوم، وفي مقدمتهم علي رضا باشا والي بغداد. ترك العديد من المؤلفات أهمها كتاب (نثر اللآلي على نظم

¹²⁹ الزيات، مجلة الرسالة، 10-11.

¹³⁰ البصير، نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر، 11-12.

¹³¹ شيوخ، تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والرابع الأول من القرن العشرين، 90.

¹³² مزيد عن ترجمة أبي الثناء الألوسي سيكون في الفصل الثالث بعون الله وتوفيقه.

¹³³ محمد سعيد الراوي، تاريخ الأسر العلمية في بغداد، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف (بغداد: دار الشؤون الثقافية، 1997)، 204-205.

الأمالي)، كانت ولادة عبد الحميد سنة 1232هـ (1817م) وطالت حياته لأكثر من 90 عامًا، حتى توفي

سنة 1324هـ. 134

وقد كان رحمه الله شاعرًا رقيق الشعر حسن الأسلوب، عذب الألفاظ، ومن شعره قوله في أحد مشايخه:

تَنُوحُ حَمَامَاتُ الْهَوَى وَأَنُوحُ	وَأَكْتُمُ سِرِّي فِي الْهَوَى وَتَبُوحُ
وَتَعِجُمُ إِنْ رَامَتْ أَدَاءَ مَرَامِهَا	وَلِي مَنَاطِقُ فِيمَا أَرُومُ فَصِيحُ
لَهَا مُقْلَةٌ عِنْدَ التَّنَائِي قَرِيرَةٌ	وَلِي مَدَمْعُ يَوْمِ الْفِرَاقِ سَفُوحُ
مَزَايَاكَ فِي هَذَا الزَّمَانِ كَأَنَّهَا	صَبَاحُ بِأَحْلَاكِ الظَّلَامِ صَبِيحُ

يقول العلامة محمد بهجة الأثري إن الألوبيين سادة أشراف، محبوبو الأطراف، ضموا إلى زينة النسب، حلية الأدب، فتفياؤوا في الشرف مكانًا عليًا، وهم على ثبوت نسبهم من أبعد الناس عن التفاخر في الأنساب، ولعمري إن انتسابهم إلى العلم ليكيفهم. 135

المقصد الثاني: السويديون

بيت علم وفضل وأدب ومشیخة، أصلهم من منطقة الدور قرب سامراء أو "سر من رأى" عاصمة المعتصم العباسي، انتقلوا إلى بغداد وعرفوا بين أكابر علمائها، وكان جدهم الشيخ عبد الله، قد استوطن الدور لطلب العلم، وصار له أولاد، من بينهم الشيخ المحقق محمد أمين بن علي، كما خرج من هذا البيت رجال علم وفضل كثر، عرفوا بالصلاح والزهد، وأسهموا إسهامًا واضحًا في نهضة بغداد العلمية والأدبية. 136

وقد كان من السويديين رجال من أفاضل بغداد، وأكابر علمائها الأجلاء، وبيتهم كان من أشهر البيوت ضم نخبة من العلماء. وآل السويدي من الأسر العربية الهاشمية ترجع إلى عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما). وأول من قيل له السويدي منهم، الشيخ

134 الراوي، تاريخ الأسر العلمية في بغداد، 207-210.

135 الأثري، أعلام العراق، 9.

136 عباس العزاوي، "النثر الأدبي ومصادره في العهد العثماني"، مجلة المجمع العلمي العراقي 9 (1961)، 245؛ والسهروردي، تاريخ بيوتات بغداد في القرن الثالث عشر للهجرة، 84.

محمد سعيد أفندي ابن الشيخ عبد الله أفندي، والذي قال له ذلك، الملا حسين أفندي الراوي، وكان شريكه في الدرس عند الملا نوح الحديثي في المدرسة العمرية، بجانب جامع القمرية.¹³⁷

انتقل السويديون إلى بغداد وعرفوا بين أكابر علمائها، منهم الشيخ أبو البركات عبد الله السويدي صاحب المؤلفات الأدبية العديدة كشرح دلائل الخيرات، وكتاب مقامات بليغة، والأمثال السائرة، والرحلة المكية. وقد توفي عام 1170هـ، 1756م. ومن أعلام السويديين أيضاً الشيخ أبو الخير عبد الرحمن زين الدين البغدادي السويدي ابن أبي البركات، وكان ذا باع طويل في العلوم الدينية واللسانية. ولد سنة 1134هـ وتوفي سنة 1200هـ (1722 - 1786م) فأرخه أخوه الشيخ أحمد السويدي بقوله من أبيات:

وفارقنا فرداً فقلتُ مؤرخاً أبو الخير في أزكى الجنان نزيلُ
وكان الشيخ أحمد قد رد على الملحدين بكتاب سماه الصاعقة المحرقة في الرد على أهل الزندقة.
توفي سنة 1210هـ وكان مولده سنة 1153هـ (1740 - 1795م).

ومن السويديين الشيخ علي ابن الشيخ محمد سعيد السويدي المتوفي سنة 1237هـ (1822م) له كتاب في تاريخ بغداد. ومنهم أيضاً الشيخ أبو الفوز محمد أمين السويدي أحد كبار الكتّاب في بغداد وله مؤلفات جليلة في عدة فنون منها كتاب "سبائك الذهب في معرفة أنساب العرب"، وكتاب "الجواهر والياقيات في معرفة القبلة والمواقيت"، ورسالة في الواجب والممكن، وله شرح تاريخ ابن كمال باشا مع نظم لطيف. كانت وفاته عام 1246هـ الموافق 1830م. كذلك اشتهر من السويديين، الملا نعمان السويدي ابن الشيخ محمد سعيد ابن أحمد وهو خاتمة السويديين توفي في رجب سنة 1279هـ 1863م.¹³⁸

المقصد الثالث: بيت الحيدري

بيت علم وفضل وسيادة، نشأ فيه علماء أعلام وجهابذة عظام، انتهى إليهم العلم في الديار العراقية، واقتصر هذا البيت على الإفتاء للشافعية والحنفية، وذلك قبل طاعون بغداد الشهير، لكن بعد الطاعون اختص بهم إفتاء الشافعية فقط. وأول من ورد بغداد من هذه العائلة صبغة الله أفندي، وكان رحمه الله عالماً فذاً عكف على التدريس والإفتاء، وقد كان علامة العراق في عصره. توفي في بغداد سنة 1279هـ الموافق

¹³⁷ محمود شكري الألوسي، المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر، تحقيق عبد الله الجبوري (الرياض: دار العلوم، 1982)، 123-124.

¹³⁸ شيخو، تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والرابع الأول من القرن العشرين، 92-93.

1862م، وشيع في موكب مهيب ودفن في باب الشيخ بمقبرة الحضرة القادرية. وقد أعقب من بعده أبنائه

الذين كانوا أيضًا علماء أجلاء هم: عبد الله أفندي وغيث الدين وحيدر محمد أمين.¹³⁹

أما ابنه عبد الله أفندي فقد أخذ العلم عن والده وبعض معاصريه، حتى صار من كبار علماء عصره، واشتغل في التدريس والتأليف، وعلى نهجه سار أبنائه وأولهم السيد أسعد صدر الدين مفتي الحنفية في بغداد الذي ظل مشغولاً بالتدريس والتصنيف لأربعين عامًا، وأخذ عنه العديد من العلماء. وقد استمرت سلالة العلماء في هذه الأسرة، منهم السيد عبيد الله ابن عبد الله أفندي مفتي الحنفية، والسيد عبد الله أفندي ابن غياث الدين الحيدري، مفتي الشافعية، والسيد عبد الغفور أفندي مفتي الشافعية ابن أسعد صدر الدين الحيدري، وغيرهم.¹⁴⁰

المطلب الثاني: مجالس بغداد الأدبية

إنَّ الكتابة عن مجالس الأدب، وما يجري فيها من مطارحات ومناظرات وملح أدبية، تعتبر تسجيلًا تاريخيًا مهمًا ينبغي أن يستأثر بعناية الباحثين واهتمامهم. وهذا ما دفع مؤرخي السير الأدبية إلى عقد الفصول الطوال، وربما المجلدات عن مجالس الشعر والأدب، ولعل كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني – على ما عليه من مؤاخذات - من هذه الكتب الذي ضم أخبار أدباء العرب في مجالسهم ومناظراتهم ومنادماتهم الشيقة.¹⁴¹

ففي الوقت الذي قلت فيه وسائل العلم والمعرفة الحديثة كالمدارس والمعاهد، ولم تكن وسائل الإعلام من صحف قد شاعت، لم يكن أمام عامة الناس ونخبهم وسيلة لزيادة معرفتهم وثقافتهم سوى الحضور إلى المجالس والندوات الأدبية والعلمية التي كانت تعقد في المساجد في إحدى حلقات رجال العلم البارزين، كما هو الحال بالنسبة لمجلس السيد علي الكيلاني، نقيب الأشراف في بغداد الذي كان ينعقد في ديوان الحضرة الكيلانية، أو في بيوت فئات المجتمع المثقفة، التي تولي العلم وأهله رعاية خاصة. وكانت هذه المجالس تضم مختلف فئات المجتمع، لا يجمع بينها إلا حب العلم والأدب، وكثيرًا ما تحولت تلك المجالس إلى ندوات فكرية، كذلك التي كانت تجرى في مجلس العلامة أبي الثناء شهاب الدين محمود الألوسي مفتي بغداد في النصف الأول من القرن التاسع عشر. إذ كان يتردد إلى هذا المجلس أهل العلم

¹³⁹ الراوي، تاريخ الأسر العلمية في بغداد، 108-110.

¹⁴⁰ الراوي، تاريخ الأسر العلمية في بغداد، 112-113.

¹⁴¹ حسين حاتم الكرخي، مجالس الأدب في بغداد (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2003)، 13.

والأدب، وقد لازمه الشاعران عبد الباقي العمري¹⁴² وعبد الغفار الأخرس¹⁴³ اللذان صار لهما مجالس مماثلة فيما بعد، وهو ما كان له أعظم الأثر في إنعاش الحركة الأدبية والعلمية في بغداد.¹⁴⁴

وهكذا فقد حفلت بغداد على مدى القرن التاسع عشر بمجالس عامرة انتظمت حلقاتها في البيوت والمقاهي وإدارات الصحف وغيرها من الأماكن التي كانت تمثل منتديات أدبية للكثير من أصحاب الفكر والأدب. كما كان الكثير من هواة الأدب والناشئة يقصدون تلك المنتديات ليستمعوا ويستمتعوا بمطارحات شيوخها وطرائفهم الأدبية. فهذا يلقي قصيدة وذاك يروي نادرة والآخر يناقش موضوعاً وكأنهم على منابر المربد أو في سوق عكاظ. وكانت تلك المجالس الأدبية تنعقد في أيام معينة من الأسبوع يحضرها الخاصة من أهل الشعر والأدب والسياسة والصحافة.¹⁴⁵

وسياخذ الباحث بإيجاز بعضاً من هذه المجالس:

المقصد الأول: مجلس نقباء الأشراف

تعد الأسرة الكيلانية من الأسرة البغدادية العريقة. فبعد انقضاء الخلافة العباسية ودخول البلاد العراقية في حوزة الدولة العثمانية، تولت العائلة الكيلانية مهمة النقابة في بغداد. والأسرة الكيلانية تنسب إلى الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمه الله (470 - 561 هـ / 1077 - 1165 م). وكان من جملة من تولى النقابة المذكورة من أولاد الشيخ عبد العزيز السيد عبد الرحمن أفندي النقيب العلامة الفاضل. وكذلك عمه النقيب السيد علي أفندي. ومنهم السيد محمود أفندي النقيب الذي ذكره الألوسي في غرائب ومقاماته. وحيث إن هذه العائلة قد انقرضت تقريباً فلم يبق منها إلا بعض الأشخاص، فإن النقابة انتقلت بموت السيد محمود أفندي النقيب في أيام الوالي علي رضا باشا اللار إلى السيد علي أفندي بن السيد سلمان والد العائلة الموجودة.¹⁴⁶

والمنتبغ لتاريخ وجود هذه العائلة في بغداد وتوليها النقابة وتولية الأوقاف القادرية يرى أنها وجدت في بغداد في سنة 950 هـ. ثم إن المرحوم السلطان مراد خان حينما طرد الإيرانيين من العراق ورأى ما

¹⁴² عبد الباقي بن سليمان بن أحمد العمري الفاروقي الموصلية (1204 - 1279 هـ / 1790 - 1862 م)، شاعر ومؤرخ، ولد بالموصل، وولي فيها ثم ببغداد أعمالاً حكومية، وتوفي ببغداد. وفيه: أنه كان يلقب بالفوري، لإنشاده الشعر على الفور. يُنظر: المكتبة الشاملة، تراجم شعراء الموسوعة الشعرية (د.م: د.ن، د.ت)، 453.
¹⁴³ عبد الغفار بن عبد الواحد بن وهب الأخرس (1225 - 1290 هـ / 1810 - 1873 م)، شاعر من فحول المتأخرين، ولد في الموصل، ونشأ في بغداد، وتوفي في البصرة، ارتفعت شهرته وتناقل الناس شعره، ولقب بالأخرس لحبسة كانت في لسانه، له ديوان يسمى الطراز الأنفس في شعر الأخرس. يُنظر: المكتبة الشاملة، تراجم شعراء الموسوعة الشعرية، 198.

¹⁴⁴ نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، 214/10.

¹⁴⁵ الكرخي، مجالس الأدب في بغداد، 14.

¹⁴⁶ الراوي، تاريخ الأسر العلمية في بغداد، 306-307.

فعلت يد الأعاجم بالحضرة الكيلانية وجامعها أعاد إليهما ما ذهب من رونق وبهاء وأمر بجعل الرسوم الأميرية لأملاك هذه العائلة ولأوقاف زين الدين وشمس الدين وقفًا أيضًا وأقطعها بعض الأراضي لتكون مع الوقف عونًا على إعمار الحضرة وتعهد المحتاجين من المرابطين وإطعام الفقراء والزوار، ومنح جميع أفراد العائلة ما يكفي لمعيشتهم. وبسبب هذا الالتفات والرعاية وتقديمه لهذه العائلة أصبحت العائلة المذكورة محترمة الجانب، مرعية في نظر أهل بغداد وحكامها، لا سيّما وأن كثيرًا من النقباء من هذه الأسرة، كانت لهم مواقف مشهودة ومقامات محمودة.¹⁴⁷

ومن أكبر مجالس هذه الأسرة، مجلس السيد علي ابن السيد سلمان نقيب الأشراف ابن السيد مصطفى الكيلاني، وهو من أشراف بغداد ورجالات العراق المعروفين. كان من أعيان عصره، جمع إلى شرف النسب شرف العلم وتحلى بفنون الأدب. عرف السيد علي بشمائله الطيبة وأخلاقه الكريمة، ما جعل قلوب الناس تهوي إليه وتتهافت على مجلسه الذي كان يعقده في ديوان الحضرة الكيلانية، فيحضره رجالات الفضل وأعيان الأمة وزعماء الدين. وجاء من بعده ولده السيد سلمان نقيب الأشراف، وكان على غرار والده رجلًا فاضلاً، وكان له عدة مجالس منها ما كان يعقد في داره العامرة بمحلة باب الشيخ، وقته من المغرب إلى ما بعد صلاة العشاء، ومنها ما كان يعقد في الحضرة القادرية، ومجلس آخر في داره بالكرادة الشرقية، حيث كانت تلك المجالس تضم العالم والأديب والشاعر والكاتب والسياسي والإداري والتاجر، إلى غير ذلك من أصحاب المهن والولاء والوزراء والأمراء والعسكريين، وحتى أصحاب الحاجة من عامة الناس. وقد توارث هذه المجالس السادة الأشراف جيلاً بعد جيل.¹⁴⁸

المقصد الثاني: مجلس آل الواعظ

بيت الواعظ من البيوت المعروفة مكانتها المشهورة منزلتها في بغداد. أصلهم من الشام، نزحوا منها إلى هيت غربي العراق ومن هيت نزحوا إلى الأعظمية، قبل أن يستقروا في محلة باب الشيخ.

وكانوا يلقبون بآل الأدهمي، نسبة إلى جدهم الأعلى الإمام الزاهد إبراهيم بن أدهم. وقد كان لمجلسهم العلمي صيت كبير وصدى واسع في مختلف المحافل العراقية، تأتي إليه الوجوه والأعيان والعلماء والشعراء وأرباب المهن، ويفزع إليه ذوو الحاجة ويستغيث به المضطر، حيث يجد ضالته. وكان هذا المجلس أشبه بجامعة يتخرج منها العالم والأديب والكاتب والتاجر المحترف. وقد اشتهر من هذا المجلس عدة رجال منهم العلامة القاضي السيد محمد بن السيد جعفر الأدهمي، والعلامة الشهير أبو يوسف الثاني، والعلامة السيد محمد أمين الواعظ، والعلامة واعظ بغداد السيد إسماعيل الواعظ وغيرهم الكثير.¹⁴⁹

¹⁴⁷ الراوي، تاريخ الأسر العلمية في بغداد، 307-308.

¹⁴⁸ إبراهيم الدروبي، البغداديون أخبارهم ومجالسهم (بغداد: مطبعة الرابطة، 1958)، 5-8.

¹⁴⁹ الدروبي، البغداديون أخبارهم ومجالسهم، 23-24.

المقصد الثالث: مجلس آل الجميل

أسرة آل الجميل من الأسر المعروفة برفعة المكانة، وعلو المقام والزعامة في العلم والأدب والسياسية في الأوساط العراقية، أصلها من سوريا، نزحت إلى حديثة غربي العراق ثم استقرت في بغداد. ومن مشاهير هذه الأسرة، مفتي بغداد الأسبق العلامة عبد الغني الجميل،¹⁵⁰ صاحب المقام الرفيع والكلمة النافذة، كان عالماً متضللاً وكاتباً بليغاً وفقهياً وأصولياً ومحدثاً، حتى فوضت إليه مقاليد العلم في بغداد. أعقبه بعد ذلك العلامة محمد أفندي الجميل الذي اقتبس خصال الخير من والده، وأخذ بأسباب المجد من رجالات أسرته. ثم خلفهم رجل ساعته في عالم السياسة، وقطب رحي في الإدارة السيد عيسى غياث الدين الجميل، فضلاً عن سلسلة طويلة من الرجال العظام. كان لهؤلاء الكرام مجالس عامرة في أماكن عديدة ببغداد من بينها مجلس للوعظ والإرشاد في مسجد آل جميل في محلة قنبر علي، يرتادها كبار العلماء وفحول الشعراء والأدباء.¹⁵¹

هذه المجالس التي بدأت مع اطلالة القرن التاسع عشر تقريباً، استمرت إلى العقود الأولى من القرن العشرين، حيث بقيت العديد منها عامرة، كما هو الحال مع مجلس محمود صبحي الدفتري المشهور بـ (صالون الجمعة) الذي يلتئم في داره المطلة على دجلة بجانب الكرخ محلة الشواكة صباح الجمعة من كل أسبوع، ومجلس شيخ الصحفيين رفائيل بطي الذي يلتئم في مقر إدارة جريدته (البلاد) مساء الأحد من كل أسبوع، ومجلس العلامة الأب أنستاس ماري الكرملّي الذي ينعقد في مكتبه بكنيسة الآباء الكرمليين، ومجلس (نادي القلم العراقي) الذي يتصدره العلامة الشيخ محمد رضا الشيببي ومجلس طه الراوي، ومجالس آل الألوسي في جانب الكرخ من بغداد، ومجلس السيد ناجي سادن الأعظمية وكان في الحجرة التي على يمين الداخل لجامع الإمام الأعظم من الباب المقابل لمحلة النصّة، وكان يتردد عليه الوزراء وشخصيات البلد والأدباء والشعراء وزوار الإمام الأعظم أبي حنيفة، وكان في الأعظمية وحدها سبعة وعشرون مجلساً.¹⁵²

وقد لاحظ الباحث أن ثمة تداخل -إذا صحت اللفظة- واضح بين أسر بغداد ومجالسها، حيث أن معظم الأسر العلمية العريقة لها مجالس تخدم ركب العلم ويتوارثها أبناؤها كابراً عن كابر.

¹⁵⁰ عبد الغني أفندي بن جميل، ومن أفاضل بغداد وأعيانها، ولد سنة 1194 هـ، ولي إفتاء الحنفية في بغداد سنة 1247 هـ، وهو رأس الأسرة المعروفة بآل الجميل فيها، عاش 85 عاماً ودفن بمقبرة الشيخ عمر السهروردي بجانب الرصافة من بغداد. للمزيد عن سيرته يُنظر: الألوسي، المسك الأذفر، 254-257.

¹⁵¹ العزاوي، موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين، 167/7؛ والدروبي، البغداديون أخبارهم ومجالسهم، 30-32.

¹⁵² الكرخي، مجالس الأدب في بغداد، 14-16.

المبحث الثاني: حركة الشعر في بغداد بالقرن التاسع عشر

كما هو معلوم فإن للشعر أهمية كبيرة في الثقافة العربية، فهو من أقدم أشكال التعبير الأدبي والثقافي عند العرب، وكان وسيلة لتوثيق التاريخ والأحداث والتقاليد العربية قبل ظهور الإسلام وبعده، ولذلك قالوا: إن الشعر ديوان العرب.

وفي هذا المبحث، يتناول الباحث حركة الشعر العربي وتطوره في القرن التاسع عشر في البلاد العربية، وفي العراق على وجه الخصوص.

المطلب الأول: نهضة الشعر العربي

مرَّ الشعر العربيُّ بأطوار مختلفة، فقد كان في الجاهلية وصدر الإسلام شعر السليقة المنبعثة عن الشعور والإلهام، يلهم فيها لسان الشاعر بما يختلج في فؤاده، حيث اللغة طوع لسانه، يختار منها ما يكفي لأداء المعاني التي تتجاوب في خاطره. وقد ساهم الشعر العربي بشكل كبير في تطوير اللغة وإثراء مفرداتها وأساليبها البلاغية، وقد كان وما زال رمزاً للهوية والثقافة العربية. ولأنه كان ينتشر بشكل واسع عبر الحفظ والتداول الشفهي، فقد بقي الشعر وسيلة فعالة للتواصل والتفاهم، ولذا يعد إراثاً وتراثاً ثقافياً مهماً للعرب، فهو يشكل جزءاً أصيلاً من هويتهم وثقافتهم على مر العصور. ثم أخذ العرب بنصيب من حضارة الأمم التي فتحوا بلادها، أو التي جاءت بلادهم لاحقاً، وألفوا أنواعاً جديدة من العيش، واطلعوا على ثقافاتٍ أخرى؛ فكان من الطبيعي أن يتأثروا بكل ذلك، وينعكس ذلك على آدابهم من شعر ونثر.¹⁵³

وقد كان الشعر العربي قبل النهضة قد مر بمرحلة من الضعف، نتيجة لما انتابه من عوامل الانحطاط التي ضربت مختلف ميادين الحياة العلمية والفكرية، وقد كان الضعف فيه أوضح من النثر، لأنه يعتمد على الجمال الفني، فقد كان شعر ذلك العصر مركزاً على الألاعيب اللفظية والعمليات الحسابية. وما أن بزغ فجر النهضة حتى سار الأدب العربي باتجاهين:

الاتجاه التقليدي (طور البعث والإيقاظ): وهذا هو الطور الأول من أطوار نهضة الشعر في عهد اليقظة، حيث بدأت حركة بعث تعتمد الأفكار والموضوعات والأخيلة والأساليب العربية القديمة. وكان هذا الطور في بدايته يمثل التقليد المتأثر بعصور تراجع الشعر، ينظمه شعراء لم يكن لهم من الملكة العربية ما يصرفهم عن الرطانة والضعف، كما أنهم لم يطلعوا على أساليب الأدب الغربي الذي بدأ يصل إلى بلاد المشرق الإسلامي والعربي، ونجد أمثلة هذا الاتجاه في قصائد نقولا الترك (1828) وبطرس كرامة

¹⁵³ عمر الدسوقي، في الأدب الحديث (القاهرة: دار الفكر العربي، 2000)، 175-165/1.

(1851م) في لبنان، وحسن العطار (1834م)، وعليّ الدرويش (1853م) في مصر، وصالح التميمي في العراق (1845 م).

أما الاتجاه الثاني، فهو طور التقليد العباسي والذي تجلّى في منتصف القرن التاسع عشر بعد أن ارتقت الأحوال الاجتماعية وتوفرت عوامل الثقافة، وتمكن الأدباء من اللغة العربية، حتى أدركوا سر تفهقها ومواطن ضعفها. ونشرت دواوين الشعراء الأقدمين، فتمكن ناشئة الشعراء من الاطلاع على شعر النوابع، ولا سيّما العباسيين منهم، وراحوا يقلّدونهم ويقفون عن شعر زمانهم أو ما يقرب من زمانهم. ومن ممثلي هذا الاتجاه الشيخ ناصيف اليازجي (1871م) والشيخ يوسف الأسير (1890م) في لبنان، ومحمود سامي البارودي (1904م) في مصر، وعبد الباقي العمري (1861م) وعبد الغفار الأخرس (1873م) في العراق.¹⁵⁴

فقد كان من الواضح أن الشعر قبل نهضته كان بحاجة كبيرة إلى نفس جديد، بيد أي محاولة للتجديد عن طريق الاقتباس من الآداب الأجنبية ستفشل، لأن المشكلة لم تقتصر على الموضوعات والمواقف - وهما عنصران يمكن استعارتهما من الآداب الأجنبية-، بل إن الإطار العام بأكمله، من لغة ومصطلحات وتراكيب، كان بحاجة إلى التجديد. فكانت العودة إلى الأسس الثابتة القوية، وتجديد العلاقة مع أفضل ما في اللغة والتراث من كنوز هما السبيل أمام الشعر العربي للنهوض به من جديد، وبعد ذلك لا بأس بأن يؤخذ ما في الآداب الأخرى من عناصر قوة يمكن لها دفع حركة الأدب العربي وتجديده.¹⁵⁵

وقد كانت هذه المرحلة هي المفتاح لما يمكن أن نسميه الطور التجديدي، والتي تجلت في شعر أحمد شوقي وحافظ إبراهيم في مصر والشيخ عبد الله البستاني في لبنان، ومعروف الرصافي في العراق وغيرهم.¹⁵⁶

كان الأثر الأول ليقظة الشعر أنها لفتت الأنظار إلى ما فيه من ضعف وما وصل إليه من ركاسة، فراح رواد النهضة يستقوون من ينابيع الشعر العباسي ويطبعون على غرارهم، وقد راقهم أسلوب أبي تمام والبحري والمتنبي، فتدارسوا آثارهم وحفظوا أشعارهم، ومالوا إلى المديح والثناء وإلى كل ما هو من أدب المناسبات، وهكذا تقيّدوا بالموضوعات القديمة، وحرصوا على الدقة في التعبير والمتانة اللغوية والتوفر على المعاني والصفاء الشعري واستقامة النظم، وإن لم يتخلصوا تمام التخلص من بعض مخلفات

¹⁵⁴ الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، 932-934.
¹⁵⁵ الجبوسي، الاتجاهات والحركات الأدبية في الشعر الحديث، 59.
¹⁵⁶ الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، 924.

الانحطاط كالتخميس والتواريخ الشعرية والألايب البديعية والنحوية، وهكذا نجح أولئك الشعراء في التقليد وأخفقوا في ناحية الابتكار وجعل صلة بين شعرهم ونفس وبيئتهم.¹⁵⁷

وعلى هذا فقد تنازع الشعر العربي اتجاهات عدة، تمثل الأول بالدعوة إلى العودة الأصول التي انتجت الحضارة العربية التي قادت العالم قرونًا، أما الاتجاه الثاني فقد بدأ بالظهور مع غزو نابليون لمصر سنة 1798م/ 1801م، ويدعو إلى تقليد أوروبا التي صارت النموذج الناجح الذي يجتاح العالم، في حين تمثل الاتجاه الثالث، بالمزاوجة بين الاتجاهين الأول والثاني، أو التوفيق بين الأصالة والمعاصرة. وقد ظلت هذه الاتجاهات تتصارع فيما بينها حتى جاء محمود سامي البارودي (ت: 1904م) الذي صاغ منهجه الشعري ليمثل إحياءً لمنهج الشعراء القدماء على اختلاف أزمنتهم، كما بدأ متأثرًا في نفس الوقت بالشعراء المتأخرين، ليكون بذلك مؤسس "مدرسة الإحياء والبعث" التي كان رائدها وفق العديد من نقاد الأدب، وكان أستاذًا لمن جاء بعده من الشعراء.¹⁵⁸

ولد محمود سامي البارودي سنة 1255هـ/ 1039م، من أسرة شركسية ذات جاهٍ ونسب قديم، وتنتمي إلى حكام مصر المماليك، وكان البارودي يعرف هذا النسب ويعتز به. تبيّن محمود وهو في السابعة من عمره، وتلقّى دروسه الأولى في البيت حتى بلغ الثانية عشرة، وتخرّج في المدرسة الحربية سنة 1854م، وهو في السادسة عشرة من عمره. وكانت ملكة الشعر كامنة في حنايا فواده، فراقه من التراث الأدبي شعر الحماسة والفخر، ووصف ميادين القتال، وأعمال الأبطال، ورأى في هذا الأدب تصويرًا للحياة كلها؛ وكل ما يخطر ببال الناس، فازداد شغفه به وحرصه على حفظه وتدوينه، وتحركت نفسه لقول الشعر فقلّد فحول الشعراء في أروع قصائدهم.¹⁵⁹

وبعد أن التحق بوزارة الخارجية، سافر إلى الأستانة وتعلم التركية والفارسية وآدابهما، وحفظ كثيرًا من أشعارهما، ودعته سليلته الشاعرة فقال بالتركية وبالفارسية كما قال بالعربية، ومع ذلك لم يهجر لسانه الأول. ظل البارودي يترقى في مناصب الجيش، وفي فرسان الحرس الخاص حتى وصل إلى رتبة "قائمقام" وتحقق له مناه بالاشتراك في معارك جزيرة "كريت"، فأسهم في إخماد الثورة، وقد فتنت البارودي مناظر الجزيرة ومناظر المعارك، فسجّل ذلك كله في شعره، ليسمع الناس نغمًا جديدًا لم يألّفوه منذ زمن طويل، وأخذوا يتطلعون في لهفة إلى المزيد من هذا الطراز الجديد في الشعر. وكان في ميدان القتال،

¹⁵⁷ الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، 44.

¹⁵⁸ أيمن ميدان وآخرون، الأدب العربي الحديث (المملكة العربية السعودية: شبكة الألوكة، 2017)، 23-25.

¹⁵⁹ الجبوسي، الاتجاهات والحركات الأدبية في الشعر الحديث، 59-60.

والعالم الذي رآه في سفره ومعاركه ما ألهب شاعريته، فوصف الحروب والناس والمناظر بشعر أخاذ بلغ الذروة في الوصف، فانبعث منه الشعر قويًا مليئًا بالحياة.¹⁶⁰

وقد أجاد البارودي في أهم أغراض الشعر المعروفة، كالحماسة والفخر والوصف والثناء والحنين إلى الديار، والنسيب والمديح النبوي، وبذلك رد على الشعر العربي الكثير من أغراضه التي قلت في الفترة التي سبقتها، كما رد على الشعر العربي ديباجته القوية وتراكيبه الجزلة¹⁶¹. على نحو ما نجد في قصيدته الشهيرة التي ودع بها بلاده بعد نفيه إلى سرنديب (سيرلانكا حاليًا):¹⁶²

مَحَا الْبَيْنُ مَا أَبَقْتُ عُيُونُ الْمَهَا مَنِّي فَشَبْتُ وَلَمْ أَقْضِ اللَّبَانَةَ مِنْ سِنِّي
وكذلك في قصيدته التي يصور فيها شوقه إلى مصر ويقول في مطلعها:¹⁶³

رُدُّوا عَلَيَّ الصِّبَا مِنْ عَصْرِي الْخَالِي وَهَلْ يَعُودُ سَوَادُ اللَّمَّةِ الْبَالِي
وبحسب الكثير من النقاد فإن الشعر العربي الحديث يدين للبارودي بشعر جزلٍ رائعٍ الديباجة، عذب النغم، بعد حقبة ساد فيها شعر الضعف والصنعة وضحالة المعنى وعقم الخيال وبذلك سار الشعر من بعده إلى الأمام. كما مثل النموذج الذي احتذاه الشعراء من بعده، وساروا على نهجه في أسلوبه وأغراضه، فكان قدوةً لمن جاء على أثره في التجديد، وممن تتلمذ على البارودي واقتفى أثره عدد كبير من شعراء العربية؛ على تباين بينهم في حظٍّ كلٍّ منهم من التجديد والتأثر ومذاهبه الأدبية.¹⁶⁴

المطلب الثاني: حركة الشعر في العراق

بقي العراق بعيدًا عن التيارات العربية الحديثة على الرغم من اتصال بعض أدبائه بأدباء سوريا ولبنان، ولم يكن أهل العراق يعرفون عن العالم الخارجي شيئًا سوى ما كان يعرفه بعض أهله عما ينقله لهم السياح الأجانب والمقيمون الممثلين للدول الأجنبية في بغداد والموصل والبصرة، لذلك كان تأثر العراق بالدول الغربية أقل من تأثر بلدان عربية أخرى كبلاد الشام ومصر.¹⁶⁵

وفي الحقيقة فإن الأدب العربي يمتاز بأنه أدب واحد لا تختلف اتجاهاته الكبرى وخصائصه العامة من بلد عربي لآخر، فإذا حدث تغير بين عصر وعصر فضعفت بعض الاتجاهات أو اختفت، وظهرت

¹⁶⁰ الدسوقي، في الأدب الحديث، 1/165-175.

¹⁶¹ سليم، محمود رزق، الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث، ص 200.

¹⁶² سليم، الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث، 200.

¹⁶³ محمود سامي البارودي، الديوان، تحقيق علي الجارم، محمد شفيق معروف (بيروت: دار العودة، 1998)،

245.

¹⁶⁴ الدسوقي، في الأدب الحديث، 237/1.

¹⁶⁵ إبراهيم الوائلي، الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر (بغداد: مطبعة المعارف، 1978)، 69.

اتجاهات أخرى، انتشر ذلك بسرعة في سائر البلاد العربية. هذه الميزة تؤكد وحدة الآداب العربية، وانحصار الفوارق فيما بينها في سمات قليلة تفرضها الظروف والأحداث المحلية.¹⁶⁶

لكن مما زاد من تأخر نهضة العراق نسيباً، أن الكثير من الشعراء والأدباء والعلماء في القرن التاسع عشر كانوا يعيشون في ضيق من العيش، وكان بعضهم يعمل في الأسواق للحصول على رغيف الخبز، ولم يدفعهم إلى النظم سوى حب الشعر، وقد سجل الكثير منهم صوراً تمثل ما كانوا يعانونه من شظف العيش.¹⁶⁷

فهذا العلامة أبو التناء الألوسي يقول بعد تخليه عن منصب الإفتاء وانصرافه إلى إتمام تفسيره معبراً عن عوزة، إنه كاد يأكل الحصير ويشرب مداد تفسيره.¹⁶⁸

نلاحظ أيضاً أن موضوعات الشعر وأغراضه في بداية القرن التاسع عشر لم تختلف كثيراً عما كانت عليه من قبل، ولم يستطع الشعراء أن يجددوا تجديداً بارزاً ملحوظاً إلا فيما ندر من وصف المخترعات كالتراموي والباخرة وأسلاك البرق والساعة، وما سوى ذلك فقد التزموا بالموضوعات القديمة من المدح والتهاني والثناء والغزل والإخوانيات ونظم التواريخ للحوادث والمنشآت، كما أكثروا من شعر التصوف ولهم في الحماسة والفخر والتذمر والشكوى والتنديد بالظلم شعر غير قليل ولم تخل بعض الدواوين من شعر الهجاء ولكنه قليل بالنسبة للموضوعات الأخرى، لاحقاً بعد التجديد يطرأ على الشعر شيئاً فشيئاً.¹⁶⁹

أما طريقة الأداء فقد كانت تختلف باختلاف المناسبات، فالثناء على سبيل المثال لا يعدو القصيدة ذات القافية الواحدة، وكذلك المدح لكنه قد يأخذ طريقة الموشح. وأبرز شيء في موضوع المدح والتهاني ما في القصيدة من مقدمة تقليدية قد تكون غزلاً أو وصفاً للأطلال أو الخمر على عادة الشعر منذ عصوره الأولى.¹⁷⁰

وقد كان الشعر العربي في أوائل القرن التاسع عشر معنياً بالمحسنات البلاغية من بديع وجناس وطباق، وتخمين وتشطير، إلى جانب فنون البديعيات والتطريز والتأريخ والتراسل وغيرها من الألاعيب الشعرية، ما جعل هذا النوع من الشعر أقرب إلى الصنعة منه إلى الفن، حتى صار التفوق في الشعر قائماً

¹⁶⁶ نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، 160/11.

¹⁶⁷ الوائلي، الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر، 108-109.

¹⁶⁸ أبو التناء، شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، غرائب الاغتراب ونزهة الألباب في الذهاب والإقامة والإياب (بغداد: مطبعة الشابندر، 1327)، 25.

¹⁶⁹ الوائلي، الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر، 112-113.

¹⁷⁰ الوائلي، الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر، 113.

على القدرة على اختيار المفردات والتغلب في لعبة المساجلة، وكانت الدعابة وسرعة الخاطر والبراعة في إعطاء ظل من المعنى الظريف أهم الصفات التي تميز شاعر ذلك العصر.¹⁷¹

ذات المثالب كانت موجودة في شعر العراق كحال باقي البلاد العربية، إلى أن بدأت بوادر النهضة الشعرية. لكن الشعر في العراق كان يسير وئيذاً نحو نهضة مستقلة، حتى قبل زمن البارودي، حيث كان العراق معزولاً عن الاتصالات الدائمة مع العالم الخارجي، والبلد الأقل تأثراً بالغرب كما أسلفنا، وكان الشعر العراقي يخفي تياراً من القوة والحيوية. ورغم إنجازات البارودي وإسماعيل صبري في مصر، وسليمان البستاني وناصر اليازجي في لبنان، وغيرهم من أبناء جيلهم، قد تم الاعتراف بها عمومًا وقبولها أساساً لتطور الشعر العربي الحديث، إلا أن المساهمة العراقية لم تحظ بما تستحقه من مكانة في هذا المجال على الصعيد العربي، وهذا ما نتلمسه على سبيل المثال في ما كتبه أنيس الخوري المقدسي في كتابه (الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث: دراسة تحليلية للعوامل الفعالة في النهضة العربية الحديثة ولظواهرها الأدبية)، فهو لا يتحدث عن الشعر العراقي بقدر ما يتحدث عن الشعر السوري والمصري، ونفس الأمر ينطبق على عمر الدقاق في كتابه (الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث).¹⁷²

وبدا جلياً أن هذا العصر كان غنياً بشعرائه وكتّابه بالقياس إلى العصور التي سبقتهم، وأن أحواله الثقافية أكثر سعة وحيوية، وهذا ما أكدته العديد من الدراسات التاريخية التي تناولت هذه الحقبة من تاريخ العراق الأدبي، وإن كانت أخبار شعرائه وكتّابه، قليلة لا تتناسب مع كثرتهم وشهرة بعضهم.¹⁷³

وكان الكثير من الشعر في العراق في القرن التاسع عشر يقوم حول ما يمكن أن يدعى بـ "الموضوع السياسي الثوري" ويشكل هذا النوع من الشعر السياسي مثلاً واضحاً على تأثر الشعر بالعوامل الخارجية السياسية والاجتماعية. فحيوية التراث الثقافي في العراق وقدرته على الديمومة تفسر لنا الانتقال السهل الذي حققه شعراء القرن التاسع عشر في العراق، إلى نوع من الشعر أكثر حداثة، لغة وموقفًا، ليثبت أن البساطة والأسلوب المباشر كانا طوعاً أيديهم.¹⁷⁴

ويرى الباحث أن بروز ظاهرة الشعر السياسي أو القومي، كان نتيجة لعدة عوامل من أهمها في العراق وبالقلب منه بغداد- الصراعات على السلطة التي نشبت أبان حكم المماليك، وثورات العشائر التي تكررت مراراً، ثم ظاهرة عزل الولاة التي تكررت بعد أن تولت الأستانة مقاليد الأمور بالكامل إثر القضاء على ملك داود باشا كما مر بنا في الفصل الأول، وعلى هذا الأساس انقسم الشعراء بين مؤيد للسلطة مادم

¹⁷¹ الجبوسي، الاتجاهات والحركات الأدبية في الشعر الحديث، 46.

¹⁷² الجبوسي، الاتجاهات والحركات الأدبية في الشعر الحديث، 48.

¹⁷³ نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، 187/11.

¹⁷⁴ الجبوسي، الاتجاهات والحركات الأدبية في الشعر الحديث، 49.

لها، ومعارض ناظم عليها، ومنهم من شهدنا له أدواراً مختلفة، قبولاً أو رفضاً، بحسب طبيعة الأوضاع أو من يمسك زمام السلطة.

ومن أهم شعراء العراق في القرن التاسع عشر عبد الغفار الأخرس وعبد الباقي العمري ومحمد سعيد الحبوبي وحيدر الحلي وعبد الغني الجميل وغيرهم من الشعراء الذين أسسوا نهضة شعرية ظهرت بشكل واضح في أواخر القرن عندما ترك الشعراء أنواع المحسنات والتزيينات، والواقع أن شعر القرن التاسع عشر – كما يرى محمد مهدي البصير - كان مقدمة لكثير من النزعات التي ظهرت لاحقاً في القرن العشرين.¹⁷⁵

ويمكن القول إن شعر التمرد السياسي في العراق الذي ظهر في الربع الثاني من القرن التاسع عشر، كان يتفوق في المستوى الفني على جميع الشعر في الوطن العربي في ذلك الوقت، لأن محمود سامي البارودي في مصر لم يشتهر إلا بعد وفاة عبد الغني الجميل. فاستمرار هذا التيار الأصيل مكن الحبوبي في أواخر هذا القرن من أن يدخل إلى الشعر العراقي سلاسة أكبر ورقة في العواطف، ولغة شعرية جديدة، مع أننا لا نجد أي تغيير أساسي في الصورة الشعرية عنده، إلا أن الإنجاز الشعري الأكبر الذي حققه الحبوبي كان ترسيخه للغة شعرية مبسطة غلبت عليها مسحة حضرية واضحة.¹⁷⁶

ومن الموضوعات الرئيسية التي عالجه شعراء القرن التاسع عشر، الموضوع الاجتماعي، لكنه لم يصل في مستوى نضوجه الفكري والوجداني إلى الشعر السياسي، حيث لم تكن تبلورت بعد الأفكار التي من شأنها تأجيج هذا الشعر لتمنح مادتها للشاعر على نحو ما حدث لاحقاً في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، كما هو في الحال في وصف الخمرة، ومجالسها، وندمائها. وكالغزل الذي حاول أن ينسج على منوال الغزل في قرون خلت.¹⁷⁷

ومن أمثلة شعر الغزل قول الأخرس:¹⁷⁸

ومفهف الأعطاف تحسب أنه	قمر بدري النجوم ممنطق
يرنو إليك بمقلة سحابة	تهوى ملاحظتها القلوب وتشفق
يا أيها الرشأ الذي الحاظه	ترمي بأسهمها القلوب وترشق

¹⁷⁵ البصير، نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر، 330.

¹⁷⁶ الجبوسي، الاتجاهات والحركات الأدبية في الشعر الحديث، 54-55.

¹⁷⁷ الحمداني - أحمد، الأدب العربي الحديث دراسة في شعره ونثره، 47-48.

¹⁷⁸ عبد الغفار بن عبد الواحد الموصلية البغدادي الأخرس، ديوان الأخرس، تحقيق وليد الأعظمي (الكويت: مؤسسة البابطين، 2008)، 103-104.

والغرض الثاني الذي كان شائعاً هو المديح، وهو على عادة الشعر العربي يفيض بالمبالغات وأحياناً التذلل للشخص الممدوح، على نحو ما قال التميمي:

من لي بتقبيل كَفِّ صوبُ عارضِها يزري بواكفِ فيضِ العارضِ الهطلِ
لكن إلى جانب ذلك، كان هناك الشعر الذي ابتعد عن ذل السؤال وترفع عن الزلفي والثناء الكاذب، صارفين شعرهم لمدح من يستحق من السلاطين والولاة، ومستذكرين أيام العرب والمسلمين الأولى في عهودهم الزاهية.¹⁷⁹

بيد أن أرقى صورة للمديح برزت في القصائد التي كانت تنظم في حق النبي صلى الله عليه وسلم، لكن يؤخذ على الكثير من مدائح هذا العصر أنها ابتعدت عن التعامل المباشر مع ما يمكن أن توحيه سيرة الرسول الكريم لشاعر هذا العصر، فاتجه المادحون إلى تخميس وتشطير ما ذاع واشتهر من قصائد في مدحه صلوات الله وسلامه عليه، كهمزية البوصيري، ولاميته المعروفة بالبردة، وبعض قصائد عمر بن الفارض.¹⁸⁰

وهذا ما نلاحظه في معارضة عبد الباقي العمري قصيدة البوصيري التي مطلعها:

كَيْفَ تَرْقَى رُقِيكَ الْأَنْبِيَاءُ يَا سَمَاءُ مَا طَاولَتْهَا سَمَاءُ
فَحَمَسَهَا الْعَمْرِي بِقَوْلِهِ:

لِغُلَى الرِّسَالِ مِنْ غُلَاكَ انْطَوَاءُ وَأُولُو الْعِزِّ تَحْتَ شَأْوَاكَ جَاءُوا
وَلِمَرْقَاكَ دَانَتْ الْأَصْفِيَاءُ كَيْفَ تَرْقَى رُقِيكَ الْأَنْبِيَاءُ
يَا سَمَاءُ مَا طَاولَتْهَا سَمَاءُ¹⁸¹

كما شاع مديح العلماء والولاة وغيرهم من أرباب الأدب والفكر والسياسة، على نحو ما نجده في قصيدة عبد الغفار الأخرس التي يمدح فيها العلامة أبي الثناء الألويسي ويهنئه بمناسبة العيد، فيقول:¹⁸²

أَتَرَاكَ تَعْرِفُ عِلَّتِي وَشِفَائِي يَا دَاءَ قَلْبِي فِي الْهَوَى وَدَوَائِي
إِنِّي أَصَوْنُ الشَّعَرَ لَا بُخْلًا بِهِ عَنْ أَنْ يَذَلَ بِسَاحَةِ اللُّؤْمَاءِ
إِنْ كُنْتُ تَتَنَّى بِالْجَمِيلِ عَلَى أَمْرِي فَعَلَى جَمِيلِ أَبِي الثَّنَاءِ ثَنَائِي

¹⁷⁹ عز الدين، في الأدب العربي الحديث، 14.

¹⁸⁰ علي عباس علوان، تطور الشعر العربي الحديث في العراق (بغداد: وزارة الإعلام العراقية، د.ت)، 35.

¹⁸¹ عبد الباقي العمري، الترياق الفاروقي (النجف: دار النعمان، 1964)، 7.

¹⁸² الأخرس، ديوان الأخرس، 35-37.

وقد عرف لبعض الولاة اهتمامهم بالشعراء يقرّبونهم ويصلونهم، ليكون نديمهم وأنيس مجالسهم، أو لتسجيل أخبارهم وإذاعتها بين الناس. على سبيل المثال قرب الوالي داود باشا الشاعر عثمان بن سند فمدحه كثيرًا، كما قرب هذا الوالي الشاعر صالح التميمي وعدّه شاعره. وكان الشاعر عبد الباقي العمري يشغل وظائف حكومية مما جعله قريبًا إلى الولاة يتقرب إليهم ويلوذ بهم كما حدث مع علي رضا، ومحمد نجيب، ومحمد نامق.¹⁸³

على أننا في الموضوع الاجتماعي نرى بشكل واضح بروز شعر الوصف للمخترعات الجديدة كالترام والتلغراف وأسلاك الكهرباء والباخرة والسدود والجسور وغيرها من الظواهر العمرانية والمدنية التي بدأت تنتشر كانعكاس للثورة الصناعية التي أخذت تتسع في ذلك القرن.¹⁸⁴

والمأمل لشعر القرن التاسع عشر خاصة في أوله، يرى فيه حرص الشعراء على ألوان من الصناعة وفنون من الشكلية، فهناك الألاعيب الشعرية، كالتلغيز وحل الألغاز، والنظم المشترك بين شاعرين أو أكثر لنظم قصيدة طويلة. وكذلك هناك تأريخ الأحداث والوفيات والتقاريط وهو كثير لا يحصى. وقد تفنن شعراء القرن في هذا اللون. فيدخل أحدهم في تأريخه الحروف المعجمة، أو المهمة في حساب الجمل. وقد تجيء قصيدة الشاعر وفي كل شطر منها تأريخ. وهناك أيضًا نوع من النظم يسمونه الروضة، حيث ينظم الشاعر قصيدة كاملة على واحد من حروف العربية بحيث تبدأ كل أبياتها بهذا الحرف وتنتهي به، كقول الشيخ صالح التميمي في روضة، من حرف الباء:

برقٌ تعرضَ مُجتازًا على حلبٍ ليلاً ونور الدجى بالصُبح لم يشبِ

ومن صناعات الشعر ما يسميه العمري الجمع بين التقريض والتسميط والتخميس والتشطير والتشنيف بحيث تقرأ القصيدة من كل الوجوه والأماكن، طولًا وعرضًا ومن اليمين إلى الشمال وبالعكس. وكذلك هناك ما يسمى التشجير، وهي زخرفة من النظم أشبه بالشجرة يرسمها الشاعر رسمًا ويزخرفها ويزركشها بالكلمات، في قمة الصنعة اللغوية التي لا تخلو من الافتعال في كثير من الأحيان.¹⁸⁵

المبحث الثالث: واقع النثر الأدبي

كان الأدب في العراق منوع الفنون في لغاته، وضروب ألوانه، ولم يكن مقتصرًا على فن واحد أو غرض محدد. وتتجلى ضروب الأدب العربي في العراق في المنظوم والمنثور. وقد انتشر الأدب العربي في هذا القرن نتيجة لتوسع المدارس، وانتشار الطباعة، وزيادة الاتصال بالأقطار العربية

¹⁸³ علوان، تطور الشعر العربي الحديث في العراق، 18.

¹⁸⁴ الحمداني - أحمد، الأدب العربي الحديث دراسة في شعره ونثره، 49.

¹⁸⁵ علوان، تطور الشعر العربي الحديث في العراق، 79-80.

والإسلامية، فظهر جماعة من أساطين الأدب، وزادت المؤلفات والرسائل الأدبية، إلا أنه كان يراعي السجع في أوائله، ثم مضى إلى التحسين فيه. وبعد ذلك أعرض الأدباء عنه في أواخره.¹⁸⁶

وفي هذا المبحث يستعرض الباحث حركة النثر الأدبي في بغداد وتطورها مع دخولها عصر التجديد في القرن التاسع عشر.

المطلب الأول: حركة النثر الأدبي العربي

نشأت أكثر العلوم اللسانية وغير اللسانية في العراق في القرن الثاني للهجرة وظهر في النحو واللغة منذ بداية وضعهما مدرستين كبيرتين، هما مدرسة البصريين ومدرسة الكوفيين، قبل أن تظهر مدرسة البغداديين التي كانت قريبة من منهج مدرسة الكوفة. ولما جاء القرن الرابع فالخامس الهجريين تقدمت علوم النحو واللغة نحو النضج والكمال وتضافرت المدارس والمذاهب اللغوية والنحوية في تكوين مذهب جامع رفع علوم النحو واللغة إلى الذروة، فتكاملت مناهجها وانتظمت طرقها ونمت فروعها بجهود الأجيال المتعاقبة من علماء البصرة وبغداد والموصل وغيرها. ولم تتوقف الحركة النحوية واللغوية بعد سقوط الخلافة العباسية سنة 656 هـ/ 1258 م إلا أنها ضعفت وانعكست فيها آفات التخلف الناجمة عن الغزو المغولي.¹⁸⁷

وبعد القرون التي عانى فيها الأدب العربي عامة، بدأ التطور يطرأ على النثر في القرن التاسع عشر الميلادي، ولا سيما في النصف الثاني منه، حيث دخل على أساليبه تغيير واضح، وعلى موضوعاته ثراء تمثل في الموضوعات الجديدة التي طرقها فاتسع مداه ورحبت آفاقه.¹⁸⁸

ومن يستقرأ حركة النثر في العهد الحديث يجد ثلاث مدارس: مدرسة المحافظة الجامدة، ومدرسة التجديد والتجديد المتطرف، ومدرسة الاعتدال. أما المدرسة الأولى ورافع لوائها الشيخ ناصيف اليازجي (ت: 1871م)، فكان همه بعث اللغة والحفاظ على الأسلوب القديم، وقد ناصرها الكثيرون ولا سيما علماء اللغة، فكانت خطوتهم خطوة تقليد تتوكأ على الأساليب العباسية وتتعشق الصياغة والصنعة وتتغلب فيها فكرة التركيب على الأدب.¹⁸⁹

¹⁸⁶ العزاوي، تاريخ الأدب العربي في العراق، 224/2.

¹⁸⁷ نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، 117/11.

¹⁸⁸ عمر الدسوقي، نشأة النثر الحديث وتطوره (القاهرة: دار الفكر العربي، 2007)، 45.

¹⁸⁹ الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، 22.

وأما مدرسة التجديد فقد بدأت مع أحمد فارس الشدياق (ت: 1887م) بعد أن ضرب في الآفاق، وتجول في البلاد الأوروبية وغيرها، وراح يكتب متوخياً المعاني الجديدة، والأسلوب السهل الذي يجري مع الطبع، وراح يعالج الصحافة بأسلوب حديث وتتبع وتحريّ للدقة والحقيقة. وقد تبعه في مدرسته محررو الصحف من مثل الخليل الخوري (ت: 1907م) صاحب "حديقة الأخبار" وسليم البستاني (ت: 1884م) صاحب "الجنان" وأديب إسحاق (ت: 1885م) وأصحاب المقتطف والهلال، وكذلك المترجمون الذين نقلوا آثار الغربيين واقتبسوا منهم الأساليب، وعملوا في ميدان المسرح والقصة كنقيب الحداد وسليم النقاش وفرح أنطون.

إلا أن تلك المدرسة التجديدية ما لبثت أن أخذت بمذهب التطرف والخروج التام على أساليب العرب، وذلك لإغراق أصحابها في الأخذ بأساليب الغرب ولا سيما المهاجرون الذي عاشوا في غير بلادهم، ونشأوا على تطلب المعاني والأساليب الغربية. وقد نزع مدرسة التجديد نزعة التحرر من كل قيد، وراح كتابها يعتمدون لوئاً طريقاً في ترتيب الكلام وتبويبه، ويقصرون كتاباتهم على المعاني ودقتها، وعلى الأساليب الفنية العالمية، لا يتوخون التعبير إلا بعبارة سهلة خالية من الزينة والسجع وأنواع البديع، تجري مع الطبع ومع مقتضيات كل فن وكل حال، ودخلت اللغة صيغ وطرق جديدة لأداء معان جديدة، وهكذا تغلب الطبع على التطبع، والفن على التفنن، والجمال على التجميل والتصنيع، ولولا التطرف في هذا التيار التجديدي، ولولا الضعف في صياغة التعبير عن أصحابه، لكانت نتيجته أشهى ثماراً وأنضر أزهاراً.

وأما مدرسة الاعتدال فمن أركانها الشيخ محمد عبده (ت: 1905م)، والشيخ إبراهيم اليازجي (ت: 1906م) وقد جمعا بين القديم والحديث، وكانت خطوتهما مركزة في أسلوب صحيح وتفكير قويم، في أسلوب يدور على قطب الفكرة، ويواكب الفكرة ليعبر عنها ويكون في خدمتها. والفكرة مستمدة من علم حديث، وعقل مطلع، وثقافة واسعة النطاق.¹⁹⁰

المطلب الثاني: تطور النثر الأدبي في العراق

بلغ النثر في الفترة التي سبقت بداية النهضة، غاية في الركة والضعف، فعباراته سقيمة مقيدة بقيود ثقيلة من الحلي، والزخارف المصطنعة المتكلفة، لتخفي ما وراءها من معنى ضعيف، وفكرة ضحلة، وقد

¹⁹⁰ الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، 22-23.

غلب هذا النوع من الكلام على السنة مدعي الأدب في العراق ومصر والشام، وهي البلاد التي بقي الأدب حيًا لكنه يعاني.¹⁹¹

كان تطور النثر في هذا العهد أكثر اتساعًا وأعمق أثرًا من تطور الشعر، لأن أربابه كانوا أكثر توفرًا على الأخذ بأسباب الثقافة، فكان النثر في مطلع هذا العهد شديد التأثر بأسلوب القاضي الفاضل ومن أتى بعده من أرباب الصياغة والصنعة الذي يغلب في كتاباتهم اللفظ على المعنى، وتغلبت عندهم فكرة التركيب على الأدب. فالتزم الكتاب السجع ووجوه البديع المختلفة، وعاقبوا الجمل على المعنى الواحد، وذلك لعجزهم عن الابتكار أو لتقصيرهم في التفكير والبحث والتحليل، ولا عجب فهي قريبة الصلة بالانحطاط ولم تتوفر لها بعد الأسباب الكافية للنهوض، فكان هذا الطور الأول طور البعث واليقظة على ضعف المقدرات والوسائل.¹⁹²

لكن وما أن جاء القرن التاسع عشر خاصة في منتصفه، حتى راحت المطابع تنشر الكتب والصحف، وفيها كتب الأدب العربي القديم، والمترجم من الأدب الغربي، حتى قلبت المدارس وجه الشرق الثقافي قلبًا بليغًا فتح عيون أبنائه على الفنون العالمية والأساليب الكتابية الغربية، فضج الشرق بنزاع صارخ بين المحافظين والمجددين، الذين ذهبوا إلى أن الأساليب العربية القديمة لا تكفي للتعبير عن كل نواحي الحياة الحديثة، وقدموا المعنى على اللفظ، والتحليل على التركيب، إلا أن الكتابة لم تتحرر تحررًا تامًا فكان الكاتب يرى لزما عليه أن يأخذ أحيانًا بأساليب الصنعة فيسجع ويتطلب البديع مجارة للأحوال، فكان هذا الطور الثاني طور المحاولات المحمودة وابتداء النهضة الحقيقية التي انطلقت في القرن العشرين. وقد اجتاز النثر في هذا العهد ثلاثة أطوار مهمة: الطور الأول هو طور البعث واليقظة، وقد ظل النثر فيه متأثرًا بأسلوب القاضي الفاضل (ت: م 596هـ/ 1200م). والطور الثاني وهو طور المحاولات المحمودة، وقد قدم المعنى على اللفظ، بيد أن التحرر لم يكن تامًا. أما الطور الثالث فهو طور النهضة الحقيقية وقد قصرت الكتابة على المعاني وجُري فيها على أساليب رفيعة الفن.¹⁹³

وعلى الرغم من أن الزمن قد أوغل في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وبدأت بوادر النهضة في كل من مصر والشام تؤتي ثمارها، ويتطور الفكر والخيال، ويتطور تبعًا لهما الأسلوب سواء كان تقليديًا مسجوعًا أو مرسلاً، فإن العراق لم يتأثر بعوامل هذه النهضة، وظل القوم عاكفين على الأدب القديم، ولم

191 الدسوقي، نشأة النثر الحديث وتطوره، 26.

192 الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، 939.

193 الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، 938-940.

يكن لهم كبير اتصال بالعالم الخارجي إلا عن طريق زيارة عاصمة الخلافة الأستانة، لكن ذلك لم يمنع من ظهور نماذج نثرية لامعة يتصدرها العلامة الألوسي وغيره.¹⁹⁴

وقد نزع النثر في هذا العهد نزعات مختلفة منها النزعة الأدبية في الترسل والقصص والأبحاث مع الشيخين ناصيف اليازجي وابنه إبراهيم، ومع أحمد فارس الشدياق وجرجي زيدان (1914م) وسليمان البستاني (1925م) وأضرابهم، ومنها النزعة الاجتماعية في إصلاح مفاصل المجتمع، ومنها النزعة السياسية في تحرير البلاد ومعالجة القضايا الوطنية، ومنها النزعة العلمية.¹⁹⁵

ومما نُقل من الآداب الغربية في هذا العصر فن الرواية، وفن المسرحية، وقد نقلت روايات ومسرحيات شكسبير، وموليير، ولافونتين، وراسين، وغيرهم من الأدباء الإنكليز والفرنسيين والإيطاليين والروس، وبدأت هذه الفنون تجد لها صدًى، لا سيّما وقد كان لها سوابق عربية أصيلة في القصة الطويلة، مما ألفه العرب في الأجيال الإسلامية الوسطى، كقصة عليّ الزبيق، وسيف ذي يزن، والملك الظاهر، وبني هلال، ونحوها، فضلاً عن القصص القديمة كقصة عنتر، والزير، وألف ليلة وليلة. ثم عمد الكتّاب إلى التأليف في هذا الفن، ومن أقدم المشتغلين في ذلك فرنسيس مراث (1873م)، ثم سليم بطرس البستاني (1884م)، ثم ألف صاحب الهلال سلسلة روايات تاريخ الإسلام من أول ظهوره إلى الآن، صدر منها 17 رواية غير رواياته الأخرى، وأقدم آخرون على الكتابة في هذا الفن.¹⁹⁶

والقصة بالمفهوم الفني الحديث لون من ألوان الأدب الغربي، وقد على أدبنا العربي في مطلع النهضة الأدبية، وقد ساعد رواج القصة والرواية وغيرها من فنون النثر الحديثة، ظهور المسرح في منتصف القرن التاسع عشر. ولا يعني هذا أن أدبنا العربي القديم خلا من الفن القصصي، بل على العكس فقد عرف أدبنا ألواناً من القصص والحكايات والمقامات، بعضها مترجم عن آداب أجنبية مثل كليلة ودمنة، وألف ليلة وليلة، إضافة إلى تراث ضخم من القصص الديني الذي جاء على سبيل العظة والعبرة. وقد كان القرآن الكريم قد حفل من هذا القصص الشيء الكثير، وكذلك السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام. كما سجلت بعض الكتب نواذر وأخبار العرب في باديتهم وحضرهم. وقد حفلت المقامات وهي لون من الألوان القصصية بكثير من الحكايات والنواذر. لكن بالعموم لم تكن القصة في الأدب العربي القديم تحوي تعقيدات القصة التي جاءتنا لاحقة من الأدب الغربي، ولم تتمثل فيها الأصول الفنية كالحبكة،

¹⁹⁴ الدسوقي، نشأة النثر الحديث وتطوره، 46-47.

¹⁹⁵ الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، 23.

¹⁹⁶ زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، 1427.

والتسلسل المنطقي للأحداث، والتصوير الفني للشخصيات، باستثناء بعض المقامات التي تقترب في موضوعاتها وصياغتها الفنية من القصة الحديثة.¹⁹⁷

وفي القرن التاسع عشر بدأ ظهور الأسلوب الإنشائي العصري، فأخذ الكتّاب يعتمدون فيما يكتبونه على المعاني أكثر من الشكل من سجع واستعارة وتورية وجناس، لما يتلبّد حول هذه الأساليب من الصور المبهمة، وأصبح الأدباء ينفرون من استعمال ما لا حقيقة له، ويستنكفون من إضاعة الوقت في السجع البارد، أو تكرار الألقاب والنعوت لمجرد التّفخيم، وهان عليهم العدول إلى الحقيقة بحيث يكون همّ الكاتب موجّهاً بالأكثر إلى المعنى المراد إيضاحه؛ فأخذت هذه الروح تسري بين الكتّاب من أواسط هذا العصر، لكنهم لم يتفّقوا على أسلوب واحد يتحدونه من أساليب القدماء، فبعضهم تحدّى أسلوب صدر الإسلام، وآخرون قلّدوا أساليب الدولة العباسية، ولا سيما أسلوب ابن المقفع لسهولة ومتانته على أن بعضهم يتوخى أسلوب ابن خلدون في مقدمته، وآخرون يقلّدون الجاحظ أو غيره، وذلك شأن الكتّاب المنشئين الذين يهتمهم تنميق العبارة، ولا سيما في المواضيع الخطابية التي تحتاج إلى تفرّيع أو تهديد، أو ترهيب أو ترغيب، أما في المواضيع العمومية فقد نشأ في الإنشاء أسلوب عصري بسيط لا يرى أصحابه حاجة إلى تنميق العبارة، والتأنق في التركيب، وإنما يجعلون همهم إيضاح المعنى وإيصاله إلى ذهن القارئ بسهولة.¹⁹⁸

وكحال العديد من الحواضر العربية الأخرى، فقد شهدت بغداد في القرن التاسع ظهور عدد من الأدباء وعلماء العلماء اللغة والنحو، لعل أبرزهم العلامة أبو الثناء الألوسي الذي كان لمؤلفاته وآرائه اللغوية والنحوية تأثير كبير في تجديد النشاط في ميدان اللغة والنحو. ويُعدّ أبو الثناء أعظم شخصية علمية أنجبها العراق في العصر العثماني، فغزارة علمه وكثرة مؤلفاته، وسيرته المتميزة، وعلاقاته بأدباء عصره وعلمائه ورحلاته المدونة جعلته أشهر علماء العراق في القرن الثالث عشر للهجرة (التاسع عشر للميلاد)، وخير ما يكشف عن جهوده في اللغة وعلومها تفسيره روح المعاني، فشروحه اللغوية واستطراداته النحوية تدل على علم غزير بالنحو والصرف والمعاني والاشتقاق وعلى براعة في الاختيار والتلخيص. ولا تخلو مصنفات الألوسي الأخرى من ملاحظات دقيقة وفوائد لغوية ونحوية وصرفية لو جمعت إلى ما تنأثر في تفسيره لتمثل لنا أبو الثناء في صورة كبار علمائها في العهد العثماني وأول روادها في العصر الحديث لما في آرائه اللغوية من عناصر التجديد والحدّاث. والحق أن شطراً كبيراً من نتاجه كان انعكاساً لسيرته الحافلة بالأحداث المهمة.¹⁹⁹

¹⁹⁷ عثمان موافي، في نظرية للأدب من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي الحديث (د.م: دار المعرفة الجامعية، 1994)، 76/2.

¹⁹⁸ زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، 1467-1468.

¹⁹⁹ نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، 139-138/11.

وقد اشتغل بعلوم اللغة العربية كثيرون منهم السيد عمر رمضان الهيتي (ت: 1252هـ / 1836م)،

ومحمد سعيد الطَّبَّجَلِي (ت: 1373هـ / 1856م)، وعيسى صفاء الدين البندنجي (ت: 1283هـ/

1866م)، والشيخ إبراهيم فصيح الحيدري (ت: 1300هـ/ 1866م) وغيرهم. ولو أجرينا مسحاً شاملاً لما

ألف في العراق خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين لوجدنا طلائع الاتجاهات الحديثة الرامية لتجديد العربية وعلومها ومناهج البحث فيها. ومن غير المعقول أن تكون حركة التجديد التي قويت واتسعت في أوائل هذا القرن قائمة في الهواء، فجذور النهضة التي بدأت بأبي الثناء الألوسي هي التي غدت التوجه الجديد، ثم توالى بعد ذلك الدوافع والأسباب التي حفزت العلماء العراقيين على اللحاق بأشقائهم في مصر والشام وتونس. وهذا يؤكد وحدة اللغة والثقافة العربية، فكل ما يظهر في بلد عربي ينتقل إلى البلدان الأخرى.²⁰⁰

في ختام هذا الفصل، ينبغي الإشارة إلى ملحوظة مهمة لمسها الباحث لدى كتابته المادة المتعلقة بأدب القرن التاسع عشر، وهي انقسام الكتاب والنقاد إلى ثلاث فرق:

الأولى: ترى أن هذا القرن مثل امتداد لما يراه عصر الجمود والتخلف على حد وصفه، وعانى فيه الشعر من التقليد وغياب التجديد الذي ظهر في القرن العشرين. وهذا القول ليس دقيقاً، وهو ما تبرهنه النقطة الثانية.

الثانية: يرى أن القرن التاسع عشر مثل بداية النهضة الأدبية شعراً ونثراً، بدليل أن رواد النهضة الأدبية هم من شعراء وأدباء القرن التاسع عشر، وكذلك كان الحال في شعراء العراق.

ويستدل أصحاب هذا الرأي بشهادة العديد ممن أرخوا لتلك الفترة، منهم مصطفى نور الدين الواعظ (ت: 1331هـ- 1913م) حيث يقول: إلا أن القرن الثالث عشر مع اشتماله على سادة بررة، وفضلاء خيرة، وشعراء كمل، وأدباء نبل، فاقوا ببديع شعرهم وبليغ نثرهم، وكم من فاضل أتى بما لم تستطعه الأوائل".²⁰¹

يقول الأستاذ محمد رجب البيومي إن خلافاً دار بشأن بدء النهضة العلمية في العراق، إذ حاول بعض الكتاب أن يحدروا بها إلى أوائل القرن العشرين، وهذا خطأ واضح، لأن وجود إمام كبير مثل أبي الثناء الألوسي في مفتتح القرن التاسع عشر، وامتداد عمره إلى منتصفه، يدل على أن البيئة العلمية كانت

²⁰⁰ نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، 141/11-143.

²⁰¹ مصطفى نور الدين الواعظ، الروض الأزهر في تراجم آل السيد جعفر، تحقيق إبراهيم الواعظ (الموصل: مطبعة الاتحاد، 1948)، 4.

تسمح بوجود عملاق كبير، أدى دوره الفكري على أكمل وجه، ووجوده كاف لمنع اللجاج الصاخب بشأن ابتداء النهضة العلمية بوادي الرافدين.²⁰²

الثالثة: هذا الفريق لديه رؤية وسطية بين الرأيين الأوليين، ترى أن شعر القرن التاسع عشر مثل مرحلة انتقالية بين الجمود والنهضة، حيث كانت فيه بوادر التجديد التي ترسخت في القرن العشرين. ولعل الأمر كما لخصه الدكتور وليم الخازن في كتابه (تباشير النهضة الأدبية) بقوله إنه ليس للنهضة العربية الحديثة حدوداً واضحة متفقاً عليها، بل هي تيار متصل، بعيد الجذور، كثير الروافد، يختلف اتساعاً واهمية وتأثيراً من بلد عربي لآخر.²⁰³

كما يؤكد الأديب أحمد عزت بن محمود بن سليمان بن أحمد الفاروقي (ت: 1310هـ- 1892م) بأن بغداد كانت تغص بالفضلاء والعلماء والأدباء، وذلك في حديثه عن سنة 1261هـ التي تقابل سنة 1845 للميلاد، ما يعني أن حركتها الأدبية كانت تمضي على قدم وساق.²⁰⁴

وبكل الأحوال فمن المستبعد أن تكون نهضة العراق وليدة القرن العشرين، لأنه بما قام به داود باشا والي العراق في العقد الثاني، وما بعده من القرن التاسع عشر من إصلاحات علمية وصناعية، كانت مبعث تقدم فكري، حيث استدعى فريقاً من مهرة الصناعات بأوروبا لإنشاء المصانع والمدارس، كما شيد دوراً خاصة بالكتب والمخطوطات، واشترى مطبعة لنشر المؤلفات، وأصدر جريدة سماها جورنال العراق، كما أكثر من تعمير المساجد القديمة، وأودعها نفائس الكتب، وعين بها حملة العلم ليقروا دروس الفقه واللغة، وإذا ثبت ذلك كله، فإن الذين حاولوا أن يرجئوا دور العراق العلمي إلى ما بعد مفتح القرن العشرين واهمون.²⁰⁵

²⁰² محمد رجب البيومي، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين (دمشق: دار القلم والدار الشامية، 1995)، 33/2.

²⁰³ الخازن، تباشير النهضة الأدبية، 11.

²⁰⁴ أحمد عزت باشا الفاروقي، العقود الجوهريّة في مدائح الحضرة الرفاعية (مصر: مطبعة محمد أفندي مصطفى، 1309)، 47.

²⁰⁵ البيومي، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، 33/2.

الفصل الثالث: أبو النّاء الأوسي، حياته ومكانته العلمية والأدبية



المبحث الأول: حياة الألوسي

مر بنا في الفصل الثاني الحديث عن الأسرة الألوسية ودورها في الحركة الأدبية ببغداد. وفي هذا الفصل نخصص الحديث عن العلامة أبي الثناء الألوسي عليه رحمة الله قبل الشروع في الحديث عن فن المقامة، والمقامات التي صنفها هو تحديداً في الفصل التالي.

المطلب الأول: اسمه ونسبه

هو السيد محمود ابن السيد عبد الله ابن محمود بن درويش ابن عاشور ابن محمد ابن ناصر. ويعود نسبه الى الإمام محمد الجواد ابن علي الرضا ابن الإمام موسى الكاظم، رضوان الله عليهم جميعاً، أي إن نسبه يرجع إلى سيدنا عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه.²⁰⁶

أما نسبه (الألوسي)، فهو نسبة إلى ألس، بلدة غربي العراق، تقع قرب حديثة بمحافظة الأنبار، وتبعد عن عانات الفرات أكثر من 80 كيلومتراً. وقيل فيها ألس بغير مدّ، ويُقال فيها أيضاً ألسة، بالمدّ، فهو مثل قولهم آجور.²⁰⁷ وهو اللفظ الدارج اليوم في العراق، وقد أورده الدكتور محسن عبد الحميد في كتابه، (الألوسي مفسراً)، حيث قال إن أهلها يلفظونها بالمد.²⁰⁸ كما استحسن الدكتور إبراهيم السامرائي أن تكون النسبة بالمد، وذلك لشيوعها مع صحتها.²⁰⁹

وقد رجح العلامة محمد بهجة الأثري أنها بالقصر (ألس)، مشيراً إلى أن من بين من نسب إليها من القدماء الشاعر المؤسس الألوسي المتوفي سنة 557هـ. وأضاف رحمه الله أن هذه الأسرة بغدادية المعالم، وقد انتسبت إلى ألس لأن أحد أجدادها فر من بغداد حين دهمها هولاء وفك بأهلها، قبل أن يعودوا إليها فيما بعد، حيث كان أسلاف الشيخ أبي الثناء يسكنون بغداد منذ زمن العلامة الشيخ إسماعيل المفتي الألوسي، وقد كان مفتي بغداد في أواخر المائة الحادية عشرة، واستعفى عن الإفتاء وذهب إلى

²⁰⁶ الراوي، تاريخ الأسر العلمية في بغداد، 181-182.

²⁰⁷ شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي ياقوت الحموي، معجم البلدان (بيروت: دار صادر، 1995)، 56/1؛ ومحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين (القاهرة: دار الهداية، د.ت)، 405/15.

²⁰⁸ علي علاء الدين الألوسي، الدر المنتثر في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر، تحقيق جمال الدين الألوسي، عبد الله الجبوري (د.م: الدار العمرية، 2005)، 12؛ وينظر كذلك: محسن عبد الحميد، الألوسي مفسراً (بغداد: مطبعة المعارف، 1968)، 39.

²⁰⁹ إبراهيم السامرائي، السيد محمود شكري الألوسي وبلوغ الأرب (د.م: المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع، 1992)، 8.

الأستانة، وعظمت فيها مكانته، حتى وجهت له عدة أراض في عانات²¹⁰ وألوس وغيرهما، فتوطن عانات وسكن بعض ذريته فيها وبعضهم في ألوس وغيرهما، ثم في سنة السبعين أو قريباً منها من المائة الثانية بعد الألف، جاء جده السيد محمود الخطيب بن السيد درويش إلى بغداد واتخذها موطناً له.²¹¹

ولد السيد محمود يوم الجمعة 14 شعبان 1217هـ في جانب الكرخ من بغداد. حفظ القرآن الكريم صغيراً، ثم حفظ ألفية ابن مالك، وقرأ غاية الاختصار في فقه الشافعية، وحفظ في علم الفرائض المنظومة الرحبية، كل ذلك كان عند والده وقبل أن يكمل السابعة من عمره.²¹²

وقد كان الطفل الذي ينشأ في كنف الأسر العلمية في بغداد، يشاهد أول ما تتفتح عقليته ويشد ساعده، جواً علمياً يقومه ويعينه على إيجاد مستقبل علمي صحيح، ظهر ذلك جلياً في أبي الثناء الذي ولد في أسرة عرفت بالصلاح والعلم، إذ إنه تتلمذ على أمه وأبيه قبل أن يبلغ سن الحلم، ثم لقي من رعاية أبيه وأستاذه وتوجيهه وإرشاده ما جعله مضرب الأمثال في الرواية والحفظ وسرعة البديهة ودقة النظر.²¹³

وقد كان أبوه السيد عبد الله أفندي يدرس في جامع أبي حنيفة النعمان ببغداد أربعين سنة، وكان يذهب ماشياً إليه احتراماً وتوقيراً للأمام الأعظم.²¹⁴ وقد وصفه أبو الثناء بقوله: " وكان عليه الرحمة ترشح بالصلاح جلدته، وتشرح الصدور رؤيته، ما رآته عيون الأسحار إلا قائماً، وما أبصرته مواسم الأبرار إلا صائماً، وما ابتسم ثغر فجر تحت أذيال دجاء، إلا وجده يبكي خشية بين يد مولاة جل علاه".²¹⁵ أما أمه فاطمة فقد كانت امرأة صالحة، توفيت وهو صغير، وهي بنت العالم المعروف الشيخ حسين بن الشيخ علي العشاري صاحب المؤلفات الجلية الذي توفي سنة 1200هـ - 1785 م.²¹⁶

المطلب الثاني: طلبه للعلم

لما بلغ محمود العاشرة، أذن له والده بالأخذ من غيره، فأتى دروسه على يد كثير من أبناء مدينته بغداد، منهم: ابن عمه علي بن أحمد العاشور، ومحمد بن أحمد الحافظ، المدرس في المدرسة السليمانية، والحاج درويش بن عرب خضر، والشيخ عبد العزيز الشواف، والعلامة السيد محمد أمين الحلبي، والشيخ

²¹⁰ يقول ياقوت الحموي إن قرى عانات سميت بثلاثة إخوة من قوم عاد خرجوا هراباً فنزلوا تلك الجزائر فسميت بأسمائهم، وهم: ألوس وسالوس وناووس، فلما نظرت العرب إليها قالت: كأنها عانات أي قطع من الظباء. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 72/4.

²¹¹ الأثري، أعلام العراق، 8.

²¹² الأثري، أعلام العراق، 21.

²¹³ الزيات، مجلة الرسالة، 11.

²¹⁴ عبد الحميد، الألوسي مفسراً، 40.

²¹⁵ الألوسي، غرائب الاغتراب، 21.

²¹⁶ عبد الحميد، الألوسي مفسراً، 41.

علي السويدي، والشيخ خالد النقشبندي، والعالم الأديب علاء الدين الموصللي، وقد أخذ عن هؤلاء المشايخ الإجازات في علوم الدين واللغة والآداب والفقه والحديث وغيرها من علوم المنقول والمعقول.²¹⁷

بلغ شغف الألوسي في تحصيل العلم حدًا كبيرًا، فأخذ ينتقل بين كبار علماء عصره، يأخذ منهم ويدرس على أيديهم.²¹⁸

ولما انقضت 13 سنة من عمره استقر عند شيخه علاء الدين أفندي الموصللي، فتخرج على يديه بعد أن أحاط بتفسير القرآن الكريم، قبل أن يبلغ العشرين.²¹⁹

وعندما بلغ الحادية والعشرين من عمره، حصل منه على الإجازة في يوم مشهود، اجتمع فيه علماء بغداد بالمدرسة الخاتونية الواقعة بالقرب من الحضرة الكيلانية، التي أصبح مدرسًا فيها لاحقًا. لكن قبل ذلك صار خطيبًا وواعظًا في جامع ومدرسة رأس القرية من قبل الوالي داود باشا الذي لم يسمع أقاويل أعداء الشيخ فيه. وقام الألوسي رحمه الله بالتدريس في عدد من مساجد بغداد، منها مسجد الحاج عبد الفتاح، ومسجد القمرية ومسجد السيدة نفيسة وجامع المرجانية.²²⁰

وحين كان الوالد العطوف يجد همّة ولده ترغب في استيعاب ما يقدر على الإحاطة به من دروس الزملاء، شجعه على مواصلة الاختلاف إلى حلقات العلم، وكان يقر به عيّنًا حين يعود إليه بعد انتهاء يومه، فيحدثه بما تعلم، وما دار في حلقة الدرس، وقد نال إعجاب شيوخه جميعًا، فمنحوه إجازات علمية. بل ولم يكتف الشاب الطموح بعلماء بغداد، بل حرص على لقاء الأساتذة في بيروت ودمشق، ورجع بإجازتهم كذلك، والإجازة يومئذ شهادة سبق وبرهان نبوغ.²²¹

المقصد الأول: أساتذته وشيوخه

أخذ أبو الثناء الألوسي العلم عن فحول العلماء، ومنهم والده عبد الله، والشيخ علي السويدي، والشيخ خالد النقشبندي، والملا حسين الجبوري، وغيرهم من السادة والأفاضل.²²²

كما طلب أبو الثناء العلم على يد ابنه عمه السيد علي بن السيد أحمد، والشيخ عبد العزيز أفندي شواف زاده، والشيخ ضياء الدين الشيخ خالد النقشبندي، والشيخ يحيى المزوري العمادي، والشيخ عبد الله

²¹⁷ الألوسي، مقامات ابن الألوسي، 26-27؛ والراوي، تاريخ الأسر العلمية في بغداد، 182-183؛ والأثري، أعلام العراق، 22.

²¹⁸ الألوسي، غرائب الاغتراب، 6-7.

²¹⁹ عبد الحميد، الألوسي مفسرًا، 42.

²²⁰ الألوسي، غرائب الاغتراب، 20؛ و عبد الحميد، الألوسي مفسرًا، 43.

²²¹ البيومي، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، 35/2.

²²² عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم الميداني الدمشقي البيطار، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقيق محمد بهجة البيطار (بيروت: دار صادر، 1993)، 1453.

أفندي العمري، الذي درس عليه القراءات. وتتلّمذ كذلك عند الشيخ المحدث عبد الرحمن الكزبري الذي أجازته إجازة طويلة من الشام بأسانيد كاملة للعلوم التي تلقاها، وكذلك الحال مع الشيخ عبد اللطيف عبد الله المفتي. كما طلب أبو الثناء من شيخ الإسلام أحمد عارف حكمت أن يجيزه في العديد من العلوم، فأجازته بأسانيد كثيرة عندما التقاه في إسطنبول.²²³

كذلك طلب العلم على يد العلامة عبد العزيز الشواف، والعلامة محمد أمين بن السيد علي الحلبي، والشيخ الأديب علي علاء الدين الموصللي، وقد لازمه نحو 14 عامًا، وقد كانت خاتمة إجازاته على يديه.²²⁴

المطلب الثالث: نبوغه وذيوع صيته

بعد وفاة والده سنة 1246هـ- 1830م، انتقل إلى الكرخ، وسكن في جوار مسجد الشيخ عبد القادر الجيلي (الكيلاني)،²²⁵ وظهر صيت الألوسي بين الناس، وانتشرت أخبار علمه وفضله، فجلبت عليه حسد الحاسدين. ولما جاءت حادثة الطاعون سنة 1830م، واستسلم الوزير داود باشا، ودخل الوزير علي رضا باشا بغداد، استغل حساد الألوسي الأمر للإيقاع بالشيخ، من خلال إغراء الوزير الجديد أن الألوسي من أعوان داود باشا، فاضطر للاختفاء في سرداب بعض خواصه ثلاثة أيام.²²⁶

ولما جاء عبد الغني أفندي جميل (ت: 1278هـ- 1861م) إلى بغداد وعين مفتيًا للحنفية فيها، لجأ إليه الألوسي، فسعى له عند الوزير حتى عفا عنه، وعين أمينًا للفتوى، وأصبح مدرسًا في المدرسة القادرية. لكن الوزير حقد مرة أخرى على أبي الثناء بعد عزل جميل، فحبسه لمدة سنة ونصف في محلة الشيخ عبد القادر.²²⁷

وبعد خروجه من السجن، حضر الوزير علي رضا وعظًا له أقيم في الحضرة القادرية برمضان سنة 1832م، فدهش الوزير من فصاحة الشيخ وغازاة علمه، فأعاد له وظائفه التي أخذها منه، وتوطدت العلاقة بينهما.²²⁸

²²³ عبد الحميد، الألوسي مفسرًا، 55-59.

²²⁴ الألوسي، الدر المنتثر، 15.

²²⁵ الألوسي، غرائب الاغتراب، 23.

²²⁶ أبو الثناء، شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطية (بيروت: دار الكتب العلمية، 1415)، 288/5.

²²⁷ الألوسي، غرائب الاغتراب، 22-23.

²²⁸ الأثري، أعلام العراق، 23؛ وعبد الحميد، الألوسي مفسرًا، 44.

وكانت وظيفة الإفتاء أكبر وظيفة علمية ببغداد، ولا يتقلدها إلا عالم كبير، له تلاميذ كبار، بيد أن شيوخ بغداد رأوا أبا الثناء خليفًا بهذا المنصب، فتقلد الإفتاء ولم يتجاوز عمره الثلاثين عامًا إلا بأيام.²²⁹

قال في مقاماته عن توليه الإفتاء: "جاء ذو المجد العبقرى، واحد الأحاد عبد الباقي أفندي العمري، ومعه أعجوبة الأمم، ملا عليّ كرخا الحرم المحترم، فقالا لي: قد أمر حضرة أفندينا منحه الله تعالى في كل الأمور نجاحًا، أن تذهب إلى حضرته العلية في السراي غداً صباحًا، ورأيتهما كأنهما يريدان الطيران بأجنحة السرور، ومياه الفرح في أساريهما تموج وتمور، فقلت لهما إنني أحس بحدوث أمر سار منكما، فأفصحا لي عن حقيقة الحال، وبالله تعالى لا أروي ذلك عنكما.

فَلَيْسَ عِنْدِي مَوْضِعٌ لَا يَنَالُهُ صَدِيقٌ وَلَا يَقْضِي عَلَيْهِ شَرَابٌ

فقالا: أما ورب السماء، إن المشار إليه يريد بلا لبس أن يلبسك غداً كُرْكُ الإفتاء، فعزى أصحابي من المسرة ما لا يُشرح، وغدا كل واحد منهما في رياض الطرب يسرح، وأحيوا تلك الليلة بإماتة المنام، فرحًا بما قُلتته من أمانة الإفتاء في مدينة السلام".²³⁰

في هذه الأثناء شرح الألوسي (البرهان في إطاعة السلطان)، فأجازته الوزير بوقف جامع المرجان، وكان لا يعطى إلا لأعلم علماء بغداد، وجاءته رتبة التدريس من قبل السلطان، ثم عينه الوزير في منصب مهم للغاية، وهو مفتي الحنفية في بغداد.²³¹

وقد أشاد العديد من الشعراء بأبي الثناء ومدحوه على منصبه الجديد، منها قصيدة عبد الغفار الأخرس التي يقول فيها:

يَا قُدُوءَ الْعُلَمَاءِ يَأْمَنُ عِلْمُهُ بَحْرٌ وَمَنْهَلٌ فَضْلُهُ مَوْرُودٌ

لكن بعد نقل علي رضا باشا ومجيء الوزير محمد نجيب باشا، عزله من منصب الإفتاء، وهو قرار أفرح الألوسي، لأن الإفتاء ضيق عليه أوقاته، وحال دون إتمام تفسيره (روح المعاني)، فكان أن خلا لتفسيره. ولم يكتف الوزير بعزله من منصب الإفتاء، بل رفع عنه وقف جامع مرجان، وبذلك حارب الشيخ في رزقه، وقد كان حينئذ صاحب بيت عامر، تنهض به مدرسة علمية، يعيش فيها العشرات من طلبة العلم، ويحتاجون إلى الإنفاق، ولم يشأ أن يعلن للناس ضيق يده، فاضطر أن يبيع أثاث بيته، وما غلى ثمنه

²²⁹ البيومي، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، 37/2.

²³⁰ الألوسي، مقامات ابن الألوسي، 46-47.

²³¹ الألوسي، غرائب الاغتراب، 23-24.

من الكماليات، وكان يسلي نفسه بالتدريس والتأليف، منتظرًا أن تزول الغمة، لكن الليل طال، وحينها لم يجد بدءًا من الرحيل إلى الأستانة لعرض مظلته هناك.²³²

سار الألوسي عبر عدة مدن في الديار التركية، وواجه إقبالًا وإكرامًا من أهل العلم والفضل في تلك المدن، حتى وصل إلى سامسون، ومنها أبحر إلى الأستانة، فقابل هناك شيخ الإسلام أحمد عارف حكمت، فأوصاه بمقابلة الصدر الأعظم رشيد باشا، فقابله وأعجب بوقاره ورجاحة عقله وحسن خلقه، ثم أنزله في دار الضيافة، واتصل بكثير من أصدقائه المخلصين، فدافعوا عنه، فصدر الأمر بمكافأته، ورد نصف أوقاف المرجان إليه، قبل أن يعود إلى بغداد سنة 1269هـ-1852م، فتقاطر إليه العلماء والأدباء يرحبون بمقدمه.²³³

كما انهالت عليه قصائد الشعراء مرحة بمقدمه، ومنها قصيدة الشاعر عبد الباقي العمري التي جاء فيها:²³⁴

أَعِيدَتْ إِلَى الزُّوراءِ رُوحُ مَعَانِيهَا فَكَادَتْ بِبِشْرَاهَا تَفُوهُ مَغَانِيهَا
وَرُدَّتْ إِلَيْهَا الشَّمْسُ مُشْرِقةً الضِّياءِ وَمِنْ حِكْمَةِ الإِشْرَاقِ نَالَتْ أَمَانِيهَا

المقصد الأول: وفاته

في أثناء رجوع الألوسي من إسطنبول إلى بغداد، داهمه المطر في منطقة الزاب بين أربيل وكركوك، حتى ابتلت ثيابه، فاعتزته الحمى وشفي منها، لكنها كانت تعاوده بين الحين والآخر، حتى نحل جسمه واشتد عليه المرض حين صام رمضان وهو على هذه الحالة، فلم يقدر على الحركة والقيام في الصلاة. وفي يوم الجمعة، بعد أن صلى بإيماء الظهر، ظل يلهج باسم الله على لسانه ولم يتلعثم حتى صباح السبت، ففاضت روحه إلى بارئها في صباح السبت الخامس والعشرين من ذي القعدة 1270هـ، 1854م. وتولى غسله أجل تلامذته العالم محمد أمين أفندي الشهير بالواعظ، واشترك في جنازته خلق عظيم.²³⁵

وقد رثاه جملة من الشعراء منهم عبد الغفار الأخرس الذي قاله في وداعه:²³⁶

اللَّهُ يَعْلَمُ وَالْأَنَامُ شُهُودُ إِنَّ الَّذِي فَقَدَ الْوَرَى لَفَرِيدُ
كَانَ الْإِمَامَ بِهِ الْأُئِمَّةُ تَقْتَدِي فَلَهُ الْهُدَى وَلِغَيْرِهِ التَّقْلِيدُ

²³² البيومي، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، 40-39/2.

²³³ الألوسي، غرائب الاغتراب، 132-122.

²³⁴ العمري، الترياق الفاروقي، 334.

²³⁵ الألوسي، المسك الأذفر، 80-79.

²³⁶ الأخرس، ديوان الأخرس، 93.

عَجَبًا لِمَنْ ضَلَّاقَ الْفَضَاءَ بِعِلْمِهِ أَتَى حَوْتَهُ مِنَ الْقُبُورِ لِحُودُ

ترك أبو الثناء عليه رحمة الله، خمسة أولاد هم عبد الله بهاء الدين، وعبد الباقي سعد الدين،
ونعمان خير الدين، ومحمد عاكف، وأحمد شاكر، وكانوا جميعاً على قدر من العلم والسياسة الحسنة.²³⁷

المطلب الرابع: شخصيته

لم يكن أبو الثناء شخصاً عادياً، بل كان شخصية عبقرية تحمل ذكاءً حاداً، وقد استطاع أن يدقق
ويحقق ويهضم المعارف الإنسانية هضمًا عجيباً، وظهرت عليه علامات النجابة منذ الصغر، ولم يبلغ
العشرين من عمره حتى تعمق في العلوم المختلفة، وأحاط بتفسير القرآن الكريم إحاطة شاملة، ليكون بعدها
من كبار المفسرين.²³⁸

وصفه أحد تلامذته بأنه كان أحد أفراد الدنيا بفضل علمه وأدبه وذكائه، حوى إلى جانب المجد
والشرف، كرم الأخلاق وصفاء الذهن والقريحة، والفطنة وسرعة الخاطر وقوة الحافظة، عرف بحلاوة
المنطق وعذوبة التقرير وحسن التحرير، وبلاغة الإنشاء، إلى جانب قول الحق وحسن السيرة وقد نبغ في
جميع العلوم العقلية والنقلية. بيد أنه كان جل ميله إلى خدمة كتاب الله تعالى، وحديث جده عليه أفضل
الصلاة والتسليم. وكان في غاية الحرص على التزود من العلم، لا يفتر عن اقتناص الفوائد، ولا يغفل عن
استخراج الدقائق والازدياد من الفضائل.²³⁹

وقد كان حسن الثياب والمنظر، جليل المخبر، جميل الصورة، نقي السريرة، ذو بشرة بيضاء
مشربة بحمرة، ليس بالقصير ولا بالطويل ولا السمين ولا النحيل.²⁴⁰

وبالجملة فقد كان عليه رحمة الله تعالى ذا شمائل منيفة، وصفات طريفة، حسن المنظر والمخبر،
حسن العشرة، ناصع الظرف، عظيم الخلق، شريف النفس، ذا هيبة ووقار، وكان سريع الغضب والرضا،
وقد مدحه الشعراء بكل لسان، والفضلاء بكل ديوان، مما هو مسطور مع بعض آثاره، وجليل أخباره.²⁴¹
ومن الغريب حقاً أن نرى شاباً في العقد الثاني من عمره يبرز على هذا النحو، ثم يتسلم مقاليد
العلم والتدريس في مدارس كانت بمثابة الجامعات، في مجتمع يعج بالعلماء والشيوخ، ثم يرتفع فوقهم
ليشق طريقه ويبني لنفسه مجداً علمياً، يحوز به أعلى الرتب الدينية والدنيوية، ليعين مفتياً في بغداد من

²³⁷ الآلوسي، المسك الأذفر، 98-119؛ وعباس العزاوي، ذكرى أبي الثناء الآلوسي (بغداد: المجمع العلمي

العراقي، 1958)، 59-60.

²³⁸ عبد الحميد، الآلوسي مفسراً، 63.

²³⁹ الأثري، أعلام العراق، 27.

²⁴⁰ الآلوسي، الدر المنتثر، 19.

²⁴¹ الآلوسي، المسك الأذفر، 83.

قبل وزير سجنه قبل ذلك وأراد قتله، لكن لما بدا له علمه الغزير وبيانه العذب ووقاره المهيّب ووعظه المؤثر، انقلب كرهه له إلى إجلال، ليضع الألوسي في مكانه الذي يستحق، متخذاً منه جليساً وصديقاً.²⁴² وقد تكرر ذلك مرات ومع أكثر من والٍ من ولاية بغداد، لا سيّما وأن حاسديه، لم يتركوا فرصة ليوقعوا بالشيخ، ويوغروا صدر الولاية عليه، لكن كيدهم كان يرد إلى نحورهم في كل مرة.²⁴³

وكان الألوسي من أشد أنصار الدولة العثمانية، أيدها بلسانه، ودافع عنها في كتبه ومواعظه ورسائله، وهو ينطلق في ذلك من كونه مسلماً متبعاً للشرعية التي تفرض وجود دولة تمثلها، وتلزم المسلمين باتباعها والعيش في كنفها، ما لم تكن قد خرجت على الشرعية. كما كان الألوسي يعيش في العراق، هذا البلد الذي كان مطمع الشرق والغرب، كل يريد مسح هويته وحرفه عن عقيدته، ولم يكن هناك لدى العلماء -ومنهم الألوسي- بدٌّ من أن يقفوا موقف المؤيد للدولة العثمانية التي كانت الوصية على المسلمين في العالم. فكان على الألوسي وأمثاله من العلماء أن يقفوا صلة الرعاية بالدولة العلية، ويركزوا تأييدها في نفوسهم. وعلى الرغم من تأييده للدولة كياناً وعقيدة، لكن ذلك لم يمنع من لفت الناس إلى بعض الأدواء الاجتماعية التي كانت مستشرية في زمانه، وهناك لفئات اجتماعية كثيرة في النقد والإصلاح عرضها الألوسي في ثنايا كتبه، بالإمكان أن نكون عن طريقها فكرة واضحة عن دوره الاجتماعي الإصلاحية.

ولأجل ذلك يمكن أن نقول ان شخصية الألوسي كانت من الشخصيات الإصلاحية التي تفكر في أمر مجتمعها، وتحاول أن تلفت نظر العامة والخاصة إلى عيوبه، ووضع الحلول الناجعة لإصلاح أمره. ومن ملامح هذه الشخصية أنها كانت معتدلة متزنة غير متطرفة، لا سيما إذا ما علمنا أن التطرف كان سمة عصره في كل شيء، وضعنا يدنا على هذه الشخصية الكبيرة التي فهم صاحبها الحياة في ظلال طبعه الهادئ، وعقليته الواسعة، وفهمه العميق لروح الإسلام. كما إن هذا الجانب من شخصيته يظهر بصورة واضحة في تفسيره، عند عرض الموازنات والمقارنات، ولإيراد الآراء والردود على الخصوم.²⁴⁴

ومن ملامح شخصية الألوسي أنها كانت شخصية ساخرة، تجد الفكاهة في ثنايا كلام صاحبها، ففي سفره إلى إسطنبول لحق به ولده عبد الباقي، فحثه على الرجوع إلى والدته فلم يوافق، يقول الألوسي متحدّثاً عن ذلك بحس دعابته: " فحسنت له الرجوع إلى أمه والهجوم من أخيه وعمه فلم يكن يعقل ويعي وأبى إلا البقاء معي وحدثت أن أمه سهلت عليه سلوك الفجاج وأرسلته ليكون رقيباً علي يمنعني مما عسى أن أهم به من الزواج فقدم حقوقها على حقوقي وقدم على تحمل مشاق السفر العقوقي فأذنت له بالبقاء لعلي

²⁴² عبد الحميد، الألوسي مفسراً، 64.

²⁴³ الألوسي، غرائب الإغتراب، 20-33-34.

²⁴⁴ عبد الحميد، الألوسي مفسراً، 73-75.

أداوي به علل الأحزان وقلت لنفسي لا تيأسي فما شاء الله تعالى كان على أن وإن كنت في حب النكاح مشهوراً قد جعل الله تعالى اليوم بيني وبين ذلك حجاباً مستوراً".²⁴⁵

وفي جزيرة ابن عمر في أثناء رحلته إلى إسطنبول سأله شيخ، عن قول للعلامة ابن حجر، فأجابه ونقل إليه آراء طائفة من العلماء، ثم قال: " فما رأيته هش ولا بش. ثم تلوت عليه ما حررته فأوضحته لديه وقررته فأحسست أن تكاثف شعر ذقنه حال بينه وبين وصوله إلى ذهنه".²⁴⁶

وغير ذلك مما أورده في كتله لا سيّما رحلاته ومقاماته مما يدل على حس الدعابة اللطيفة لديه، والتعبير عنها بطريقة تصور جانباً من الواقع، ونظرته إليه.

المبحث الثاني: مكانة الألوسي العلمية والأدبية

المطلب الأول: سيرته العلمية والأدبية

يعد الألوسي من أولئك العلماء الذين تبوأوا أرقى المقامات العلمية بسرعة وجدارة، وشقوا طريقهم وسط العقبات الكثيرة، وفي خضم أحداث كبيرة. فقد عُيّن الألوسي وهو شاب في العديد من المدارس، فتصدر التدريس فيها، وأجاد واشتهر، ثم فرضه علمه وبيانه حتى صار مفتياً لبغداد، وهو أعلى منصب علمي وديني في ذلك الوقت. ثم كان أن اشتغل بتفسير كتاب الله، فوضعه تفسيره في العالم الإسلامي جنباً إلى جنب مع المفسرين العظام والعلماء الأعلام، فسار خبره في ديار الإسلام، وعظمه علماء عصره، وفي مقدمتهم شيخ الإسلام أحمد عارف حكمت. ولمكانة الألوسي العلمية استجازته كثير من العلماء فأجازهم، وكانوا يفتخرون بإجازتهم منه.²⁴⁷

وكان عالماً باختلاف المذاهب مطلقاً على الملل والنحل، شافعي المذهب إلا أنه في كثير من المسائل يقلد الأمام الأعظم، بل كان في آخر عمره يميل إلى الاجتهاد كأمثاله من العلماء.²⁴⁸

وقد كان رحمه الله إماماً في التفسير والإفتاء، وعالماً ضليعاً باللغة، وكاتباً بليغاً، وخطيباً مفوهاً، وقد حظي بشهرة عظيمة في عصره، وصار مقصد الأدباء والمتأدبين، وطلاب التفسير والفقه. كما كان سريع الخاطر، منطلق الذهن في الكتابة والتحرير، وقيل: إن أقل ما كان يكتبه في الليلة من مؤلفاته ورقتان كبيرتان، وله عدة كتب في التفسير والفقه والمنطق والأدب واللغة.²⁴⁹

²⁴⁵ الألوسي، غرائب الاغتراب، 24.

²⁴⁶ الألوسي، غرائب الاغتراب، 32.

²⁴⁷ الألوسي، غرائب الاغتراب، 277-297؛ حيث يسرد الألوسي رحمه الله جانباً من إجازاته العلمية لعدد من تلامذته. وينظر أيضاً: عبد الحميد، الألوسي مفسراً، 80.

²⁴⁸ الألوسي، الدر المنتثر، 19.

²⁴⁹ الدسوقي، في الأدب الحديث، 1/259.

وكان الألوسي يرأس (عصبة الأدباء) ويوجه أعضائها لإنكار الظلم، ولعل هذا من أسباب إبعاده عن الإفتاء، بعد أن أعلى شأنه 15 عامًا، وعزله عن وظائفه هي خشية السلطة من هذه التوعية التي يتولى أمرها أبو الثناء بوعظه ودروسه والتفاف الأدباء والشعراء والعلماء حوله وتحت زعامته. وكان أثر توعيته، أن وجدنا نشاطاً في التدوين والتأليف ومادة خصبة في موضوعات أدبية هي من إلهامه ووحيه، وكانت ندوته التي يعقدها في مجلسه، تغذي الثقافة العلمية والأدبية.²⁵⁰

أما الألقاب التي أطلقت عليه من قبل العلماء والأدباء والوزراء فكثيرة جداً، وهي تعبر عن جانب من جوانب المكانة العلمية التي حصل عليها الألوسي، فهو (شيخ علماء العراق) وهو (المتفرد في جميع العلوم بالاتفاق) وهو (آية الله الكبرى) وهو (نادرة الزمان) وهو (بحر البيان الزاخر) وهو (سبويه العربية) وهو (سعد زمانه) وهو (خاتمة المفسرين) وهو (الشهاب الثاقب) وهو (علامة علماء العراق) وهو (البحر الطامي) وهو (فخر الإسلام) وهو (حلال العويصات) وهو (مفتي الأنام)، إلى غير ذلك من الألقاب التي وردت في رسائل القوم وكتاباتهم عنه.²⁵¹

يقول صاحب كتاب حلية البشر في وصف الشيخ الألوسي: كان رضي الله عنه أحد أفراد الدنيا يقول الحق ولا يحيد عن الصدق، متمسكاً بالسنن متجنباً الفتن، حتى جاء مجدداً وللدين الحنفي مسدداً، وكان جل ميله لخدمة كتاب الله، وحديث جده رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنهما المشتملان على جميع العلوم، وإليهما المرجع في المنطوق والمفهوم، وكان غاية في الحرص على تزايد علمه وتوفير نصيبه منه وسهمه، أكثر من إملاء الخطب والرسائل، والفتاوى والمسائل، وقد كان رحمه الله تعالى خاتمة المفسرين ونخبة المحدثين، كان عالماً باختلاف المذاهب، مطلعاً على الملل والنحل والغرائب.²⁵²

وقد كانت ثقافة الألوسي ذات اتجاهات عدة، هضمها درساً وبحثاً وتمحيصاً على أيدي أساتذة كبار، وشيوخ أجلاء، كانوا معروفين بغزارة علمهم وعمق ثقافتهم. وقد نبغ رحمه الله في العلوم النقلية من اللغة وفروعها، والتفسير والحديث، والفقه والأصول، وكذلك العلوم العقلية من المنطق، والفلسفة، والهيئة، والكلام. والذي يطلع على كتبه ومؤلفاته، وإجازاته التي أعطاها لتلامذته وكثير من العلماء، يعرف حقيقة ما حمل ذلك العلم من علم. ولم تقف ثقافة الألوسي عند حدود العلوم التي كانت تدرس في المدارس، والمعارف التي كانت متداولة ببلاد الإسلام في ذلك العصر، وإنما تجاوزتها إلى ما استجد من العلوم في عصره، وخاصة في أوروبا، على الرغم من ضعف العلاقات الثقافية والحضارية بين الشرق والغرب في ذلك الوقت. والقارئ لكتب الألوسي وخاصة تفسيره، يمر على كثير من المقررات والمفاهيم التي توصل

²⁵⁰ الألوسي، الدر المنتثر، 20.

²⁵¹ الألوسي، غرائب الاغتراب، 151-253-274؛ والألوسي، المسك الأذفر، 83.

²⁵² البيطار، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، 1453-1454.

إليها العلم الحديث والتي يعرضها الألوسي معجباً بها أحياناً وناقداً لها أحياناً أخرى، من ذلك تفكيره في تأليف كتاب يقارن فيه بين علم الفلك (الهيئة) قديماً وحديثاً.

وهناك رافد آخر من روافد ثقافة الألوسي يمثل اتجاهه الأدبي، فلقد كان رحمه الله شاعراً، وناثراً أدبياً كبيراً، يدل على ذلك كتبه الأدبية من مقامات ورحلات. ولم تكن الدراسات الأدبية وقراءة الدواوين الشعرية ضمن المنهج المقرر المتداول في زمانه بين العلماء، وإنما كانت تستند أولاً على المطالعات الشخصية.²⁵³

ويبدو من خلال استقراء مجموع مؤلفاته أنه أعجب نفسه كثيراً في هذه الدراسات، فتراه يأسف لأنه في بعض البلاد التي مر بها أثناء رحلته إلى إسطنبول لم يجد كتباً أدبية يقرأها، إذ يقول: "ولا وجدت عندهم كتباً أدبية أرتع في حداثتها وأستمتع ما دمت بين ظهرانيهم بصافيتها ورائقها وأسرح طرف الطرف في طرفها وأتلذذ بموائد مبسوطها وفواكه نتفها فبقي طائر قلبي في قفص الحيرة حبيساً وغدا لي يوم الوحشة في عش الدهشة أنيساً".²⁵⁴

إن أسلوبه الرشيق، وإطلاعه الواسع على فقه اللغة العربية، ومعرفته الجيدة بالأدب العربي واتجاهاته، وتطوره عبر العصور خير شاهد على نبوغه الأدبي، فهو كثير الاستشهاد بالشعر العربي، يغوص في معانيه، ليستخرج منها ما يستشهد بما يتناسب مع الموضوع الذي يتحدث به.²⁵⁵

أما ثقافته الصوفية فقد اتصل بها عن طريق دراسة كتب كبار رجالاتهم والتلذذ على شيخ فاضل من شيوخهم وهو (مولانا ضياء الدين خالد النقشبندي). وأجوبة الألوسي التي سطرها في كتابه (غرائب الاغتراب)²⁵⁶ وما يتطرق إليه في كثير من كتبه وخاصة في تفسيره روح المعاني، دليل واضح على تعمقه في التصوف نظريات ورموزاً ورياضة وسلوكاً.²⁵⁷

وللألوسي اطلاع واسع على التاريخ العام، والتواريخ الخاصة بالعلوم، كما يدل على ذلك شرحه للآيات الكريمة من سورة آل عمران وغيرها، وكذلك أبحاثه المنشورة في بعض كتبه. كما كان للشيخ اطلاع على آخر ما وصل إليه علماء الجغرافية في عصره، ويظهر ذلك واضحاً في كتبه.²⁵⁸

²⁵³ عبد الحميد، الألوسي مفسراً، 60-61.

²⁵⁴ الألوسي، غرائب الاغتراب، 46.

²⁵⁵ عبد الحميد، الألوسي مفسراً، 61-62.

²⁵⁶ الألوسي، غرائب الاغتراب، 71-91.

²⁵⁷ عبد الحميد، الألوسي مفسراً، 62.

²⁵⁸ أبو الثناء، شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، الفيض الوارد على مرثية مولانا خالد (د.م: د.ن، د.ت)،

142-143-207-214-253-258.

أمّا دراسته للأديان والملل التي كانت قبل الإسلام، فقد كانت دراسة عميقة متبصرة، يدل على ذلك ما كتبه في تفسير الآيات التي تتحدث عن أهل الكتاب، فقد كان في نيته تصنيف كتاب يحرر فيه عقائد النصارى في الله تعالى، ويذكر فيه شبههم العقلية والنقلية التي يستندون إليها في عقيدة التثليث، مع الرد عليها على أكمل وجه.²⁵⁹

وكان أبو الثناء على كل ما حمّله من علم وأدب، صاحب ثقافة اجتماعية واسعة، اكتسبها من تجاربه الذاتية وعلاقاته الاجتماعية، وتجواله شهوياً طويلاً بين عديد المدن والقرى، وهي ثقافة طبعته بطابعه خاص، انعكس على ما كتب في أمور الناس لا سيما في مقاماته ورحلاته. كما إن الآراء الاجتماعية والنظرات السياسية، وأحكامه على الرجال التي دونها في هذه الكتب تشكل مادة للمؤرخ والعالم الاجتماعي عند دراسة الفترة التي عاش فيها من حياة العالم الإسلامي.²⁶⁰

كان رحمه الله شيخ العلماء في العراق، وآية من آيات الله العظام، ونادرة من نواذر الأيام. وقد جمع كثيراً من العلوم حتى أصبح علامة في المنقول والمعقول، فهامة في الفروع والأصول، محدثاً لا يُجَارَى، وكان رحمه الله غاية في الحرص على تزايد علمه، وتوفير نصيبه منه. اشتغل بالتدريس والتأليف وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ودرس في عدة مدارس، وقد تتلمذ على يديه وأخذ عنه خلق كثير، وتخرج عليه جماعات من الفضلاء من بلاد كثيرة، وكان رحمه الله يُواسي طلبته من ملبسه ومأكله، ويُسكنهم البيوت الرفيعة من منزله، حتى صار في العراق العَلَمُ المفرد، وانتهت إليه الرياسة لمزيد فضله الذي لا يُجحد.²⁶¹

المطلب الثاني: شعر الألوسي

يقول الشاعر العراقي المعروف محمد مهدي البصير إن أبا الثناء الألوسي مع كونه كاتباً كبيراً، كان أيضاً شاعراً بليغاً، إلا أنه مقل، شأنه في ذلك شأن الفقهاء الشعراء الذي يكرسون حياتهم للفقهاء والحديث والتفسير وغيرها من العلوم، ولكنهم يقولون الشعر من حين لآخر بهدف إرضاء حاجة في النفس، واستجابة لبواعث أدبية.²⁶²

²⁵⁹ عبد الحميد، الألوسي مفسراً، 62-63.

²⁶⁰ عبد الحميد، الألوسي مفسراً، 63.

²⁶¹ محمد السيد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون (القاهرة: مكتبة وهبة، 1976)، 250/1-251.

²⁶² البصير، نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر، 242.

وعلى هذا الأساس، لم يكن أبو الثناء مكثراً من الشعر، ولم يتفرغ له ولم يدعيه، بل كان يقول الأبيات في بعض المناسبات، أو ينظمها تجاوباً مع دواعي نفسه من غير تنقيح، وشعره القليل، أرق من الطل على وجنات الأزهار، والطف من النسيم في الأسحار، من ذلك قوله متحمساً في صباه: ²⁶³

إِذَا كَانَ مِنَّا سَيِّدٌ فِي عَشِيرَةٍ	يَرُدُّ الْعِدَى عَنْ أَنْ تَرُودَ جَمَاهَا
وَإِنْ حَلَّ يَوْمَ الرُّوعِ وَسَطَ كَتِيبَةٍ	عَلَاهَا وَإِنْ ضَاقَ الْخِنَاقُ جَمَاهَا
وَمَا اخْتَبَرْتُ إِلَّا وَأَصْبَحَ شَيْخُنَا	وَمَا قَالَ فِي أَمْرِ أَتَاهُ فَتَاهَا
وَمَا انْتَسَبْتُ إِلَّا وَكَانَ كَبِيرُهَا	وَمَا افْتَخَرْتُ إِلَّا وَكَانَ فَتَاهَا
وَمَا ضَرَبْتُ بِالْأَبْرَقِينَ خِيَامَنَا	وَشَامُ سَنَاها وَافِدٌ فَغْنَاهَا
وَكَعَبْتُنَا مَا أَسْفَرَتْ بَيْنَ لَعَلِ	وَأَصْبَحَ مَأْوَى الطَائِفِينَ سِوَاهَا

وقد رصّع أبو الثناء نثره بشواهد كثيرة من شعره لم يشر إليها بما يدل على أنها من نظمه زهداً بها أو قد يكون زهداً بالشعر على الإجمال، فقد كان فقهاء ذلك العصر يزهدون بالشعر إلى حد ما، نظراً لإسفاف الشعراء في كثير من الأحيان وتطرقهم إلى موضوعات لا يرضاها الفقه لأهله، ونظراً لاتخاذهم الشعر وسيلة للتكسب بصورة خاصة. بيد أن القارئ لما كتبه الألوسي في رحلاته ومقامات، يرى أن ثمة شعراً في ثنايا نثره، يلمس فيه روحه ويحس شعوره وخياله، ولكن لا يمكن الجزم بأن هذا الشعر له، لأنه ليس هناك ما يدل دلالة قاطعة على أنه من نظمه. من ذلك هذان البيتان اللذان يفرض بهما أستاذه المرحوم علاء الدين أفندي الموصلي:

عِبَارَاتُهُ فِي النِّظْمِ وَالنَّثْرِ كُلِّهَا	غَرَائِبُ تَصْطَادُ الْقُلُوبَ بَدَائِعُ
فَهُنَّ لِأَجْيَادِ الْمَعَانِي قَلَائِدُ	وَمَنْ لِأَجْنَادِ الْمَعَالِي طَلَائِعُ

فأكبر الظن أن هذين البيتين لأبي الثناء لانهما يحملان نفسه ويمثلان لغته وأسلوبه لأنه لا ينسبهما لأحد سواه، ولكن لا يمكن البت بذلك، لأنه لا يوجد ما يدل دلالة قاطعة على أنهما من نظمه. ومن ذلك أيضاً هذا البيت الذي يرصع به حديثه في المقامة الثالثة عن اجتياح الطاعون سراة الكرخ وتقديم أهله إياه لهذا السبب:

حَلَّتْ الدِّيارُ فَسُدَّتْ غَيْرَ مُسَوِّدٍ	وَمِنْ الشَّقَاءِ تَفَرَّدِي بِالسُّوِّدِ
--	---

²⁶³ الألوسي، المسك الأذفر، 68-69.

والغالب أن هذا البيت له كذلك، لأنه من وحي ظروفه وإلهام الحوادث التي أحاطت به. ولكننا لا يمكن أن نجزم بهذا، لأنه ليس ثمة ما يدل دلالة قاطعة على أنه من نظمه.²⁶⁴

وقال يصف قصرًا منيفًا في حديقة غناء:²⁶⁵

لَقَدْ وَصَفَ الرَّحْمَنُ لِلنَّاسِ جَنَّةً فَشَوَّقَ مِنْ كُلِّ الْعِبَادِ نُفُوسًا
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي أَنَّ فِي الْأَرْضِ نَحْوَهَا إِلَى أَنْ رَأَيْنَا مَنْزِلًا فِيكَ مَأْنُوسًا
وللألوسي أيضًا أبيات رقيقة في غربته يذكر فيها العراق:²⁶⁶

أَهِيْمُ بِآثَارِ الْعِرَاقِ وَذَكَرِهِ وَتَعْدُو عُيُونِي عَنْ مَسَرَّتِهَا عَبْرِي
وَالْتُمُ إِخْفَاقًا وَطَنَ تُرَابِهِ وَأَكْحَلُ أَجْفَانًا بِتَرْبَتِهِ الْعَطْرِي
وَأُسْهِرُ أَرْعَى فِي الدِّيَاجِي كَوَاكِبًا تَمُرُّ إِذَا سَارَتْ عَلَى سَاكِنِي الزُّورَا
وَأَنْشِقُ رِيحَ الشَّرْقِ عِنْدَ هُبُوبِهَا أَدَاوِي بِهَا يَا مَيِّ مُهَجَّتِي الْحَرَا
وقال في وصف بغداد وفراقه لها:²⁶⁷

أَرْضٌ إِذَا مَرَّتْ بِهَا رِيحُ الصَّبَا حَمَلَتْ مِنَ الْأَرْجَاءِ مِسْكًَا أَذْفَرَا
لَا تَسْمَعَنَّ حَدِيثَ أَرْضٍ بَعْدَهَا يُرَوِّى فَكُلِّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا
فَارَقْتُهَا لَا عَنْ رِضَى هَجَرْتُهَا لَا عَنْ قَلِي وَرَحَلْتُ لَا مُتَخَيِّرَا
لَكِنَّهَا ضَاقَتْ عَلَيَّ بِرَحْبِهَا لَمَّا رَأَيْتُ بِهَا الزَّمَانَ تَنْكَرَا

ومن شعره قوله متلهفًا لبغداد، وهي أطول قصيدة وصلت إلينا من شعره، وقد جاءت في ثلاثة وعشرين بيتًا يقول فيها:²⁶⁸

أَبَيْتُ وَلِي وَجْدٌ حَرَارَتُهُ تَعْلُو وَدَمَعٌ لَهُ فِي عَارِضِي عَارِضٌ هَطَلُ
وَأَطْوِي عَلَى جَمْرِ وَأَغْضِي عَلَى قَذَى وَأَشْغُلُ أَعْضَائِي وَقَلْبِي لَهُ شُغْلُ
إِذَا اللَّيْلُ وَافِي ضِيقْتُ دَرْعًا إِلَى الْجَمَى وَفَاضَتْ شُؤُونٌ لَيْسَ يَعْقِلُهَا عَقْلُ

²⁶⁴ البصير، نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر، 243-245.

²⁶⁵ الألوسي، غرائب الاغتراب، 141.

²⁶⁶ اليسوعي، تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والرابع الأول من القرن العشرين، 91.

²⁶⁷ اليسوعي، تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والرابع الأول من القرن العشرين، 91.

²⁶⁸ الألوسي، غرائب الاغتراب، 210-211.

حَدَانِي إِلَى الزُّورَاءِ شَوْقٌ مُبْرِحٌ
إِذَا مَا نَبَتْ دَارُ السَّلَامِ بِأَهْلِهَا
وَإِنْ قَلَصَ الظِّلُّ الَّذِي فِي جَنَابِهَا
وَإِنْ نَضَبَ الْمَاءُ النَّمِيرُ بِأَرْضِهَا
دِيَارٌ بِهَا نَيْطَتْ عَلَى تَمَائِمِي
بِهَا سَكَنِي فِي رَبْعِهَا الْخَصْبُ نَاقَتِي
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَانِي بِرَبْعِهَا
وَهَلْ رَوْضُهَا يَخْضَرُ بَعْدَ ذُبُولِهِ
وَهَلْ أَنَا فِي يَوْمِ الْعُرُوبَةِ قَاصِدٌ
وَهَلْ كُلَّ يَوْمٍ مَاسِكٌ كَفِّ وَالْدِي
وَهَلْ أَدْبَاءُ الْجَانِبِينَ يَضُمُّهُمْ
وَذَلِكَ طَاقُ التَّهْمِ لَا أَزَالُ بَاقِيًا
وَهَلْ تُرِينِي ذَاهِبًا بَعْدَ مَغْرَبِ
فَفِيهَا صُدُورٌ لِأَزْمُوهِ لِعَجْزِهِمْ
سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ الدِّيَارِ وَأَهْلِهَا
فَوَاللَّهِ لَا أَسْلُو هَوَاهَا وَمَاءَهَا
أَحْبَبْنَا هَلْ مِنْ وُصُولٍ إِلَيْكُمْ
إِلَّا هِمَّةٌ تُزْجِي رَكَائِبَ عَزَمَتِي
وَأَنِّي بِنَادِيكُمْ عَلَى سُوءِ فِعْلِكُمْ
وَأَسْأَلُ رَبِّي بِالنَّبِيِّ وَالْهِ

فَلَيْسَ الَّذِي حَدَّثْتَ عَنْ خَالِهَا سَهْلٌ
فَلَا جَبَلٌ يَأْوِي الْكِرَامَ وَلَا سَهْلٌ
فَأَيُّ شَرَابٍ فِي سِوَاهَا أَنَا يَحْلُو
قَدِيمًا وَلِي فِيهَا نَمَا الْفَرُغُ وَالْأَصْلُ
بِهَا جَمَلِي يَرْغُو بِهَا قِيمَتِي تَعْلُو
مُقِيمًا وَبِالْأَحْبَابِ يَجْتَمِعُ الشَّمْلُ
وَيَهْمِي عَلَى أَوْرَاقِهِ الْوَبْلُ وَالطَّلُّ
لَحْضَرَةٍ بَازٍ شَأْنُهُ الْفَصْلُ وَالْوَصْلُ
أَبُو الْمُصْطَفَى ذُو هِمَّةٍ أَبَدًا تَعْلُو
وَإِيَّاي طَاقُ نَقْلِهِ الْأَدَبُ الْجَزْلُ
لَهُ الْعِقْدُ فِي أَرْجَائِهِ وَلَهُ الْحُلُّ
لِتَكِيَّةِ شَيْخِ الْعَصْرِ مِنْ جُورِهِ عَدْلُ
وَمَا ظَعَنُوا بِالسَّيْرِ عَنْهُ وَقَدْ كَلُّوا
فَهُمْ فِي فُؤَادِي دَائِمًا أَيْنَمَا حَلُّوا
إِذَا كَانَ قَلْبِي عِنْدَهَا فَمَتَى أَسْلُو
فَقَدْ تَعَبْتُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ الرُّسْلُ
إِلَيْكُمْ إِذَا شِئْتُمْ بِهَا اتَّصَلَ الْحَبْلُ
أَرَى أَبَدًا عِنْدِي مَرَارَتُهُ تَحْلُو
يُسَهِّلُ عَوْدِي نَحْوَكُمْ وَلَهُ الْفَضْلُ

ومن شعره أيضًا هذان البيتان اللذان يشير بهما إلى صحبة قديمة جمعت بينه وبين المرحوم محمود

أفندي العمري في بغداد: 269

وَكَانَتْ بِالْعِرَاقِ لَنَا لَيَالٍ سَرَقْنَاهُنَّ مِنْ أَيَدِي الزَّمَانِ

جَعَلْنَاهُنَّ تَارِيخَ اللَّيَالِي وَعُنْوَانِ الْمَسْرَةِ وَالْأَمَانِي

ومن شعره وقد كثر عليه طلاب العلم المستجيزون في الأستانة: 270

وَلَسْتُ بِأَهْلٍ أَنْ أَجَازَ فَكَيْفَ أَنْ
وَأُضَوِّءُ فِكْرِي قَدْ عَرَّتْهَا حَوَادِثُ
أُجِيزَ وَلَكِنْ الْحَقَائِقَ قَدْ تَخْفِي
فَأَوْنَةً تَخْفِي وَأَوْنَةً تَطْفِي
لَمَّا رَسَمْتُ يُمْنَايَ فِي مِثْلِ ذَا حَرْفَا

ومن قوله وصفه لشعر سهل الألفاظ بعيد المعاني: 271

تَتَحَيَّرُ الشُّعْرَاءُ إِنْ سَمِعُوا بِهِ
فَكَأَنَّهُ فِي قُرْبِهِ مِنْ فَهْمِهِمْ
فِي حُسْنِ صَنْعَتِهِ وَفِي تَأْلِيفِهِ
وَتَقُولُهُمْ فِي الْعَجْزِ عَنْ تَرْصِيفِهِ
وَنَأَى عَنِ الْأَيْدِي حَتَّى مَقْطُوفِهِ
وَقَالَ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ عَلَيْهِ رَحْمَةُ اللَّهِ: 272

يَا رَبُّ مَا حَبَّ الْحَيَاةَ لِلذِّ
لَكِنَّمَا حُبِّي لَذَلِكَ رَغْبَةً
أَقْضِي بِهَا زَمَنِي الْخَوُونَ الْمُعْتَدِي
فِي أَنْ أُجِدَّ دِينَ جَدِّي أَحْمَدِ
دَوْدَ الْغَيُورِ بِمَزْبَرِي وَبِمَذُودِي
فَأَزِيلُ حَالِكَ شُبْهَةَ الْمُتَرَدِّدِ
تُشْفِيهِ مِنْ لَأَوَاءِ سَقَمٍ مُجْهِدِ
فَمَتَى أَرَادَ عِلَاجَهُ لَا يَهْتَدِي
وَقَالَ أَيْضًا: 273

قَدْ لَامَنِي النَّاسُ جَهْلًا وَعُنفُوا
وَقَالُوا عَقَاقِيرُ لَدِيكَ كَثِيرَةٌ
غَدَاةَ رَأَوْا جِسْمِي تَقَاسَمَةُ الضَّنَى
فَهَلَّا بِإِحْدَاهِنَّ دَاوَتْ ذَا الْعَنَا
(بِكُلِّ تَدَاوِينَا فَلَمْ يُشْفَ مَا بَنَا)

270 الألويسي، غرائب الاغتراب، 382.

271 اليسوعي، تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والرابع الأول من القرن العشرين، 91.

272 الألويسي، المسك الأذفر، 69.

273 الألويسي، الدر المنتثر، 25.

المطلب الثالث: قدرته الأدبية

كان العراق على أبواب نهضة، وكأنه بانتظار الأستاذ، وقد كان الألوسي هو ذلك الأستاذ، كيف لا وقد جمع المجد من أطرافه، نسباً وعلماً وأدباً. فأبو الثناء من أرباب المواهب حمل أدباً جمّاً وكان يعد من أركان النهضة الأدبية الحديثة في العراق.²⁷⁴

وكان أبو الثناء رحمه الله نسيجٌ وحده في النثر وقوة التحرير، وغازاة الإملاء وجزالة التعبير، وقد أملى كثيراً من الرسائل والخطب، والفتاوى والمسائل، ولكن أكثر ذلك - على قرب العهد - درس وعَفَت آثاره، ولم تظفر الأيدي إلا بالقليل منه، وكان ذا حافظة عجيبة.²⁷⁵

والألوسي لا يقل مقدرة عن الطبقة الأولى من الكتّاب، لا سيّما فيما يتعلق بطول النفس والوصف، الإتيان بالجمال المتنوعة القصيرة فيه. ومع ذلك فإن روح العصر فرضت نفسها على الألوسي، فقيدته وحالت دون انطلاقه في الكتابة على سجيته. فالخضوع التام للسجع والمحسنات البديعية، والتصنع واللعب بالألفاظ كان من سمة هذا العصر لم يتخلص منه كاتب من الكتّاب ولا أديب من الأدباء. والألوسي وإن تماشى في كتابته مع متطلبات عصره في الخضوع للسجع، لكنه والحق يقال سجع خفيف الروح، قصير النفس، بعيد عن الإغراب والتصنع، قريب إلى الروح الشاعرية من حيث الموسيقى الممتزجة بالمشاعر الصادقة.²⁷⁶

وهذا ما نجده في وصف مدينة الموصل على سبيل المثال: "وأنها تنبت العلماء المحققين كما تنبت الأقحوان والنسرین وتخرج الأخيار كما تخرج الأزهار وهذا أظهر من الشمس وأقوى من الأمس فلا حاجة إلى التطويل بإقامة الدليل".²⁷⁷

ولم يكن الألوسي محباً للسجع، فقد كان يميل إلى التقليل منه قدر الإمكان، وعمله هذا يعد خطوة أولى من نوعها في الإصلاح الأدبي، فقد كان نثره المسجوع -بما يمتلكه من قدرة أدبية- كأنه سهل ممتنع أو قريب منه. وقد صرح بذلك فقال: "كتبت ما جاء عفواً إلى بناني، ولم أكلف أدهمي على شوارد المعاني، تأسيا بالفاضل المتفاضل بإرسال الكتاب، وليتطابق في ذلك الأصل والجواب. على أن الذهن أشغل ذات النحيين، وأذهل في ديار بكر من أم الرضيعين. والقلم قد ضج من لغب إلى باريه، والمداد قد شيب فودي فؤاده مما يعانيه:

وَإِنِّي مَلَلْتُ السَّجْعَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ بِمُعْظَمِ أَرْضِ الرُّومِ قَدْ كَسَدَ السَّجْعُ

²⁷⁴ العزاوي، ذكرى أبي الثناء الألوسي، 63.

²⁷⁵ الذهبي، التفسير والمفسرون، 251/1.

²⁷⁶ عبد الحميد، الألوسي مفسراً، 148.

²⁷⁷ الألوسي، غرائب الاغتراب، 31.

وَكَمْ فِكْرَةٍ قَدْ أَحْكَمْتُهَا قَرِيحَتِي تَلَوْتُ بِأَرْجَاهَا فَمَا سَاغَهَا سَمْعُ
وَمَا كَانَ مِنْ عَيْبٍ بِهَا غَيْرَ أَنَّهَا غُرُوبَةُ غَرْبٍ وَالْعِرَاقُ لَهَا رَبْعُ
فَمَا حِيلَتِي يَا سَعْدُ وَالْعَيْبُ مَا تَرَى بَلَى حِيلَتِي أَنْ لَا يُرَى مِنِّي الصَّدْعُ

ولعمري لقد ندمت على ما أسرقت من السجع، وإن كنت أعلم أن ليس للندم على ما ند نفع. ولقد كنت أفعل وأنا الهزبر فعل الذباب حيث فقدت هناك أجناسي، فأحك راحتي ندما على تلوث".²⁷⁸

وذلك لأن النثر في أصله يتطلب صحة العبارة، وبالضرورة البعد عن الزخرف والزينة، ووضوح الجمل، وترك المبالغات، وسلامة الحجج، وإجراءها على حكم المنطق الصحيح؛ لأن الغرض منه معالجة الأمر الواقع، فلا ينبغي استعمال أقيسة الشعر، إلا في حدود معقولة بما يوجب استفزاز الجماهير، وإثارة عواطفهم، وتحسيسها للإقلاع عن صفة فاسدة، أو حثهم على نفع عام، على أن يكون ذلك بقدر.²⁷⁹ ومع ذلك لم يلتزم أبو الثناء السجع دائماً، وإنما ترسل وترك عنان قلمه يجري على طبيعته، فأسلوبه عربي فصيح، وقد كرر ندمه على التزامه السجع فقال:

أَلَا إِنِّي كَرِهْتُ السَّجْعَ حَتَّى كَرِهْتُ لَذَاكَ سَاجِعَةَ الطُّيُورِ
وَلَمْ أَكْرَهُ مِنْ عَيْبٍ وَلَكِنْ لِمَا فِي السَّامِعِينَ مِنَ الْقُصُورِ

على أنه إذا سجع جرى كلامه منسجماً، لا يكاد المرء يجد في تسجيعة شيئاً من التكلف والتعسف، بل إنه بعدوبة مذاقه وإطراء سياقه، يمتلك الشعور، ويخلب الألباب، ويسحر النفوس.²⁸⁰

وقد كان نثر أبي الثناء سواءً في مقاماته أو في كتبه التي وصف بها سياحته شعر لا يكاد ينقصه سوى الوزن، كما يقول محمد مهدي البصير، الذي يقرر أن أبا الثناء شاعر كبير من شعراء عصره، إن لم يكن في منظومه ففي منثوره.²⁸¹

هذه الساحرية الشعرية في نثره نجدها في وصفه رياض القسطنطينية بقوله: "بلدة موقنة الأرجاء، رائقة الأنحاء، ذات قصور تضيق عن قصورها سعة الأذهان، وتتجاذب الحسن هي وقصور الجنان، وربة رياض أريضة، وأهوية صحيحة مريضة، قد تغنت أطيوارها، فتمايلت طرباً أشجارها، وبكت أمطارها، فتضاحكت أزهارها، وطاب روح نسيمها، فصح مزاج إقليمها. وليتك رأيت ما فيها من الرياض الأنيقة،

²⁷⁸ أبو الثناء، شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، نشوة المدام في العودة إلى مدينة السلام (د.م: د.ن، د.ت)، 85.

²⁷⁹ الدسوقي، في الأدب الحديث، 259/1.

²⁸⁰ الألوسي، الدر المنتثر، 20-21.

²⁸¹ البصير، نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر، 242-243.

والأشجار المتهدلة الوريقة، وقد ساقَت إليها أرواح الجنائب، زقاق خمر السجائب، فسقت مروجها مدام
الطل، فنشأ على أزهارها حباب كاللؤلؤ المنحل. فلما رويت من الصهباء أشجارها، ونحها مع النسفات
المسكية خمارها، فتدانت ولا تداني المحبين، وتعانقت ولا تعانق العاشقين، يلوح من خلالها شقيق، كأنه
جمرات من آثار حريق، ويتخللها بهار يبهر ناظره، فيرتاح إليه ناظره".²⁸²

وقد صاغ الألوسي في كتبه الأدبية عشرات الصور بل مئاتها على هذا النحو، ما يدل على خصب
القريحة وسعة الخيال وعظم المقدرة على الإبداع والتفنن في التعبير. وبلغت من قدرته على استنباط الألفاظ
والتشبيه، أن أعجب الأدباء بسعة خياله وملكته اللغوية، يظهر ذلك على سبيل المثال في اختياره
الاستعارات للتعبير عن انسلاخ الليل وطلوع الفجر في أحاديث رحلته، فقد عبر عن هذا بأكثر من مئة
صورة لكل منها جمالها روعتها.

ولا بأس هنا من إيراد بعض الأمثلة للدلالة على تمكن الرجل من ناصية الكلام. من ذلك ما قاله
مشيرًا إلى انتهاء ليله في أندروس، وهي قرية من قرى الأناضول قال: "ولما ظهر في رقعة شطرنج الليل
شاه النهار، والتقط برخ فجره أولًا فأولا ما كان في الرقعة من الأحجار". وقال مشيرًا إلى انتهاء ليله في
سيواس: "ولما مالت سوارى النجوم للغروب، وشقت الدجنة من مزيد أسفها عليها الجيوب".²⁸³

وحاكى اخضرارُ الفجر صرخًا ممرّدًا وفيه لآلٍ لم تشن بثقوبٍ
وكما عرف الإمام الألوسي مفتيًا وفقيرًا ومتكلمًا ومفسرًا، عرف أديبًا من الطراز الأول، حيث قلما
يخلو مؤلف له من نفس الأديب وروحه، ساعده على ذلك تمكنه من اللغة وعلومها واطلاعه الواسع على
تراث الأمة الشعري والنثري، فخلق في سماء البيان حتى صار من كبار نجومه.

يقول الأستاذ بهجة الأثري: "ما الحريري في مقاماته، ولا صاحب في سجعاته، بل ما ابن العميد
في ترسلاته والموفق عبد اللطيف في وصفيّاته أشدّ للقلوب خلبًا وأكثر بالألباب لعبًا مما يطرزه أبو الثناء
من بدائع الإنشاء، إذ كان لكل من هؤلاء المنشئين وغيرهم ممن هم في طبقتهم العليا أسلوب خاص به، إذا
حاد عنه ربما أبهم عليه الأمر والتوى القصد وخانه الإمكان، فجدير بأبي الثناء وقد برز في جميع أبواب
الإنشاء أن يفضل على هؤلاء أجمعين، ويعد في الرعيل الأول بين أئمة الإنشاء المجلين في ميادين الفصاحة
وحلائب البراعة، فهو من أقدر الكتّاب - لا في عصره فحسب بل في العصور المتقدمة أيضًا على تكييف
مناحي الكتابة وتصريف عنانها وإجرائها في ميدانها، فيما كتبت وحررت في علوم الدين واللغة والأدب، فبينما
تراه في التفسير يدبج ببراعة الرازي وفي اللغة بقلم الجوهري إذا به في مقاماته يضارع الحريري وفي

²⁸² الألوسي، غرائب الاغتراب، 56.

²⁸³ البصير، نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر، 243.

الرحلة يبرز ابن جبير أو النابلسي، ويُحسن الوصف في النثر إحسان ابن المعتز في الشعر، عباراته متناسقة، ومعانيه متساوقة، يشربها السمع كما يُشرب الزلال، فكأنما تأتيه أبيات الألفاظ وتوافر المعاني صاغرة متى شاء، فيستخدمها كيفما يريد في الإنشاء، بغير أدنى تكلف ولا أقل تعسف، فإنشاؤه في الحلاوة الضرب، وفي الرقة غاية العجب، وفيه السحر بكليته، والحسن برمته، والإحسان بأجمعه.²⁸⁴

وقد نهض الآلوسي بالأدب نهضة خارقة، أكسبه رونقاً وانكشافاً والتف حوله الأدباء فكان ناظم الحركة الأدبية، والموجه وحلقة الاتصال بين الأدباء. وقد سما بالبيان سموً ظاهراً للعيان مؤيداً الأدب العربي القديم، كما سعى أن يكون الأدب بمعزل عن السياسة لكيلا تفسده. بل إن الأستاذ عباس العزاوي (ت: 1971م) هو من أفضل مؤرخي العراق، يرى أن العصر الحديث في العراق يجب أن يسمى عصر الآلوسي، لأنه كان المصباح المضيء في كل اتجاه، حيث رفع الأسلوب العلمي بتأليفه المتشعب في النحو، والفقه، والتفسير، والتاريخ، كما امتد نفعه إلى تلاميذه، فكان أستاذاً كبيراً لمدرسة في التأليف، ولولاه لتأخرت النهضة العلمية في العراق إلى مدى بعيد.²⁸⁵

المبحث الثالث: آثاره العلمية والأدبية

لأبي الثناء الآلوسي رحمه الله نتاج عظيم، في غزارة المادة، وإتقان الصنعة الأدبية، لا يختلف موضوعها العلمي والأدبي في البيان الراقي وتغلب عليه المسحة الأدبية خاصة. والنثر الفني عظيم في بيانه، ربما لا يخلو كتاب من كتبه من استدلال بشعر أو قطعة أدبية معبرة، وكل كتاب من كتبه له مزاياه في إحكام الصنعة والقدرة على الأداء وكمال المعنى. وقد نالت كتبه عناية من أولاده وتلاميذه، فقط طبع أكثرها وأعيد نشر العديد منها.²⁸⁶

المطلب الأول: تفسير روح المعاني

لعل أهم ما كتبه العلامة أبو الثناء الآلوسي هو تفسيره الموسوم (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني). وقد بلغ ثمانية مجلدات ضخام، جمعت من الحقائق والدقائق ما لا يسع شرحه كلام، وقد تعقب فيه على الفخر الرازي في كثير من المسائل، ورده منتصراً للإمام الأعظم بأوضح الدلائل.²⁸⁷

²⁸⁴ الأثري، أعلام العراق، 32-33.

²⁸⁵ العزاوي، "النثر الأدبي ومصادره في العهد العثماني"، 290؛ والبيومي، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، 47/2.

²⁸⁶ العزاوي، ذكرى أبي الثناء الآلوسي، 85.

²⁸⁷ الآلوسي، المسك الأذفر، 76.

يعد تفسير روح المعاني واسطة العقد في مؤلفات الألوسي، وقد اعتبر كتاب القرن الثالث عشر الهجري في العالم الإسلامي، حيث لم يصنف تفسير يدانيه في السعة والعمق والشمول منذ تأليفه إلى يومنا هذا.²⁸⁸

وقد أفرغ الألوسي في تفسيره وسعه، وبذل مجهودًا كبيرًا، حتى أخرج للناس كتابًا جامعًا لآراء السلف رواية ودراية، مشتملاً على أقوال الخلف بكل أمانة وعناية، فهو جامع لخلاصة ما سبقه من التفاسير، إذ ينقل عن تفسير ابن عطية، وتفسير أبي حيان، والكشاف، وتفسير أبي السعود، وتفسير البيضاوي، وتفسير الفخر الرازي، وغيرها من كتب التفسير المعتبرة. وهو إذ ينقل عن هذه التفاسير ينصب نفسه حكماً عدلاً بينها، ويجعل من نفسه ناقدًا مدققًا، ثم يبسط رأيه فيما ينقل، يعترض ويتعقب تارة، ويرد أحياناً، ثم إنه إذا استصوب رأياً لبعض من ينقل عنهم، انتصر له ورجّحه على ما عداه. فروح المعاني ليس إلا موسوعة تفسيرية قيّمة، جمعت جُلّ ما قاله علماء التفسير الذين تقدّموا عليه، مع النقد الحر، والترجيح الذي يعتمد على قوة الذهن وصفاء الفريضة، وهو ما يشهد لكاتبه بغزارة العلم على اختلاف نواحيه، وشمول الإحاطة بكل ما يتكلم فيه.²⁸⁹

وفي هذا التفسير تظهر مقدرة أبي الثناء الأدبية جنباً إلى جنب مقدرة العلمية، انظر إليه وهو يقول في مقدمة تفسيره:

"أما بعد فيقول عيبة العيوب وذنوب الذنوب، أفقر العباد إليه عز شأنه مدرس دار السلطنة العلية، ومفتي بغداد المحمية أبو الثناء شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي عفي عنه، إن العلوم وإن تباينت أصولها، وغربت وشرقت فصولها، واختلفت أحوالها، وأتهمت وأنجحت أقوالها، وتنوعت أبوابها، وأشأمت وأعركت أصحابها وتغايرت مسائلها، وأيمنت وأيسرت وسائلها، فهي بأسرها مهمة ومعرفتها على العلات نعمة. إلا أن أعلاها قدراً، وأعلاها مهراً وأسناها مبنئاً، وأسماها معنئاً وأدقها فكراً وأرقها سرّاً، وأعرقها نسباً وأعرفها أباً وأقومها قبلاً وأقواها قبيلًا وأحلاها لساناً وأجلاها بياناً وأوضحها سبيلًا وأصحها دليلاً وأفصحها نطقاً وأمنحها رفقا العلوم الدينية والفهوم اللدنية، فهي شمس ضحاها وبدر دجاها وخال وجنتها ولعس شفتها ودعج عيونها وغنج جفونها وحبب رضاها، وتنهد كعابها، ورقة كلامها، ولين قوامها".²⁹⁰

وفي تفسيره يتبين للقارئ أكثر، أن تحرر الألوسي من قيود الصنعة الأدبية، يفتح له باب الإبداع فيرسل الكلام على سجيته إرسالاً، ومثال ذلك قوله: "فإن نفس السالك إذا تزكت ومرآة قلبه إذا انجلت فلاحت فيها أنوار العناية الموجبة للولاية، تجردت النفس الزكية للطلب فرأت آثار نعم الله تعالى عليها سابغة، وأطافه غير متناهية، فحمدت على ذلك وأخذت في الذكر فكشف لها الحجاب من وراء أستار العزة

²⁸⁸ الألوسي، الدر المنتثر، 27؛ والدسوقي، في الأدب الحديث، 57/1.

²⁸⁹ الذهبي، التفسير والمفسرون، 252/1-253-257.

²⁹⁰ الألوسي، روح المعاني، 3/1.

عن معنى رب العالمين، فشاهدت ما سوى الله سبحانه على شرف الفناء مفتقراً إلى المبقى، محتاجاً إلى التربية فترقت لطلب الخلاص من وحشة الأدبار وظلمة السكون إلى الأغيار فهبت لها من نفحات جناب القدس نسائم أطاف الرحمن الرحيم فعرجت للمعات بوارق الجلال من وراء سجاف الجمال إلى الملك الحقيقي.²⁹¹

وهكذا يظهر أسلوب أبي الثناء الأدبي في عرض المسائل العلمية، وتظهر آثار ذلك من اختيار الألفاظ وانسجام التراكيب، فذوقه العالي يتحكم في تعبيره، فيختار أحسن الكلمات للتعبير عن أدق الحقائق والمعاني التي يقررها.²⁹²

انظره إليه في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ [المائدة: 91]، حيث يقول: "أي بسبب تعاطيهما، لأن السكران يقدم على كثير من القبائح التي توجب ذلك ولا يبالي، وإذا صحا ندم على ما فعل، والرجل قد يقامر حتى لا يبقى له شيء، وتنتهي به المقامرة إلى أن يقامر بولده وأهله فيؤدي به ذلك إلى أن يصير أعدى الأعداء، لمن قمره وغلبه وهذه إشارة إلى مفاصلهما الدنيوية".²⁹³

ومثلما يشيد أهل التفسير بتفسير "روح المعاني" يشيد به أيضاً أهل اللغة والأدب، فهذا الأستاذ شوقي ضيف رحمه الله يقول عنه، إنه من خير التفاسير، فقد ذاع وشاع منذ تأليفه، فهو يعنى ببيان أسباب النزول وبتفسير أي القرآن بعضها ببعض، وتفسيرها بالحديث النبوي الشريف، كما يعنى باللغة ومسائل النحو والبلاغة، وقد اعتمد على كثير من مصادر التفسير في القديم، وخاصة الكشاف والبيضاوي والفخر الرازي، كما يتطرق لمباحث فلسفية ورياضية وطبيعية كثيرة، وقد عني عناية واسعة بالرد على الطبرسي في تفسيره.²⁹⁴

طبع التفسير لأول مرة في مطبعة بولاق بالقاهرة سنة 1301هـ، وطبع لاحقاً عدة طبعات، وفيه مباحث جلية في علوم جمة ومطالب نافعة مفيدة لا تحصى وأدب غزير، ويعد هذا التفسير معرض آراء ومائدة أفكار، حيث نبه فيه إلى مطالب تجعل المرء لا ينقطع عن البحث وتعقب الآراء.²⁹⁵

²⁹¹ الألوسي، روح المعاني، 91/1.

²⁹² عبد الحميد، الألوسي مفسراً، 144.

²⁹³ الألوسي، روح المعاني، 16/4.

²⁹⁴ ضيف، تاريخ الأدب العربي، 308/5.

²⁹⁵ العزاوي، ذكرى أبي الثناء الألوسي، 87.

المطلب الثاني: كتبه الأدبية

كتب الأستاذ أبو الثناء مؤلفات أدبية خالصة، وصح أن نقول إن كل مؤلفاته تنزع نزعة أدبية، فلم تكن جافة جامدة، وبذلك أحيا سنة الأوائل، حيث يكتب بلغة تُرغّب القارئ، فقد كان رحمه الله خير من مثل عصره، وعد في طليعة أدبائه. بل يرى الأستاذ عباس العزاوي أن الألوسي هو قائد الحركة الأدبية في تلك الفترة والباعث لظهورها، وأستاذها المدير لشؤونها، الناهض بها، القائم بتدوين الحركة الأدبية.

ويضيف العزاوي أن قوام الحركة الأدبية في بغداد كان بالألوسي الذي أزال عنها عثرة التفريق، وتمكن من جمع الأدباء من شعراء وكتّاب لتوليد سوق رائجة، مدفوعاً بحب الأدب على الرغم من كثرة العوائق. وقد ظهر في زمنه أدباء أفاضل، تركوا صفحات ناصعة، لكن الألوسي سار بالشعراء والأدباء سيرة موجه مدرب، فقد أكثر من النشر وبلغ منه مبلغاً وافراً، وكل آثاره لا تخلو من المسحة الأدبية وإن كان بعضها علمياً.²⁹⁶

أما أبرز ما كتبه في اللغة والأدب، فقد كان:

- 1- حاشية شرح القطر في علم النحو، والمتن للعلامة ابن هشام،²⁹⁷ وقد كتب الألوسي الحاشية عندما كان عمره 13 عاماً، ولم يتمها، وإنما أتمها ابنه نعمان، وسماها (الطارف التالد في إكمال حاشية الوالد).²⁹⁸
- 2- كشف الطرة عن الغرة، وهو شرح ونقد لدرة الغواص في أوهام الخواص لأبي القاسم محمد بن علي الحريري (ت: 516هـ).²⁹⁹
- 3- الفيض الوارد على روض مرثية مولانا خالد، والقصيدة للسيد محمد جواد السياه بوشي الشاعر البغدادي المتوفي سنة 1246هـ في رثاء الشيخ خالد النقشبندي شيخ الألوسي.³⁰⁰ ومنهج الألوسي في شرح القصيدة يقوم على أساس شرح البيت شرحاً بلاغياً، والتوسع في بيان معاني بعض الكلمات، مع التقليل من التطرق إلى الجوانب الإعرابية والبلاغية.³⁰¹
- 4- الطراز المذهب في شرح قصيدة الباز الأشهب، وهي قصيدة للشاعر عبد الباقي العمري في مدح الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله (ت: 561هـ).³⁰² وهو من أجل الآثار، حيث يعني أبو الثناء بشرح مفردات القصيدة شرحاً واسعاً، مع الاستشهاد بأبيات من قصائد أخرى، والاهتمام بالنواحي

²⁹⁶ العزاوي، ذكرى أبي الثناء الألوسي، 59-63.

²⁹⁷ أبو الثناء، شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، حاشية شرح القطر في علم النحو، مراجعة وتدقيق: فؤاد صالح (تركيا: مكتبة نور الصباح، 2011)، 686.

²⁹⁸ العزاوي، ذكرى أبي الثناء الألوسي، 85.

²⁹⁹ أبو الثناء، شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، كشف الطرة عن الغرة (د.م: د.ن، د.ت).

³⁰⁰ الألوسي، الفيض الوارد على مرثية مولانا خالد، 1.

³⁰¹ عبد الحميد، الألوسي مفسراً، 96.

³⁰² أبو الثناء، شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، الطراز المذهب في شرح قصيدة الباز الأشهب (عمّان: وقفية الأمين غازي للفكر القرآني، د.ت)، 5-6.

البلاغية، كما إنه لم يقف عند النواحي اللغوية فقط، بل اتخذ ألفاظها مجالاً لدراسات في مختلف العلوم.³⁰³

5- الخريدة الغيبية في شرح القصيدة العينية: وهي قصيدة للشاعر عبد الباقي العمري أيضاً، قالها في مدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حيث يشرحها الألوسي بعرض مفرداتها اللغوية ومعانيها الاصطلاحية والعلمية، وينتقل بعدها إلى تفصيلات نحوية.³⁰⁴

وهناك فرق واضح بين شرح هذه القصيدة، وشرح قصيدة الباز الأشهب، فهو يهتم كثيراً بالتفاصيل النحوية في القصيدة الأولى، أما في هذه فيسهب أحياناً ويوجز أحياناً أخرى. أما الجوانب البلاغية في الأبيات فلا يتطرق إليها إلا قليلاً، وهو في هذا الشرح لم يستشهد لا بالقرآن الكريم ولا بالحديث الشريف، ولا يشعر العرب. كما اتبع ذلك في شرحه السابق، ولكنه يستطرد إلى موضوعات شتى يعالجها بمناسبة اللفظة التي يشرحها، فهو مثلاً يدخل الى موضوعات فقهية كذكره لصلاة النوافل في الكعبة، ونقل اختلاف أئمة المذاهب في ذلك. وأما تعرضه لمسائل الكلام والفلسفة فأوضح من معالجته للمسائل الفقهية في هذا الشرح فلقد تعرض مثلاً للكلام عن الرسالة والنبوة والولاية، ونقل بعض الآراء في ذلك. ويتعرض أيضاً إلى شرح معنى النقطة ويأتي بآراء الفلاسفة، ما يدل على سعة اطلاعه على الفلاسفة القدامى والمحدثين. بل إنه يتطرق لقضايا تاريخية على نحو ما ذكره في تاريخ بناء الكعبة الشريفة.³⁰⁵

6- حاشية عبد الملك بن عصام في علم الاستعارة، وقد ألفه أيضاً في صباه وسماه (بلوغ المرام من حل كلام ابن عصام في علم الاستعارة). وأصل هذه الحاشية تعليقات كتبها الألوسي على كتاب (بلوغ الأرب من تحقيق استعارات العرب) لعبد الملك بن عصام المولود بمكة سنة 978هـ.³⁰⁶

7- نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول: يمكن تصنيف هذا الكتاب ضمن أدب الرحلات، حيث يتحدث فيه الألوسي عن رحلته إلى عاصمة الخلافة العثمانية إسطنبول، وما جرى له في الطريق إلى أن وصل إليها.³⁰⁷

والكتاب ممتع بأسلوبه، جليل على صغر حجمه، لأنه يصور جوانب متعددة من حياة المجتمع الإسلامي في ذلك العصر من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية، وفيه وصف معبر للمدن والقرى التي مر بها الألوسي في طريقه.³⁰⁸

8- نشوة المدام في العودة إلى مدينة السلام: وهو أيضاً من أدب الرحلات، حيث ذكر فيه ما مر به أثناء عودته إلى بغداد، ويسرد لقاءاته بالعديد من العلماء والأدباء الأكابر.³⁰⁹

³⁰³ العزاوي، ذكرى أبي الثناء الألوسي، 89؛ وعبد الحميد، الألوسي مفسراً، 101.

³⁰⁴ أبو الثناء، شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، الخريدة الغيبية في شرح القصيدة العينية (د.م: د.ن، د.ت)، 3 وما بعدها.

³⁰⁵ عبد الحميد، الألوسي مفسراً، 104-105.

³⁰⁶ عبد الحميد، الألوسي مفسراً، 107.

³⁰⁷ أبو الثناء، شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول (د.م: د.ن، د.ت) ; كما ينظر: العزاوي، ذكرى أبي الثناء الألوسي، 90.

³⁰⁸ عبد الحميد، الألوسي مفسراً، 131.

³⁰⁹ الألوسي، نشوة المدام في العودة إلى مدينة السلام؛ والعزاوي، ذكرى أبي الثناء الألوسي، 90.

كما يذكر العديد من الأماكن التي مر بها في رحلة عودته، وهو في مروره يصف تلك القرى والمدن، وأحوال أهلها وحكامها من النواحي الدينية والأخلاقية والاجتماعية.³¹⁰

9- غرائب الاغتراب ونزهة الألباب: ويسمى أيضا نزهة الألباب في الذهاب والإقامة والإياب.³¹¹

وهذا الكتاب جمع بين الكتابين السابقين، ففيه تفصيل لما جرى له في عاصمة الدولة العثمانية، حيث ذكر فيه الألوسي ما لم يذكره فيهما، وبذلك تمت هذه السلسلة من كتبه في الرحلات. ويبدأ كتابه بالكلام عن تاريخ حياته، وأحوال دراسته، وذكر شيوخه وسيرتهم وأخلاقهم، والكتب التي درسها عليهم. والكتاب يعد من أجل كتب الألوسي.³¹²

10- مقامات ابن الألوسي: وهذه سيتناولها الباحث بالتفصيل في الفصل القادم بإذن الله وتوفيقه.

المطلب الثالث: مؤلفاته في العقيدة والفقه

فضلا عما سطره الألوسي من كتب أدبية، كان له العديد من الكتب العلمية في مجال البحث والمناظرة، والتراجم أهمها:

1- البيان شرح البرهان في إطاعة السلطان، وهو كتاب يبحث في شرعية وجود الدولة العثمانية ووجوب طاعة سلطانها محمود الثاني على جميع المسلمين، ويسوق في سبيل ذلك أدلة من الكتاب والسنة، كما يرد فيه على الشيعة من خلال رد فكرة غيبة المهدي المنتظر.³¹³

2- الأجوبة العراقية على الأسئلة اللاهوتية: وقد أجاب فيه عن سؤال ورد من لاهور بشأن جماعة ظهرت في بلاد الهند، يتجرأ المنتسبون لها على سب الصحابة رضوان الله عليهم. ويمتاز هذا الكتاب بالتركيز وعدم الاستطراد، كما يمتاز بأسلوبه العلمي عبر تقرير الحقائق والآراء بالحجج العقلية والعقلية والدلائل التاريخية، بعيدا عن العاطفة.³¹⁴

3- سفرة الزاد لسفرة الجهاد، وقد ألفه أيام السلطان عبد المجيد خان سنة 1270هـ، عندما حشدت الدولة الروسية قواتها للهجوم على الدولة العثمانية، وفيه حث على القتال ضد الغزاة الروس.³¹⁵ فنزعت الإصلاحية دفعت به إلى دراسة العالم الإسلامي دراسة واقعية، فرأى عوامل الضعف، وعرف كيف تفوق الغرب بالقوة الحامية، والذخيرة الواقية، فألف هذا الكتاب الذي دعا فيه المسلمين إلى اليقظة علميا واقتصاديا وحربيا، وأعلن أن الجهاد فريضة محتومة أمام العدوان الغربي، وملا كتابه بأدلة واضحة من القرآن والسنة وفتوح الإسلام عبر تاريخه.³¹⁶

³¹⁰ عبد الحميد، الألوسي مفسرا، 132.

³¹¹ العزاوي، ذكرى أبي النشاء الألوسي، 91.

³¹² الألوسي، غرائب الاغتراب؛ وعبد الحميد، الألوسي مفسرا، 134-135.

³¹³ الألوسي، الدر المنتثر، 32؛ وعبد الحميد، الألوسي مفسرا، 109.

³¹⁴ أبو النشاء، شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، الأجوبة العراقية على الأسئلة اللاهوتية، تحقيق عبد الله

بن بو شعيب البخاري (الرياض: دار ابن القيم ودار ابن عفان، 2007)، 22-24.

³¹⁵ الألوسي، الدر المنتثر، 30.

³¹⁶ البيومي، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، 40/2.

وهو كتاب جليل في بابه، يبين فيه المؤلف كل ما يحتاجه المجاهد المسلم، إذ يتسم أسلوبه بالموضوعية، وإن ظهرت عليه أحياناً الأساليب الخطابية.³¹⁷

4- الأجوبة العراقية على الأسئلة الإيرانية: وفيه جواب على ثلاثين سؤالاً وردت من إيران على علماء بغداد، وقد تضمنت الأسئلة عدة فنون في التصوف والمنطق والنحو والبلاغة وعلوم القرآن والفقه. ويرى الدكتور محسن عبد الحميد أن هذا الكتاب هو الكتاب الثاني للآلوسي في القيمة العلمية بعد تفسير روح المعاني، مؤكداً أنه لو لم يكن للآلوسي إلا هذا الكتاب، لكان كافياً ليضع اسمه بين كبار علماء الإسلام، لأن هذا الكتاب غزير المادة، قوي الأسلوب، ثابت الحجة، ولذلك استقبلته الأوساط العلمية استقبلاً منقطع النظير، حتى وصل خبره إلى السلطان في إسطنبول، فسماه (جامعة الفنون)، وقال (الحمد لله الذي جعل في أيام دولتي مثل هذا العالم).³¹⁸

5- وللآلوسي كتابان في الرد على الشيعة لم يكملهما، الأول هو (النفحات القدسية في الرد على الإمامية)، وقد أراد من وراء تأليفه أن يكون كتاباً مستقلاً في الرد على عقائد الشيعة، أما الكتاب الثاني، فهو (نهج السلامة إلى مباحث الإمامة)، وهو آخر مؤلفاته، وقد اعتمد فيه على (التحفة الإثني عشرية) من تأليف علامة الهند شاه عبد العزيز غلام الدهلوي، لكنه لم يتمه رحمة الله عليه، بعد أن عاجلته المنية سنة 1239 هـ.³¹⁹

6- شهى النعم في ترجمة شيخ الإسلام عارف الحكم: وقصد به شيخ الإسلام أحمد عارف حكمت.³²⁰ وسماه أيضاً (الصادح بشهى النعم على أفنان ترجمة شيخ الإسلام وولي النعم). وهو ثروة علمية في ترجمة علماء الترك العثمانيين.³²¹ كما كتب (شرح سلم العروج في المنطق).³²² وكتب أيضاً (الفوائد السنية من الحواشي الكلنبوية في الآداب والمناظرة) وهي مختصر حاشية الكلنبوي على حاشية ميرالي الفتح على الحنفية، و(دقائق التفسير) وهي مجموعة فريدة في بابها، وكذلك (شجرة الأنوار ونوار الأزهار). و(حواشي على عبد الحكيم حاشية الشمسية) في علم المنطق.³²³

وهذه الكتب تمثل ثروة علمية وأدبية في نفس الوقت، وكانت دليل عظمة الآلوسي، إلى جانب مجالسه العملية والأدبية وما بث فيها من روح ثقافية وتدرسية. وقد كشفت مؤلفاته بما حوته من علم وأدب ولغة معلومات قيمة ودقائق غامضة. وإذا كان الأثر يدل على قيمة الرجل، فإن الأستاذ الآلوسي أبدع في هذا الأثر، وأجاد أيما إجادة، وأحسن كل الإحسان.³²⁴

317 عبد الحميد، الآلوسي مفسراً، 119.

318 عبد الحميد، الآلوسي مفسراً، 121.

319 الآلوسي، الدر المنتثر، 32؛ وعبد الحميد، الآلوسي مفسراً، 122-125.

320 الآلوسي، الدر المنتثر، 31.

321 العزاوي، ذكرى أبي الثناء الآلوسي، 90.

322 العزاوي، ذكرى أبي الثناء الآلوسي، 85.

323 الآلوسي، الدر المنتثر، 29-32؛ والعزاوي، ذكرى أبي الثناء الآلوسي، 85-92.

324 العزاوي، ذكرى أبي الثناء الآلوسي، 93.



الفصل الرابع: مقامات الألوسي



المبحث الأول: فن المقامات، المفهوم والنشأة والتطور

المطلب الأول: تعريف المقامة

المقصد الأول: المعنى اللغوي

بالعودة إلى معاجم اللغة العربية لإيضاح معنى المقامة، نجد أنها تدرج غالباً ضمن مادة قوم، والتي اشتقت منها كلمة مقامة، بفتح الميم أو بضمها، من "قام يقوم قومًا وقيامًا وقومة وقامة"³²⁵ لتدل الكلمة على المجلس أو الجماعة من الناس.

ويفرق ابن منظور في كلمة مقامة بين فتح الميم وضمها فيقول: "والمُقَامُ والمُقَامَةُ: المَوْضِعُ الَّذِي تُقِيمُ فِيهِ. والمُقَامَةُ، بِالضَّمِّ: الإِقَامَةُ. والمُقَامَةُ، بِالْفَتْحِ: الْمَجْلِسُ وَالْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ، قَالَ: وَأَمَّا الْمَقَامُ وَالْمُقَامُ فَقَدْ يَكُونُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِمَعْنَى الإِقَامَةِ، وَقَدْ يَكُونُ بِمَعْنَى مَوْضِعِ الْقِيَامِ، لِأَنَّكَ إِذَا جَعَلْتَهُ مِنْ قَامٍ يَفْعُلُ فَمَفْعُولٌ، وَإِنْ جَعَلْتَهُ مِنْ أَقَامَ يُقِيمُ فَمَضْمُونٌ".³²⁶

وعند ابن فارس: "الْقَافُ وَالْوَاوُ وَالْمِيمُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى جَمَاعَةِ نَاسٍ، وَرُبَّمَا اسْتُعِيرَ فِي غَيْرِهِمْ. وَالْآخَرُ عَلَى انْتِصَابٍ أَوْ عَزْمٍ". ومن الأصل الأول الدال على جماعة من الناس اشتقت كلمة المقامة. والقَوْمُ، جَمْعُ امْرِئٍ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا لِلرِّجَالِ.³²⁷

ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: 11]. فعبر عن وجود أكثر من رجل بالقوم، وعن أكثر من امرأة بالنساء.

أما من الناحية الصرفية، فإن لفظ مقامة يحتمل أن يكون مصدرًا ميميًا، كما يحتمل أن يكون اسم مكان، لأن إلحاق الهاء باسم المكان والمصدر مما يشيع في العربية.³²⁸

وإذا استطلعنا كلمة مقامة نجد أن أقدم معاني هذه الكلمة يرجع إلى العصر الجاهلي، ويظهر استعمال العرب كلمة مقامة بمعنى المكان والمجلس، جليًا في قصائد عدد من أقدم الشعراء الجاهليين، فقد استعملت بمعنى مجلس القبيلة وناديتها كما في شعر زهير بن أبي سلمى.³²⁹

³²⁵ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي ابن منظور، لسان العرب (بيروت: دار صادر، 1414)، 496/12.

³²⁶ ابن منظور، لسان العرب، 498/12.

³²⁷ أبو الحسين أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون (دمشق: دار الفكر، 1979)، 43/5.

³²⁸ عبد المالك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي (تونس: الدار التونسية للنشر، 1988)، 9.

³²⁹ زهير بن أبي سلمى، الديوان، تحقيق علي حسن فاعور (بيروت: دار الكتب العلمية، 1988)، 87.

وَفِيهَا مَقَامَاتٌ حَسَنَاتٌ وَجُوهُهُمْ وَأُنْدِيَةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ

والمقامات هنا بحسب ما ذكره شارح الديوان هي المجالس التي كان يحض فيها على الخير، لكن الأدق هو أن المقامات هم الرجال الذين كان يحضرون في المجالس، لأنه عطفها على الأندية في البيت، وقد وصفهم بأنهم حسان الوجوه.

وكذلك في يظهر استعمالها في شعر الجاهليين بمعنى المجلس أو المكان في قول مالك بن حريم الهمذاني: 330

وَأَقْبَلَ إِخْوَانُ الصَّفَاءِ فَأَوْضَعُوا إِلَى كُلِّ أَحْوَى فِي الْمَقَامَةِ أَفْرَعَا

فيما بعد تطور معنى المقامة بتغير الحياة العربية وانتقال العرب بشكل أكبر من حياة البداوة إلى حياة الحضر لا سيما في العراق والشام، حيث زال عنهم تدريجياً ما كانت تتطلبه الحياة اليومية القبلية من مقامات للتفاخر والتلاحن، ليظهر معنى جديد للمقامة في العصر الإسلامي، فقد وردت كلمة مقام بفتح الميم أو بضمها مرات عديدة في القرآن الكريم، إما مصدرًا بمعنى القيام، أو اسم مكان بمعنى الموضع الذي يقام فيه، كما قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: 46]. أي لمن اتقى الله تعالى من عباده، فخاف مقامه بين يديه، فأطاعه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه، جنتان، يعني بستانين. 331

"وأما مقام الله على عبده في الدنيا واطلاعه عليه وقدرته عليه فهذا يقر به المؤمن والكافر والبر والفاجر وأكثر الكفار يخافون جزاء الله لهم في الدنيا لما عاينوه من مجازاة الظالم بظلمه والمحسن بإحسانه، وأما مقام العبد بين يدي ربه في الآخرة فلا يؤمن به إلا المؤمن بالرسول". 332

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: 125]، قال الرازي: "مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ هُوَ مَوْضِعُ قِيَامِهِ، وَثَبَّتَ بِالْأَخْبَارِ أَنَّهُ قَامَ عَلَى هَذَا الْحَجَرِ عِنْدَ الْمُغْتَسَلِ وَلَمْ يَثْبُتْ قِيَامُهُ عَلَى غَيْرِهِ فَحَمَلُ هَذَا اللَّفْظِ". 333

واستعملت كلمة مقام بضم الميم مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: 35]، أي: ربنا الذي أنزلنا هذه الدار وهي الجنة، فدار

330 أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الأصمعي، الأصمعيات، تحقيق أحمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون (القاهرة: دار المعارف، 1993)، 63.

331 أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق محمود محمد شاكر (مكة المكرمة: دار التربية والتراث، د.ت)، 57/23.

332 أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، طريق الهجرتين وباب السعادتين، تحقيق محمد أجمل الإصلاحي (بيروت: دار ابن حزم، 2019)، 926/2.

333 أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازي، مفاتيح الغيب (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420)، 44/4.

المُقَامَة: دار الإقامة التي لا نقلة معها عنها ولا تحول، والميم إذا ضمت من "المقامة" فهو من الإقامة، فإذا فتحت فهي من المجلس، والمكان الذي يقام فيه.³³⁴

وقد استعملت كلمة المقامة في العصر الإسلامي الأول بمعنى المجلس يقوم فيه شخص بين يدي خليفة أو أمير، فيتحدث فيه أو يعظ. وقد أورد ابن قتيبة في كتابه (عيون الأخبار) جملة من هذه المواعظ وأسماها "مقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك"، وإن كان قد استخدم مفردا مقام وليس مقامة.³³⁵

كما استخدم ابن عبد ربه في كتابه (العقد الفريد) كلمة مقامات بنفس المعنى، فنجده يقول: "فأبلغ المواعظ كلها كلام الله تعالى الأعز... ثم مواعظ الأنبياء صلوات الله عليهم، ثم مواعظ الآباء للأبناء، ثم مواعظ الحكماء والأدباء، ثم مقامات العباد بين أيدي الخلفاء، ثم قولهم في الزهد ورجاله المعروفين به، ثم المشهورين من المنتسبين إليه".³³⁶

ثم نتقدم في هذا العصر أكثر فنجدها تستعمل بمعنى المحاضرة، وعلى هذه الشاكلة تعفي الكلمة من معنى القيام وتصبح دالة على حديث الشخص في المجلس، سواء كان قائما أو قاعدا.³³⁷

وبهذا المعنى استعملها بديع الزمان الهمذاني في المقامة الوعظية، حيث نرى أبا الفتح الإسكندري يقف في الناس ليعظهم حتى تعجب منه عيسى ابن هشام فقال لبعض الحاضرين: "مَنْ هَذَا؟ قَالَ: غَرِيبٌ قَدْ طَرَأَ لَا أَعْرِفُ شَخْصَهُ، فَاصْبِرْ عَلَيْهِ إِلَى آخِرِ مَقَامَتِهِ".³³⁸

المقصد الثاني: المعنى الاصطلاحي

عرّف الفلّسّندي المقامات فقال: "هي جمع مقامة بفتح الميم؛ اسم للمجلس والجماعة من الناس. وسمّيت الأحداث من الكلام مقامة، كأنها تذكر في مجلس واحد يجتمع فيه الجماعة من الناس لسماعها. أما المقامة بالضم، فبمعنى الإقامة، ومنه قوله تعالى حكاية عن أهل الجنة: ﴿الَّذِينَ أَحْلَأْنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [فاطر: 35]".³³⁹

كما وضع الشيخ أحمد بن إبراهيم الهاشمي رحمه الله تعريفاً جامعاً لفن المقامات بقوله: "المقامة عبارة عن كتابة حسنة التأليف أنيقة التصنيف تتضمن نكتة أدبية ومدارها على رواية لطيفة مختلفة تسند

³³⁴ الطبري، جامع البيان، 474/20.

³³⁵ أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري ابن قتيبة، عيون الأخبار (بيروت: دار الكتب العلمية، 1418)، 359/2.

³³⁶ شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم الأندلسي ابن عبد ربه، العقد الفريد (بيروت: دار الكتب العلمية، 1404)، 82-81/3.

³³⁷ شوقي ضيف، المقامة (القاهرة: دار المعارف، 1973)، 7.

³³⁸ أبو الفضل، أحمد بن الحسين بن يحيى بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، تحقيق محمد

محبي الدين عبد الحميد (القاهرة: المكتبة الأزهرية، 1923)، 172.

³³⁹ أحمد بن علي الفزاري ثم الفاهري الفلّسّندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق محمد حسين شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، 1987)، 124/14.

إلى بعض الرواة ووقائع شتى تعزى إلى أحد الأدباء، والمقصود منها غالباً جمع درر الألفاظ وغرر البيان وشوارد اللغة ونوادر الكلام من منظوم ومنثور فضلاً عن ذكر الفرائد البديعة والرقائق الأدبية كالرسائل المبتكرة والخطب المحبرة والمواعظ المبكية والأصاحيك الملئية".³⁴⁰

ويمكن القول إن بديع الزمان الهمذاني هو أول من أعطى كلمة مقامة معناها الاصطلاحي بين الأدباء، حيث عبر بها عن مقاماته المعروفة، وهي جميعها تصور أحاديث تلقى في جماعات. فمعنى كلمة مقامة عنده قريب من كلمة حديث، وهو عادة ما يصوغها في شكل قصص قصيرة يتأنق في ألفاظها وأساليبها، لها راو واحد هو عيسى ابن هشام، وبطل واحد هو أبو الفتح الإسكندري الذي يظهر بصورة أديب شحاذ، يلفت الناس بمواقفه وفصاحته لسانه.³⁴¹

وعلى هذا الأساس فإن المقامات الأدبية لم تعرف بمعناها المتداول اليوم حتى جاء بديع الزمان الهمذاني في القرن الرابع الهجري، وقدم فنه الأدبي الذي اختار له هذه التسمية، وبهذا وضع لكلمة (مقامات) معنى اصطلاحياً لم يستعمل من قبل.³⁴²

وهذا ما ذهب إليه من قبل القلقشندي حيث قرر أن "أول من فتح باب عمل المقامات، علامة الدهر، وإمام الأدب، البديع الهمذاني، فعمل مقاماته المشهورة المنسوبة إليه، وهي في غاية من البلاغة، وعلو الرتبة في الصنعة. ثم تلاه الإمام أبو محمد القاسم الحريري، فعمل مقاماته الخمسين المشهورة، فجاءت نهاية في الحسن".³⁴³

ويؤيده في ذلك الخفاجي حين قال: "مقامة، واحدة المقامات بفتح الميم- المعروفة في صناعة الأدباء والوعاظ مولدة محدثة لم تقع في كلام أحد المتقدمين لكن لها وجه من المجاز".³⁴⁴

ويرى بروكلمان أن مفهوم الكلمة تطور بتطور الحياة، لتأخذ سمناً دينياً فصارت تعني المجلس الذي يقوم فيه شخص بين يدي الخليفة أو الأمير حيث يلقي خطبة وعظية ثم صارت تقرن بالشعر والأخبار الأدبية وذكر الوقائع والأيام فصارت تستعمل بمعنى المحاضرة، لكنها في القرن التاسع الهجري هبطت من المستوى الرفيع الذي اصطلح عليه إلى مستوى الكدية والاستجداء بلغة مختارة.³⁴⁵

³⁴⁰ أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب (بيروت: مؤسسة المعارف، 1431)، 388/1-389.

³⁴¹ ضيف، المقامة، 7.

³⁴² حسن عباس، نشأة المقامة في الأدب العربي (القاهرة: دار المعارف، د.ت)، 14.

³⁴³ القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، 124/14-125.

³⁴⁴ شهاب الدين شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي الخفاجي، شفاء الغليل فيما في

كلام العرب من دخیل، تحقيق محمد كشاش (بيروت: دار الكتب العلمية، 1988)، 282.

³⁴⁵ عباس، نشأة المقامة في الأدب العربي، 15.

وخلاصة القول، يمكن تعريف المقامة على أنها نوع من النثر الأدبي المقفي، يعتمد على السجع، والاقتباس من آي القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وحكم الناس وأمثالهم، يمتزج فيه الشعر بالنثر بأسلوب قصصي ممتع، فيعتمد على درر اللغة وفرائد الأدب والحكم والأمثال والأشعار النادرة، التي تدل على سعة إطلاع الأديب وغزارة علمه.³⁴⁶

المطلب الثاني: نشأة المقامة

لا اختلاف على أن نشأة المقامات الأدبية مشرقية، وأما الذي لا اتفاق عليه فهو زمن هذه النشأة وصاحب الفضل فيها، ومهما يكن من شأن الاختلاف حول منشئ المقامات فإنه يدور حول ثلاثة أسماء كبيرة في تراث العرب الأدبي والفكري، عاش أصحابها بين القرنين الثالث والرابع وهم: ابن دريد (ت: 321هـ / 933م)، وابن فارس (ت: 395هـ / 1004م)، وبديع الزمان الهمذاني (ت: 398هـ / 1007م).³⁴⁷

ولقد كان بديع الزمان أول من أطلق اسم المقامات على عمل أدبي من إنشائه كما أسلفنا، وقد لاقت مقاماته قبولاً في نفوس معاصريه، بيد أن الحريري (ت: 516هـ / 1122م) هو أول من ادعى له ذلك، كما يظهر من قوله في مقدمة مقامة من مقاماته: "وبعدُ فإنه قد جرى ببعض أندية الأدب الذي ركبت في هذا العصر ريحُهُ. وخبَّتْ مصابيحُهُ. ذُكِرَ المقامات التي ابتدعها بديع الزمان. وعلامة همدان. رحمه الله تعالى".³⁴⁸

والمقامة من أقدم وأهم فنون النثر العربي، وحين ابتكرها بديع الزمان الهمذاني في أواخر القرن الرابع الهجري، عرض أقاصيص على لسان أديب سيار ممن كانوا يحترفون الكدية أو الشحاذة الأدبية في الحصول على أموال الناس بفصاحتهم وحيلهم في أسلوب قصصي يشيع فيه الحوار، حيث اتخذ بديع الزمان لمقاماته أدبيّاً متسولاً كبيراً هو أبو الفتح الإسكندري، وراويّة يروي أقاصيصه وحيله يسمى عيسى بن هشام.³⁴⁹

وليس في المقامة عقدة ولا حبكة، ولعل بديع الزمان لم يقصد شيئاً من ذلك، فلم يكن يبتغي تأليف قصص، بل أن يسوق أحاديث لتعليم تلاميذه أساليب اللغة العربية، والوقوف على ألفاظها المختارة، ما

³⁴⁶ الألوسي، مقامات ابن الألوسي، 6.

³⁴⁷ عباس، نشأة المقامة في الأدب العربي، 25.

³⁴⁸ أبو محمد القاسم بن علي الحريري، مقامات الحريري (بيروت: مطبعة المعارف، 1873)، 12-13.

³⁴⁹ ضيف، تاريخ الأدب العربي، 504-503/10.

يعني أن المقامة أريد بها التعليم أول الأمر، ولعله من أجل ذلك سماها بديع الزمان مقامة، ولم يسمها قصة ولا حكاية، فهي ليست أكثر من حديث قصير حاول الهمذاني أن يجعله مشوقاً فأجراه في قالب قصصي.³⁵⁰

ويرى بعض الأدباء أن بديع الزمان اشتق فن المقامات من فن قصصي سابق. حيث يريد الدكتور زكي مبارك أن يثبت أن مقامات بديع الزمان مشتقة من أحاديث ابن دريد، العالم واللغوي الذي عني برواية أحاديث عن الأعراب وأهل الحضر. وعلى الرغم من وجود بعض الشبه بين أحاديث ابن دريد ومقامات الهمذاني من حيث القصص والسجع، لكن هناك فروقاً كبيرة في الصناعة وفي الخصائص التي بنيت عليها المقامات.³⁵¹

وهو ما ذهب إليه قبل ذلك أبو إسحق إبراهيم الحصري (ت: 453 هـ / 1061 م) في كتابه (زهر الآداب وثمر الألباب) حيث قال في معرض حديثه عن بديع الزمان الهمذاني:

"وهذا اسم وافق مسماه، ولفظ طابق- معناه، وكلام غصّ المكاسر، أنيق الجواهر، يكاد الهواء يسرقه لطفًا، والهوى يعشقه ظرفًا، ولما رأى أبا بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي أغرب بأربعين حديثًا، وذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره، وانتخبها من معادن فكره، وأبداها للأبصار والبصائر، وأهداها للأفكار والضمائر، في معارض أعجمية، وألفاظ حوشية، فجاء أكثر ما أظهر تنبؤ عن قبوله الطباع، ولا ترفع له حجبها الأسماع، وتوسّع فيها؛ إذ صرف ألفاظها ومعانيها، في وجوه مختلفة، وضروب متصرفة، عارضها بأربعمئة مقامة في الكدية، تدوب ظرفًا، وتقطر حسنًا".³⁵²

وظاهر كلام الحصري يوحى أن بديع الزمان استلهم المقامة من ابن دريد. على أن الإنسان إذا عارض شيئاً أو حاول أن يحاكيه قد يستطيع أن يأتي بمثله أو أحسن منه، ولا بد أن يوجد أساس تبنى عليه المعارضة أو المحاكاة، لكننا حين نقارن مقامات الهمذاني بأحاديث ابن دريد، لا نجد تشابهاً بين الموضوعات أو في طريقة العرض. واستخدام الهمذاني للسجع لا يدل على تقليده لابن دريد، لأن الأسلوب المسجوع كان شائعاً عند العرب، وقد ساد أكثر في نثر القرن الرابع الهجري. كما أن الفرق بين الاثنين يتجلى في أن أحاديث ابن دريد وإن كانت مروية، لكن ليس لها بطل كما هو حال مقامات الهمذاني. كذلك فإن الصياغة والبناء في مقامات الهمذاني جاءت في إطار مخالف لما كتبه ابن دريد.³⁵³

³⁵⁰ ضيف، المقامة، 8.

³⁵¹ عمر فروخ، الرسائل والمقامات (بيروت: مكتبة ميمنة، 1950)، 21.

³⁵² أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب (بيروت: دار الجبل، 1431)، 305/1.

³⁵³ محمد رشدي حسن، أثر المقامة في نشأة القصة المصرية الحديثة (القاهرة: المكتبة العربية، 1974)، 10-11.

ويبدو الأمر محسومًا عند أكثر الباحثين، بأن المقامات هي من عمل بديع الزمان، وليس لابن فارس ولا لابن دريد يد في صنعها. فالهمذاني هو الذي ألبسها هذا الطراز الموشى، وعلى طريقه التي شقها سارت عجلة الأدب ألف سنة. ومحاولة العثور على أثر لهذه الخطة عند غير الهمذاني ضرب من العبث.³⁵⁴

ومع الايمان بأن الهمذاني هو أبو المقامات الحقيقي، لكن في الوقت ذاته لا يمكن إنكار تأثره بمن سبقوه، ممن كتبوا بأحاديث الكدية التي وقعت منذ القرن الأول الهجري، وهذا أمر لا يعيبه، لأن الأدب كحال غيره من الفنون الإنسانية، عمل تراكمي متصل الحلقات. إنما يكون التفاوت في ضعف العبقرية أو قوتها، وهو الذي يميز الأعلام عن سواهم، فالشعراء كثير، لكن الفحول منهم قلة، والأمر ذاته ينطبق على الكتاب، فهم كثر، لكن القلة منهم المبدعون الذي جاءوا بجديد، أو تركوا أثرًا يذكره من بعدهم لقرون.³⁵⁵

ويرى الدكتور شوقي ضيف أن المقامة تولدت من الأراجيز، وهي الشعر التعليمي الذي ظهر في العصر العباسي، فيقول إن الأنواع الأدبية تتطور من عصر إلى آخر، وقد يتولد بعضها من بعض فيظهر نوع أدبي جديد لا سابق له في الظاهر، ولكن إذا تعمقنا نجده قد نشأ من نوع آخر، على نحو ما يلاحظ في فن المقامة بالعصر العباسي، فإنها تولدت من فن الأرجوزة، وما ابتغى به أصحابه من تعليم الناشئة والموالي ألفاظ اللغة العربية الغربية وتراكيبها العويصة. فاقتران هذه الغاية بالأرجوزة يلفتنا إلى نفس الغاية في المقامة عند بديع الزمان والحريري وما بين الفنين من صلات وروابط.³⁵⁶

ويمكن القول إن الظروف السياسية والاجتماعية التي أطلت في القرن الرابع الهجري على بلاد المسلمين أسهمت في ظهور أدب المقامة. حيث صارت الدولة الإسلامية تفريق وأجزاء، عصفت بها رياح الخلاف، وقامت العديد من الدويلات التي حظيت بنوع من الاستقلال عن الخلافة العباسية، هذه الدويلات حركت الدوافع الكامنة في نفوس كثير من الأجناس، والقوميات التي يتشكل فيها جسم الدولة العباسية على أساس عرقي أو إقليمي. في ظل هذه الظروف السياسية والاجتماعية، وما أصاب الدولة الإسلامية من تدهور سياسي برز فن المقامة واستوى ناضجًا له أصوله وملامحه، بعد أن نشطت الحركة الأدبية في عصر كثرت به المشاكل، والفتن بالإضافة إلى تغييرات في المجتمع العباسي في أساليب البناء والأكل، وغيرها من العادات التي بدأت تظهر نتيجة لتنافس أمراء تلك الدويلات في ابتداع ألوان من الإسراف

³⁵⁴ مارون عبود، بديع الزمان الهمذاني (القاهرة: كلمات للترجمة والنشر، 2013)، 35.

³⁵⁵ مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، 34-35.

³⁵⁶ ضيف، تاريخ الأدب العربي، 13/1.

وابتكار ضروب من الترف، بمقابل شقاء عامة الناس، في المجتمع العباسي الجديد، حيث جهد بديع الزمان الهمذاني في تصويرها من خلال مقاماته.³⁵⁷

المطلب الثالث: تطور فن المقامة

ومن بعد الهمذاني جاء الحريري، وهو الذي وضع فن المقامة في قالبه الكلاسيكي، كما حوله عن التركيز على المضمون إلى الاهتمام بالشكل، فركز على الأسلوب بهدف استعراض المقدرة اللغوية، لدرجة أن عشرين فقيهاً لغوياً تولوا شرح مقاماته التي بلغت من الشهرة درجة تحفيظها للصبيان عن ظهر قلب، كما أنها حفزت كتاب المقامات المتأخرين على تقليده في الحيل اللغوية التي ابتكرها.³⁵⁸

اتسعت المقامات من حيث الموضوع في القرون التالية وقد دخلت عليها موضوعات جديدة كالحديث والفقه والنحو كمقامات ابن الصيقل الجزري (ت: 701هـ). وكذلك وصف الحيوانات في مقامات ابن حبيب الحلبي (ت: 779هـ) ووصف البلدان في مقامات ابن الوردي (ت: 749هـ).³⁵⁹

المقصد الأول: مقامات الزهاد والوعاظ

ظهرت هذه المقامات مبكراً في الأدب العربي، فقد كانت سابقة للمقامات الفنية التي أنشأها البديع في أواخر القرن الرابع للهجرة، وجعل لها قواعد تعرف بها، وأصولاً تقوم عليها.

ومقامات الزهاد عبارة عن أحاديث وعظية يلقيها زاهد أو فقيه بين يدي خليفة أو أمير، وعلى الرغم من أن هذه الأحاديث أُلقيت منذ القرن الأول الهجري، فإنها لم تجد من يطلق عليها لفظ مقامات، إلى جاء ابن قتيبة (ت: 276هـ) الذي كان قد عاش في القرن الثالث الهجري، ثم لم يلبث أحمد بن عبد ربه (ت: 328هـ) أن حذا حذوه فأطلق على هذه الأحاديث لفظ مقامات أيضاً.³⁶⁰

وينبغي الإشارة هنا إلى أن الأحاديث الوعظية التي رواها ابن قتيبة في عيون الأخبار،³⁶¹ هي بذاتها التي رواها ابن عبد ربه في العقد الفريد.³⁶²

³⁵⁷ مي حسن أحمد يونس، سمات أسلوبية في مقامات ناصيف اليازجي: دراسة تحليلية (غزة: الجامعة الإسلامية، رسالة ماجستير، 2015)، 17.

³⁵⁸ م.ت. هوتسما - ت.و. أرنولد - ر. باسيت - ر. هارتمان، موجز دائرة المعارف الإسلامية، تحقيق نخبة من أساتذة الجامعات المصرية والعربية (الشارقة: مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1998)، 9576/31.

³⁵⁹ مهين حاجي زادة، المقامة في الأدب العربي والأدب العالمية (أذربيجان: مجلة اللغة العربية وآدابها، 2004)، 24.

³⁶⁰ مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، 89.

³⁶¹ أفرد لها ابن قتيبة عنواناً سماه: "مقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك". ابن قتيبة، عيون الأخبار، 359/2.

³⁶² أيضاً أفرد لها عنواناً خاصاً سماه: "مقامات العباد عند الخلفاء". ابن عبد ربه، العقد الفريد، 103/3.

والمقامات التي ذكرها ابن قتيبة في عيون الأخبار ثم ذكرها ابن عبد ربه في عقده، ليست جمعاً لمقامة، بل هي جمع لمقام. ودليل ذلك أن عناوين الأحاديث التي شكلت مقامات في رأي ابن قتيبة مثلاً، مبدوءة بلفظ مقام لا لفظ مقامة. فهو يقول مثلاً: "مقام خالد بن صفوان بين يدي هشام".³⁶³ كما ذهب ابن عبد ربه مذهب ابن قتيبة في حذف هاء مقامة، ومثال ذلك قوله: "مقام الأوزاعي بين يدي المنصور".³⁶⁴ وهذا يعني أن ابن قتيبة وابن عبد ربه لم يكونا يريدان ما أراد البديع الهمذاني في مقاماته. فقد كان عمله خيالياً بحثاً، أي عملاً أدبياً يستلهم الخيال ويقوم على مبدأ الابتكار والإبداع، بينما كان عمل ابن قتيبة وابن عبد ربه رواية محضة، وجمعاً لأشئآت أحاديث وقعت لبعض فصحاء الرجال في مواقف معينة. فعملهما كان يقوم على الرواية التاريخية والنقل قبل أي شيء، أما عمل أصحاب المقامات الفنية كالبديع والحريري، فهو عمل يقوم على أساس الإبداع الأدبي والإنشاء الذي أساسه الخيال. وعلى هذا الأساس يمكن القول إن مقامات الزهاد لا يحتمل أن تكون من جنس المقامات الفنية التي ابتكرها البديع لا من حيث الشكل، ولا من حيث الأفكار والمضمون العام.³⁶⁵

وقد ظل فن المقامة مستمراً عبر العديد من الكتاب حتى وصلنا إلى القرن التاسع عشر، حيث حاول أدباء هذا العصر إحياء هذا الفن طبقاً لقواعده الأصلية، اعتقاداً منهم بأنه -باعتباره فناً يتفرد به الأدب العربي- أفضل وسيلة لتحفيز اهتمام القراء، وإحياء الثروة اللغوية التي أسوء استخدامها في القرون السابقة. وقد برزت لنا أسماء مثل ابن العطار (ت: 1250 هـ / 1814 م) وأبو الثناء الألوسي (1217 هـ - 1270 هـ / 1802 م - 1853 م)، وله خمس مقامات تتضمن نصائح لأبنائه، وتأملاته في الموت. ومن كُتّاب المقامات في هذا العصر ناصف اليازجي اللبناني (1800 م - 1871 م) صاحب "مجمع البحرين" ويحتوي على ستين مقامة كتبها لأغراض تعليمية قلد فيها الحريري بنجاح، وعبد الله باشا فكري (ت: 1890 م) صاحب "المقامات الفكرية في المملكة الباطنية". كما تبرز أسماء مثل عبد الله الفيضي من العراق، وإبراهيم الأحب من لبنان، وغيرهم.³⁶⁶

³⁶³ ابن قتيبة، عيون الأخبار، 368/2.

³⁶⁴ ابن عبد ربه، العقد الفريد، 106/3.

³⁶⁵ مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، 91.

³⁶⁶ م.ت. هوتسما - ت.و. أرنولد - ر. باسيت - ر. هارتمان، موجز دائرة المعارف الإسلامية، 9577/31-9578.

المبحث الثاني: خصائص المقامة وأغراضها وأهميتها

المطلب الأول: خصائص فن المقامة وأركانها

تميز أدب المقامة عند نشأته الأولى في القرن الرابع الهجري بجملة خصائص وأركان نوجزها على النحو الآتي: 367

1- المجلس، ويعني أن حوادث المقامة تدور في مجلس واحد، لا تنتقل منه إلا ما ندر، أي إن وحدة المكان ضيقة.

2- الراوية، فلكل مقامة أو مجموعة مقامات راوية واحد ينقلها عن المجلس.

وتبتدئ المقامة التي كتبت على خطى مقامات البديع بعبارة حدثنا، حكى، روى، ونحوها. أما المقامات الأخرى فلها شأن آخر، حيث يغيب الرواية والراوي عنها، كما هو الحال في مقامات ابن الجوزي ومقامات ابن الألويسي. ثم بعد ذلك يذكر الكاتب اسم الراوية الذي يقوم بالدور الثانوي، وهذا الراوية هو الذي يتحدث عن البطل الرئيسي من مغامرات وحيل، وأحياناً يكون الراوية هو البطل الرئيسي. 368

3- المكدي. ومعناه اللغوي كما ذكر الزمخشري هو الذي لا ينمي ماله، وأصله أكدي الحافر: بلغ الكدية وهي صلابة الأرض فمنعته. ومن المجاز: أكدي الرجل: أخفق ولم يظفر بحاجته. وطلبت إليه فأكدي: أي جحد ونكر، وكدها إذا أمسك بعد الإعطاء. 369 يقول الخفاجي: مكدي، بمعنى سائل، ومنه قوله تعالى ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾ [النجم: 34]. 370

ولكل مقامة أو مجموعة من المقامات مكد أو بطل، وهو شخص خيالي في الغالب، يتميز بأنه واسع الحيلة ذرب اللسان، ذو مقدرة في العلم والدين والأدب، يتظاهر بالجدل ويضمّر الهزل، وهو يظهر غالباً في ثوب البائس، إلا أنه في الحقيقة طالب منفعة، يتظاهر بالتقوى ويخفي المجون.

وتتعدد المقامة بأن يجتمع الراوية في مجلس واحد مع البطل الذي غالباً ما يكون المكدي لا سيما في عصر المقامات الأول. ويكون المكدي متنكراً، ولذلك قلما يفتن الراوية لوجوده.

4- المُلحة أو النكتة، وهي الفكرة التي تدور حولها القصة المتضمنة في المقامة، وتكون عادة فكرة طريفة أو جريئة، ولكنها لا تحت دائماً على الأخلاق الحميدة، وقد لا تكون موفقة على الدوام. وتنحل عقدة المقامة بأن يكشف المكدي أمره للراوية أو للحاضرين، بعد أن ينال منهم مالاً أو ثياباً، لكنهم لا يضمرون له شراً بعد أن خدعهم، لأنه سلاهم وأفادهم.

367 فروخ، الرسائل والمقامات، 22-24.

368 مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، 361.

369 الزمخشري، أساس البلاغة، 127/2.

370 الخفاجي، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من دخیل، 270.

5- القصة: فكل مقامة وحدة قصصية قائمة بنفسها، وليست لها صلة بالتي قبلها أو بعدها سوى أن يكون البطل نفسه، مع نفس الراوية، والمكدي واحد، وقد تكون القصص من أزمنة مختلفة، وإن كان الراوية واحدًا.

والمقامة ليست بقصة، وإنما هي حديث أدبي بليغ، ليس فيها من القصة إلا ظاهر فقط، أما في حقيقتها، فهي حيلة يطرّفنا بها كاتبها، لنطلع من جهة على حادثة معينة، ومن جهة ثانية على أساليب أنيقة ممتازة. ولعل ذلك ما جعل المقامة منذ أن ابتكرها بديع الزمان، تنحو نحو بلاغة اللفظ وحب اللغة لذاتها، فالجوهر فيها ليس أساسًا، وإنما الأساس العرض الخارجي والحلية اللفظية.³⁷¹

6- موضوع المقامة، حيث تكون موضوعات المقامة مختلفة من مقامة إلى أخرى، منها الأدبي ومنها الفقهي، والوعظي... إلخ. وهذه الموضوعات تتوالى على غير ترتيب مخصوص عند الهمذاني، أما الحريري فقد التزم أن تكون الموضوعات متعاقبة على نسق مخصوص.

وقد كان الموضوع أول الأمر عن الكدية، كما هو الحال في مقامات الهمذاني والحريري. لكن لاحقًا دخلت موضوعات أخرى، فصار الوعظ هو الموضوع الأساسي كما في مقامات الزمخشري والألوسي، وقد يكون الموضوع علميًا كبعض مقامات السيوطي. فقضية موضوع المقامة تتغير حسب الأزمنة، وحسب مقصد كاتبها.³⁷²

وقد غطى هذا الفن منذ بدايته قدرًا كبيرًا من الموضوعات، ونقل عن العديد من المشاهير سواء كانوا شعراء أو كتّاب، كما عمل على إبراز العبارات الخارجة، ولغة السوق، واستعراض المعرفة المعجمية. وفي محتواه تناول هذا الفن العديد من الأغراض، كالموعظة، الوصف، الرسالة، أدب الرحلات، الحوار والمناظرة، إلخ.³⁷³

7- اسم المقامة يؤخذ عادة من اسم البلد أو المدينة التي انعقد فيها مجلس المقامة، فهناك المقامة البغدادية والدمشقية والسمرقندية والكوفية، والعراقية... إلخ. وقد ينعقد اسم المقامة من الملحة التي تنطوي عليها، نحو المقامة الإبليسية، الحرزية، الشعرية، الدينارية، الخمرية.

8- شخصية المقامة هي شخصية المؤلف وليست شخصية المكدي. وتنبنى هذه الشخصية على الدراية الواسعة بكل شيء يطرقه المكدي، أو الكاتب بالأحرى، فهو واسع الاطلاع على العلوم العربية خاصة، بصير بفنون الأدب والبلاغة، حاد الذهن، قوي الملاحظة، مرح، وله قدرة على اجتياز العقبات والمصاعب. وقد تبقى شخصية المؤلف هي الطاغية، كما في المقامات الوعظية، أو توزع أدوار البطولة، كما فعل البديع والحريري واليازجي.³⁷⁴

³⁷¹ ضيف، المقامة، 9.

³⁷² حسن، أثر المقامة في نشأة القصة المصرية الحديثة، 18.

³⁷³ م.ت. هوتسما - ت.و. أرنولد - ر.باسيت - ر.هارتمان، موجز دائرة المعارف الإسلامية، 9573/31.

³⁷⁴ فروخ، الرسائل والمقامات، 23.

9- الصناعة في المقامات. فآدب المقامة تصنع وتأنق لفظي، فهناك إغراق في السجع وإغراق في المحسنات البديعية من جناس وطباق وسائر أوجه البلاغة، بل حتى ما لا يدخل في فروع البلاغة، كما فعل الحريري في الخطبة التي تقرأ طردًا وعكسًا، والخطبة المهملة، أو التي تتعاقب فيها الأحرف المهملة، والأحرف المعجمة (المنقوطة)، وما إلى ذلك.³⁷⁵

ويتميز أسلوب كتابة المقامات باستخدام لغة متينة أنيقة أحيانًا، وغريبة ثقيلة أحيانًا أخرى. فالألفاظ تمثل العناية الأولى لكاتب المقامة ولو على حساب ضعف المعنى أحيانًا. ولذلك نجد أن الألفاظ الدالة على الأشياء المحسوسة تكون أكثر من الألفاظ الدالة على المعاني المجردة التي تتعلق بالعقل والتفكير والتأمل.³⁷⁶

10- الشعر. فالمقامة قطعة نثرية، يتخللها شعر قليل أو كثير من نظم صاحبها على لسان المكدي، أو من نظم بعض الشعراء، ويروى على لسان المكدي. وقد يكون الاستشهاد بأبيات الشعر لإظهار المقدرة في النظم الشعرية، أو لإظهار البراعة في البديع، خاصة عند الحريري.

المطلب الثاني: أهداف المقامة وأغراضها

ينبغي أن تكون أهداف المقامات متباينة ومختلفة باختلاف كاتبها، وباختلاف العصور التي عاشوا فيها. ومن هذه الأغراض:

أولاً: الغرض التعليمي.

وهذا كان الهدف الغالب من المقامات في أول نشأتها. وهذا ما ذهب له شوقي ضيف، حيث يرى أن الهمداني كان يريد أن يسوق لطلابه أحاديث تعلمهم أساليب العربية، وتعينهم على استيعاب ألفاظها المتنوعة.³⁷⁷

على أن هذا الغرض ليس الوحيد كما يبدو ذلك من كلام شوقي ضيف رحمه الله، بل ثمة أغراض أخرى، كما سيظهر من خلال النقاط التالية.

ثانيًا: الهزل والإمتاع

إن من أهم أهداف المقامة الهزل والإضحاك، فهو فن قائم بحد ذاته، يختلف باختلاف طبيعة موضوعات المقامة، ولما تعالجه من مواقف. فقد يعمد كاتب المقامة إلى التهويل والمبالغة في تصوير

³⁷⁵ فروخ، الرسائل والمقامات، 24.

³⁷⁶ مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، 364.

³⁷⁷ ضيف، المقامة، 8.

الأمور وتحليل المواقف من أجل الإضحاك، ونجد أصحاب المقامات – لا سيّما الأوائل- يدبرون حيلًا لطيفة في كل مقامة، لتجعل القارئ يعيشها ويستمتع بها متعة أدبية لطيفة.

وإذا كان الهدف الأساس للأدب هو التهذيب من خلال التسلية بمزيج من الجد والهزل، فإن مقامات كثيرة ابتعدت عن هذا الاتجاه، إما بإهمال الجد أو نسيان الهزل. فضلًا عن أن أعمالًا أخرى تتماشى مع مقتضيات المقامة، ولكن تحت مسميات أخرى، مثل "الرسالة" أو "الحديث"، يظهر ذلك في عمل ابن شهيد "رسالة التوابع والزوابع"، فهو يقر بأنه استلهم من المقامة الإبليسية رسالته التي تحمل سمتين من سمات المقامة: السجع، ووجود رفيق للمؤلف وهو "الجنّي".³⁷⁸

وتوسع من جاء بعد الهمذاني والحريري في أهداف المقامة، فلم يقصروها على اللغة والبلاغة باستخدام الثروة اللفظية بأساليب أنيقة مشوقة، بل أجروها في مختلف الشؤون الثقافية، فحملوها نحوًا وفقهاً وطبًا، ووضعوا فيها مناظرات خيالية، كما وضعوا بها أحيانًا جوانب من مجتمعاتهم، ولكنهم لم يفكوا عنها أبدا قيود اللفظ وأسجاعه، وأغلال البديع وأنقال اللغة وألفاظها العويضة، بل كان ذلك مقياس المهارة والبراعة.³⁷⁹

ثالثًا: الوعظ

على الرغم من أن المعروف عن المقامات في نشأتها الأولى هو الإمتاع والتسلية، إلا أن الوعظ كان هو الآخر من أهدافها، وكان فكرة رئيسة لدى الكثير من كتاب المقامات، لا سيّما من جاء بعد البديع. والملاحظ أن كثيرًا من الموعظ – لا سيّما عند الحريري- كانت سلبية في بعض جوانبها، تدعو ضمناً إلى التواكل في المجتمع، من خلال الحث على نبذ الدنيا، وعدم السعي للحصول على المال. والوعظ الصحيح هو الذي يذكر الناس بالآخرة، دون نسيان إعمار الدنيا، هذا المفهوم الذي ينبني على قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [القصص: 77]. والأسوأ أن الموعظ في بعض المقامات كانوا ربما دعوا الناس إلى التحلي بالفقر، وعدم السعي إلى الكد من أجل حياة كريمة.³⁸⁰

ومثال ذلك ما ذكره بديع الزمان في المقامة الوعظية بقوله: "أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ جَهَازٍ، وَقَنْطَرَةُ جَوَازٍ، مَنْ عَبَرَهَا سَلِمَ، وَمَنْ عَمَرَهَا نَدِمَ".³⁸¹

رابعًا: النقد الاجتماعي

³⁷⁸ م.ت. هوتسما - ت.و. أرنولد - ر.باسيت - ر.هارتمان، موجز دائرة المعارف الإسلامية، 9575/31.

³⁷⁹ ضيف، المقامة، 10.

³⁸⁰ مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، 319-320.

³⁸¹ بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، 161.

كثير من المقامات كانت ذات مضامين اجتماعية. على أن النقد الاجتماعي في مضمون المقامات يُمثل ولا يحصى، فكثيراً من المقامات، خاصة مقامات الهمذاني انصبت على النواحي الاجتماعية، فكانت أشبه بالمرآة للمظاهر الاجتماعية نقادة لها.³⁸²

خامساً: الوصف

من أهداف المقامات تقديم صورة وصفية للكثير من الأشياء من بلدان وأشخاص وحيوانات. فعلى سبيل المثال وجدنا الحريري يصف أشياء مختلفة في كثير من مقاماته، ومن ذلك وصف الرغيف في المقامة الواسطية، حيث يقول على لسان السروجي: "قُمْ يَا بُنَيَّ لَا قَعَدَ جَدُّكَ، وَلَا قَامَ ضِدُّكَ، وَاسْتَصْجِبْ ذَا الْوَجْهِ الْبَذْرِيِّ، وَاللَّوْنِ الدَّرِيِّ، وَالْأَصْلَ النَّقِيِّ، وَالْجِسْمَ الشَّقِيِّ، الَّذِي قُبِضَ وَثُثِرَ، وَسُجِنَ وَشُهِرَ، وَسُقِيَ وَقُطِمَ، وَأُدْخِلَ النَّارَ بَعْدَمَا لُطِمَ".³⁸³

والملاحظ في الوصف الذي استخدم في المقامات، أنها تعول على التأنيق في الأسلوب، والتشبيهات والاستعارات الكثيرة، وذلك أمر طبيعي في أسلوب المقامة.³⁸⁴

المطلب الثالث: أهمية المقامة وأثرها في الأدب العربي والآداب الأخرى

كان للمقامات أثر في الأدب العربي وفي عدد من الآداب الأخرى. وقد ظهر أثر المقامات من حيث الأسلوب والإغراق في التصنيع في مقدمات الكتب العربية، وفي بعض الخطب العامة، وحتى في خطب المساجد.³⁸⁵

وقد أدى ظهور المقامات في الأدب العربي إلى إغنائه بالألفاظ والأساليب والمعاني والأخيلة، حيث أضافت إلى الأدب العرب فناً جديداً لم يكن له وجود من قبل، وتسبب في ظهور فنون أخرى كفن القصة القصيرة.

كما أحييت المقامات الكثير من مفردات اللغة وأساليبها، وجددت صور الأداء والتعبير فيها، ومثلت عاملاً مهماً في صناعة نهضة أدبية، فقد كانت من أول ما طبع من الكتب القديمة، فتداولها القراء يتأدبون بها ويتعلمون صناعة النثر.³⁸⁶

ولم يقتصر أثر فن المقامات على الأدب العربي، بل انتقل إلى الآداب الأخرى، فهذا الشاعر العبري يهوذا بن سلمون المعروف بالحريري، والذي عاش في الأندلس في النصف الأول من القرن الثالث عشر

³⁸² مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، 321-326.

³⁸³ الحريري، مقامات الحريري، 289.

³⁸⁴ مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، 361.

³⁸⁵ فروخ، الرسائل والمقامات، 74.

³⁸⁶ بونس، سمات أسلوبية في مقامات ناصيف اليازجي، 19.

الميلادي، بدأ حياته الأدبية بأن نقل مقامات الحريري من العربية إلى العبرية، ثم كتب مقامات قلد بها مقامات الحريري.³⁸⁷

كما انتقل فن المقامة إلى الأندلس بمن رحل إلى الشرق طلباً للعلم. ومن الأدباء الذين كتبوا المقامات أبو المغيرة عبد الوهاب بن حزم (ت: 420هـ)، وأبو عبد الله محمد بن شرف القيرواني (ت: 460 هـ)، والحسن بن علي البطليوسي (ت: ٥٦٦هـ) وغيرهم.³⁸⁸

كذلك انتقل فن المقامات من الأدب العربي إلى الأدب الفارسي، حيث أنشأ القاضي حميد الدين أبو بكر بن عمر البلخي (ت: 559هـ، 1164م)، مقامات باللغة الفارسية حاكي فيها الحريري. ومن الذين عملوا مقامات باللغة الفارسية الصحفي أديب الممالك (ت: 1336هـ، 1917م).³⁸⁹

كما أثر فن المقامة كذلك في القصص الإسبانية في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، فنشأ نوع جديد من القصص وهو ما يطلق عليه اسم (قصص الشُّطَار) التي وجدت لأول مرة في إسبانيا. وقد تصف حياة الشحاذين وعادات وتقاليد الطبقات الدنيا في المجتمع وتسمى باللغة الإسبانية (picaresca) وبيكاريسك مشتقة من بيكارو وهي بمعنى الإنسان الماكر الذكي الذي يحتال على الناس وتدور هذه القصص حول حياته ومغامراته الواقعية.³⁹⁰

ونجد أن المقامات العربية أثرت في الأدب الأوروبي تأثيراً متنوع الدلالة، فقد غدت قصص الشطار الإسبانية، ثم انتقل هذا التأثير من الأدب الإسباني إلى الآداب الأوروبية الأخرى، فكان ذلك سبباً في تلاشي قصص الرعاة، وتقريب القصة من واقع الحياة، ومن ثم ظهور قصص العادات والتقاليد في صورتها الحديثة.³⁹¹

وعلى هذا الأساس تغلغت عناصر كثيرة من القصص العربية إلى أوروبا منذ أواخر العصر الوسيط وأثناء العصر الحديث ولا سيما إذا كان موضوعها الرحلات. وقد وجدت المقامة العربية طرقاً للدخول في الآداب الأوروبية منذ العصور الوسطى بواسطة احتكاك الشرق بالغرب، وكان كثير من المستشرقين معنيين بالمقامات وترجمتها إلى لغاتهم خاصة مقامات الحريري فترجموا منها إلى اللغة اللاتينية والألمانية والإنجليزية والفرنسية، ما يدل على تأثر الأوروبيين بها. وممن تأثر بفن المقامة

³⁸⁷ فروخ، الرسائل والمقامات، 75.

³⁸⁸ حاجي زادة، المقامة في الأدب العربي والآداب العالمية، 24.

³⁸⁹ فروخ، الرسائل والمقامات، 75.

³⁹⁰ حاجي زادة، المقامة في الأدب العربي والآداب العالمية، 26-27.

³⁹¹ بونس، سمات أسلوبية في مقامات ناصيف اليازجي، 19.

العربية في الأدب الفرنسي هو شارل سوريل (Charles sorel) في قصة (تاريخ الفرنسيين الحقيقي الهازل) وقد نشرها في باريس سنة 1622م، وهي أول قصة على نسق المقامة في فرنسا تجري على لسان فرنسي يهجو فيها العادات والتقاليد بواسطة أشخاص من المتسولين. كما تأثر الأدب الألماني تأثراً كبيراً بمقامات الحريري. فقد ترجم الألماني روتشرت (Ruchert) بعض النصوص من مقامات الحريري إلى اللغة الألمانية، وأدخل فيها بعض الأساليب البلاغية كالسجع واستعمال الكلمات المكونة من حروف منقوطة ومهملة لأول مرة. كذلك دخل فن المقامة أو قصص الشطار إلى اللغة الانجليزية من حيث وجود بطل واحد، يقوم بمغامرات عديدة، مثل قصة "مسافر سيئ الحظ" لتوماس ناش (ت: 1594م).³⁹²

المبحث الثالث: مقامات ابن الألويسي

قبل الشروع بالحديث عن مقامات الألويسي بالتفصيل، لا بد أن يبين الباحث السبب وراء أخذ هذه المقامات نموذجاً للحركة الأدبية في القرن التاسع عشر. وأهم هذه الأسباب هي:

- 1- مكانة الألويسي العلمية والأدبية وكونه أهم رواد الحركة الأدبية في بغداد.
- 2- لغته الأدبية حتى في مؤلفاته العلمية.
- 3- ثراء المقامات اللغوي والأدبي.
- 4- المقامات نموذج لتطور لغة العصر وانعكاس لها، ولحال المجتمع الذي خرجت منه.

المطلب الأول: نظرة عامة على مقامات الألويسي

مقامات الألويسي خمس مقامات، أوصى في الأولى أولاده، وأرخ في الثانية والثالثة والرابعة أكبر جزء من حياته، ورمز في الخامسة إلى يأسه من الناس وقنوطه من أمر الحياة، وإقباله على التصوف وفنائه في ذات الله.³⁹³

ومقامات الألويسي كحال غيرها من المقامات التي جاءت في عصر المماليك وما بعده - وإن كانت قد التزمت الصمت والأسلوب البديعي- أيسر عبارة وأخف تكلفاً من المقامات العباسية. كما خرجت عن منهج الاستجداء، وتنوعت موضوعاتها وافتتاحاتها، وهذا يدل على الشخصية المستقلة المبتكرة التي يتمتع بها بعض الأدباء. وقد طرقت كتاب المقامة في هذا العصر أبواب الغزل، ومجالس المدامة، والفكاهة

³⁹² حاجي زادة، المقامة في الأدب العربي والآداب العالمية، 27.

³⁹³ البصير، نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر، 230.

والمداعية، وتسجيل الحوادث العامة وبيان خطرهما، ووصف أخلاق الناس وعاداتهم، وتصوير مناظر البيئة، وأبواب الشكوى والمدح، والنقد واللغة، إلى غير ذلك.³⁹⁴

المقصد الأول: المقامة الأولى: إنباء الأبناء بأطيب الأنباء

هذه المقامة وصية لأولاده، فهو يخاطبهم ويعظهم ويضع لهم المنهاج الذي يسبغون عليه. فقد دعاهم لأن يشتغلوا بالفقه والحديث والتفسير وسائر علوم الدين.³⁹⁵

أوصى أبو الثناء أولاده بأن يكونوا علماء، حلماء، أبراراً أتقياء، يعطون من منع، ويصلون من قطع، ويسامحون من ظلم. وأمرهم أن يجدوا في تحصيل العلم وأن يتحلوا بالأدب الرفيع، كأن يحفظوا نفائس الأشعار، ويرووا طرائف الأخبار. وقد وصف لأولاده في هذه المقامة الطباع السيئة لكثير من الناس، من نفاق وغدر ومكر ودس، وحذرهم من التخلق بتلك الأخلاق والحذر من أصحابها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً. كما يؤدبهم بأداب السلطان، فيقول لهم: إن عليهم -إذا اقتضت ظروفهم أن يترددوا إلى مجلس الوالي- أن يكونوا حذرين كثيري الصمت شديدي الاحتراس من مخالفة الحاكم المطلق. ويوصي أبو الثناء أولاده أيضاً أن يكونوا يداً واحدة، وأن يوقر صغيرهم كبيرهم، وأن يعطف كبيرهم على صغيرهم، وأن يعدوا أخواتهم في عداد بناتهم، أما أمهم فإنه يوصيهم أن يحترموها ويبروا بها على علاقتها، ومن هنا يتبين أنه لم يكن سعيداً في حياته الزوجية سعادة تامة.³⁹⁶

ومما جاء في هذه المقامة: "يابني جودوا بالمال في موضع الحق، وابخلوا بالأسرار على جميع الخلق، فإن أحمدَ جود المرء الإنفاق في وجه البر، وأكرم بخل المرء الضن بمكتوم السر".³⁹⁷

المقصد الثاني: المقامة الثانية: الإعوال من الأخوال

هذا هو اسمها في المخطوط والمطبوع، وكثير ممن ذكرها سماها (الأهوال من الأخوال)، ولعل ذلك بسبب التصحيف، أو ربما لها اسم ثان.³⁹⁸

يبدأ الألوسي هذه المقامة بالتحدث عن حياته العلمية الأولى ودراسته على والده وبعض العلماء، وخاصة شيخه علاء الدين أفندي الموصللي، ويفيض كثيراً في وصفه. ويتطرق إلى مؤامرات خصومه عليه، وخاصة أخواله الذين أعلنوا الحرب عليه، نتيجة لدس بعض أهل السوء ألبائاً عليه في هجائهم. ويتحدث عن إيقاع هؤلاء به لدى الوزير داود باشا، زاعمين أنه سبَّ العلامة ابن حجر العسقلاني، ثم كيف

³⁹⁴ سليم، الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث، 36.

³⁹⁵ عبد الحميد، الألوسي مفسراً، 139.

³⁹⁶ البصير، نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر، 230-231.

³⁹⁷ الألوسي، مقامات ابن الألوسي، 8.

³⁹⁸ وهذا الاسم هو الذي أورده ذاكر الحنفي في تحقيقه للمقامات. يُنظر: الألوسي، مقامات ابن الألوسي، 8.

تدخل طائفة من أصحاب الفضل للتوسط بينه وبين خصومه، وكيفية صدور قرار داود باشا بتعيينه بمحلة سبع أ بكر. 399

ومما أورده في هذه المقامة من حديثه عن سوء علاقاته مع أخواله: " فوصل إلى قلبه فأنبت ما بذرتة يدُ الحسد في قيعان بواديه، وأبرق وأرعد، وهاج وأزبد، ووافقه أخوه الأكبر، فزمر كما زمر، فأبرز الشر قرنيه، وجعل ينظر إليّ شزراً بعينه". 400

المقصد الثالث: المقامة الثالثة: قطف الزهر من روض الصبر

تصور لنا هذه المقامة جانباً من حياة الألوسي العلمية، كدراسته في الكتاب، ودراسته لدى شيخه علاء الدين الموصللي، حيث يسجل فيها قسوة الزمان عليه، ومجابهته الشدائد والصعوبات. ويروي كذلك بعض الحوادث التاريخية كحصار علي رضا باشا لبغداد سنة 1246 هـ، وقيام أهل بغداد عليه، ويذكر فيها ما لحقه من أذى، وحبسه في دار نقيب الأشراف محمود أفندي. 401

وهذه المقامة مطبوعة بطابع التفاؤل، يبسم في ثناياها الأمل، وتشيع في طياتها الثقة، فقد كتبها الألوسي ليصف إقبال الدهر عليه وابتسام الأيام له في ولاية علي رضا باشا الذي اتخذته صديقاً حميماً ومستشاراً أميناً يستعين به على حل مشاكل الإدارة والسياسة، علاوة على اعتماده المطلق عليه في إدارة الشؤون العلمية والدينية. وهو يذكر هذا ليطمئن رجل الأدب والفضل ويدفعه للثقة بأدبه، والاعتقاد بأنه بالغ قصده، ومدرّك أمله في يوم من الأيام. 402

ومما ذكره عن تبدل حاله إلى خير حال بعد تحسن علاقته مع الوالي علي رضا اللاز قائلاً: "فدعاني لحضرته العلية، ورعاني بأعين أياديه الحاتمية، ورفع قدري بنصبه إياي خطيب الحضرة الأعظمية، وأمرني بحضور الديوان كل جمعة مع جمعية الأعيان". 403

المقصد الرابع: المقامة الرابعة: زجر المغرور عن رجز الغرور

يحذر أبو التناء في هذه المقامة الناس من الدنيا لأنها خائنة غدارة، ففيها يقدم عظة صادقة ينتزعها من تجاربه، فهو يوصي بها من يقرأها ألا يغره شيء في هذه الحياة، لأن كل ما فيها باطل زائل. ويضرب لذلك مثلاً بما أصابه من شر بعد خير، وعسر بعد يسر، ويمثل لذلك بحياته عندما ابتسمت له الدنيا، حيث كان ذكره على كل لسان وكان الخير يأتي إليه من كل جانب، ثم ذهب كل ذلك، عندما عزله علي رضا

399 عبد الحميد، الألوسي مفسراً، 140.

400 الألوسي، مقامات ابن الألوسي، 32.

401 عبد الحميد، الألوسي مفسراً، 140.

402 البصير، نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر، 232.

403 الألوسي، مقامات ابن الألوسي، 49.

باشا- وشكوه إلى الوزير الجديد محمد نجيب، فعزله عن إفتاء الحنفية، وسحب يده من أوقاف المرجان. ويذكر فيها أيضًا توجهه مع الوزير المعزول عبد الكريم باشا إلى الأستانة.⁴⁰⁴

يقول واعظًا في مطلع هذه المقامة: "أيها المغرور بنسبه، والمسرور بذهبه، إذا ذهب عنه غنى نسبه، والتائه في تيه التيه، والمفتخر بملء فيه بما ليسه فيه، والمتبخر برداء اغتصبه، والمتحلي بعرض بهاء اقتضبه، أربع على نفسك، فما تدري متى يُقضى على أنسك".⁴⁰⁵

المقصد الخامس: المقامة الخامسة: سجع القمرية في ربع العمرية

وهي أطول مقامات الألوسي بل تعدل ما عداها، وفيها تظهر المقامة على أصولها بصورة جلية أكثر من غيرها، حيث يتجلى بيان الألوسي وعذوبة ألفاظه. وهي على شكل قصة رمزية بطلها رجل صوفي يزور أبو الثناء في ساعة متأخرة ذات ليلة، وبعد أن يعتذر منه لمفاجأته بهذه الزيارة غير المنتظرة، يحدثه حديثًا طويلًا، خلاصته: أن الدنيا شيء تافه لا يستحق ما يبذل البشر في سبيلها من جهود، وما يتكبدون فيها من أوصاب وأتعاب رجاء الحصول عليها، وإن الخير كل الخير في دروس علوم الدين واللغة والإقبال بعد ذلك على التصوف والفناء في ذات الله تعالى.⁴⁰⁶

يستعرض أبو الثناء في هذه المقامة الكثير من الأخلاق الاجتماعية السيئة، والعادات الفاسدة، ويتكلم فيها عن الفرق الهدامة في الإسلام وضرورة الحذر منها. ويدعو في مقامته إلى العزلة مع الاعتراف بأن الإنسان لا يسلم من الناس، فالشيخ الذي رافقه إلى زيارة جماعة من أصحابه، أودع السجن، لأنه كان حاضرًا وذكر اسم الوالي، فلفق له أحد الواشين التهمة.

وفي هذه المقامة لفتات عن أحوال الولاية وعداءهم لأهل العلم، وصلة بعض الموظفين بهم والتي تقوم على المراوغة والنفاق. وينهي الألوسي مقامته بالدعوة إلى الزهد في الحياة، ويذكر الإنسان بالموت، ثم يدعو إلى التوبة. ولا تخلو هذه المقامة من تصوير علاقات أبي الثناء بتلامذته في المدرسة العمرية.⁴⁰⁷

ومن مواظمه التي ختم فيها هذه المقامة قوله: "فهو الدهر لا يُعجب من طوارقه، ولا يُنكر هجوم برائقه، عطاؤه في ضمان الارتجاع، وحبائوه في قران الانتزاع، وما الدينا إلا دار النقلة، ولا المقام فيها إلا للرحلة، قد ابتعدت للنفاذ، وشُفَعَ كونها بالفساد، وإن الثاوي فيها راحل، والأيام فيها مراحل، لو خلد فيها من سبق، لما وسعت الأرض من لحق".⁴⁰⁸

404 البصير، نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر، 232؛ و عبد الحميد، الألوسي مفسرًا، 140-141.

405 الألوسي، مقامات ابن الألوسي، 49.

406 البصير، نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر، 233.

407 عبد الحميد، الألوسي مفسرًا، 141.

408 الألوسي، مقامات ابن الألوسي، 128.

تحتوي مقامات الألوسي دروساً قيّمة في الحياة والاجتماع، أما أسلوبها فهي: سجع ملتزم، ومجانسات ومطابقات ملتزمة، وتشابيه واستعارات ملتزمة كذلك. على أن أبرز ما في أسلوب أبي التثاء إكثاره من الاستشهاد بالشعر، حتى لقد يخيل لقارئ المقامة الأولى على سبيل المثال، أنه يقرأ باباً من أبواب حماسة أبي تمام أو حماسة البحتري.

ومما هو جدير بالذكر أيضاً أن شواهد أبي التثاء في مقاماته، تحمل طابعه، وتشف عن روحه حتى ليغلب على الظن أنها من نظمه.⁴⁰⁹

من ذلك قوله مستغفراً وقد افتتح به كتاب مقاماته:⁴¹⁰

أَنَا مُذْنِبٌ أَنَا مُجْرِمٌ أَنَا خَاطِئٌ هُوَ غَافِرٌ هُوَ رَاحٌ هُوَ عَافِي
قَابِلْتُهُنَّ ثَلَاثَةً بِثَلَاثَةٍ وَسَتَغْلِبُنَّ أَوْصَافُهُ أَوْصَافِي

والمقامات خرج بها أبو التثاء عن موضوعها الخيالي في قصة لا أصل لها بهدف إظهار الأدب، وإنما جعلها موضوعاً واقعياً نفسياً أو اجتماعياً وأدبياً معاً. ذلك ما قرب الأدب وموضوعاته من العلاقات الحياتية، وجعل الحكاية موضوعاً إصلاحياً يمس الحياة، عبر تمثل نظرات صادقة ونصائح وأقوال من خبر الحياة ودخل معتركها.⁴¹¹

ومن ذلك هذه الأبيات التي يزين بها صدر مقامته الخامسة التي يشرح بها حاله ويتحدث بها عن

نفسه:

سَهْرِي لِتَنْقِيحِ الْعُلُومِ أَلْذُّ لِي مِنْ وَصَلِ غَائِبَةٍ وَطِيبِ عِنَاقِ
وَتَمَائِلِي طَرْباً لِحَلِّ عَوِصَةٍ فِي الدَّرْسِ أَشْهَى مِنْ مُدَامَةِ سَاقِ
وَصَرِيرِ أَقْلَامِي عَلَى أَوْرَاقِهَا أَحْلَى مِنَ الدَّوْكَاهِ وَالْعُشَّاقِ
وَأَلْذُّ مِنْ نَقْرِ الْفَتَاةِ لِدَقِّهَا نَقْرِي لِأُلْقِي الرَّمْلَ عَنْ أَوْرَاقِي
يَا مَنْ يَحَاوِلُ بِالْأَمَانِي رَتْبِي كَمْ بَيْنَ مُسْتَفْلٍ وَآخِرِ رَاقِ
أَبَيْتُ سَهْرَانَ الدُّجَى وَتَبِيئَتُهُ نَوْمًا وَتَبْغِي بَعْدَ ذَاكَ لِحَاقِي؟

409 البصير، نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر، 233-234.

410 كلام البصير ربما يشير إلى أن هذه الأبيات من نظم أبي التثاء، لأن أنه -أي الألوسي- رحمه الله يشير في تفسيره ينفي ذلك بقوله: "«ويعجبني قول بعضهم: وما أولى هذا المذنب به:» ثم يورد هذه الأبيات. الألوسي، روح المعاني، 67/5.

411 العزاوي، ذكرى أبي التثاء الألوسي، 67.

هذه الأبيات تنسب للإمام الشافعي وكذلك للأمام الزمخشري عليهما رحمة الله، بيد أن محمد مهدي البصير يرجح -دون أن يجزم- أنها من نظم الألوسي لأنها تحمل أسلوبه وطابعه ولغته وظروفه، ولأن البيت الثالث منها يشير لحيين عراقيين هما الدوكاه والعشاق.⁴¹²

المطلب الثاني: الفرق بين المقامات القديمة ومقامات الألوسي

لم تكن مقامات الألوسي تقليدًا فارغًا للمقامات القديمة، فقد استطاع أبو الثناء أن يحتفظ بشخصيته، وبالخصائص العامة لأسلوب كتابته وتفكيره فيها.

وفي مقاماته ينحى الألوسي منحى ابن الجوزي. وأهم عناصر التطور في مقامات ابن الجوزي، أنها لا تتخذ رابوية واحدًا، وإنما تبتدئ على طريقة القصة الذاتية يتحدث فيها صاحبها عن نفسه، في حين أن الحريري والبدیع قبله، ومن ساروا مسارهما وصولاً إلى اليازجي، كانوا يقفون بعيداً عن الحوادث التي تجري في المقامة، ويتفرجون على أبطال مقاماتهم.⁴¹³

ويمكن القول إن ثمة عنصرين يبينان بوضوح التطور الذي حدث في مقامات ابن الجوزي:

أولهما: أن الكاتب يعبر عن حوادث المقامة باستخدام ضمير المتكلم، بينما كان من سبق من أصحاب المقامات يضعون رواة يسردون الحوادث، وكان كل صاحب مقامة يختار لراويته اسماً معيناً. وثانيهما: أن ابن الجوزي أثر ألا يطلق على مقاماته أسماء خاصة، كما فعل الهمداني ومن بعده، بل قدمها بدون عناوين تميزها، مكتفياً بالتعريف العددي وحده.⁴¹⁴

ولمعرفة خصائص مقامات الألوسي، يمكننا أن نرصد فوارق بينها وبين المقامات في أول ظهورها على يد بديع الزمان الهمداني ومن بعده الحريري. ومن أبرز هذه الفوارق:

أولاً: موضوع المقامة

فالموضوع عند بديع الزمان ليس واحدًا، على الرغم من أن أكثر المقامات موضوعها الكدية والاستجداء، إذ يظهر أبو فتح الإسكندري في شكل أديب شحاذ يخلب الجماهير ببيانه العذب، ويحتال بهذا البيان على استخراج ما بجعبتهم من دراهم. وهو يتراءى بهذه الصورة في بلدان مختلفة، ولعل هذا ما جعل بديع الزمان يسمى كثيرًا من مقاماته بأسماء البلدان. الأمر ذاته نجده في مقامات الحريري، فهي تدور أيضًا حول الكدية والاستجداء، وهو في هذه الناحية أدق من الهمداني، حيث سلك الحريري جميع

⁴¹² البصير، نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر، 245.

⁴¹³ مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، 236.

⁴¹⁴ مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، 237.

مقاماته في قالب الشحاذة، وعرض فيها أبا زيد السروجي دائماً أديباً شحاذاً، لكنه اتخذ الكدية وسيلة لمعالجة العديد من الموضوعات، منها ما يشترك به مع بديع الزمان كالوعظ، ومنها ما ينفرد به.⁴¹⁵

على خلاف ذلك نجد أن مقامات الألوسي، تقترب جميعاً من أن تكون في إطار الوعظ، وهو ينحى بذلك – كما أسلفنا- منحى ابن الجوزي في مقاماته. كما أن بطل مقامات الألوسي واحد هو نفسه ما عدا المقامة الأخيرة "سجع القمرية" فإن دور البطولة يتقاسمه معه رجل صوفي يزور أبا الثناء في ساعة متأخرة من الليل ويحدثه حديثاً طويلاً،⁴¹⁶ ويستهلها بقوله: "اعلم أيها الخليل الخلي، ذو الفضل الجليل الجلي، أنه قد اتفق لي في أمر العشق أغرب قصة، ولعمري لقد حلت وإن مرت وأبقت أعظم غصة"،⁴¹⁷ ثم يسرد أحداث القصة المتخيلة، ليصل في نهاية إلى خلاصة يعظ فيها القارئ ويحذره من الانجراف إلى ذنوب الشبهات والشهوات.

ثانياً: تسمية المقامات

لم يصطلح الهمذاني في تسمية مقاماته على سنة واحدة، بل هناك مقامات بأسماء البلدان كما أسلفنا، وأخرى بأسماء الحيوانات كالمقامة الأسدية، أو الأطعمة كالمقامة المضيرية، نسبة إلى أكلة المضيرة. وربما سماها باسم الموضوع كالمقامة الوعظية والإبليسية والقريضية وهكذا، وهذا يعني أن موضوعات مقاماته متنوعة، فهي لا تجري كلها في الكدية بل تذهب مذاهب شتى، تتحد فيها الغاية، وهي رصف العبارات الأدبية المنمقة. وهو مذهب الحريري أيضاً، وإن كان قد سمى جميع مقاماته تقريباً بأسماء البلدان، كما سماها بترتيبها العددي أيضاً.⁴¹⁸

أما مقامات الألوسي فقد كانت تسمياتها طويلة نسبياً، ولا تسبق بكلمة المقامة، واسمها يشي بمضمون المقامة وموضوعها، وجميع أسماء المقامات مسجوع، فعلى سبيل المثال سمى المقامة الرابعة: زجر المغرور عن رجز الغرور.

1- مقامات الهمذاني ومن بعده الحريري بنيت على التسول والاستجداء، وإفراط في المجون، أو إفراط في التصوف، وفي كلاهما نجد ما يشبه الفرار من حياة الجد إلى حياة الفكاهة. أما النثر فقد حمل كل أنواع الزينة من سجع وبديع، فكان كالفتاة تسرف في التجلل لما شعرت بنقصان جمالها الطبيعي.⁴¹⁹

⁴¹⁵ ضيف، المقامة، 24-54.

⁴¹⁶ عيد الحميد، الألوسي مفسراً، 154.

⁴¹⁷ الألوسي، مقامات ابن الألوسي، 56.

⁴¹⁸ ضيف، المقامة، 24-25.

⁴¹⁹ الزيات، مجلة الرسالة، 5/9.

والأسلوب الفكاهة الذي اتخذته المقامات البديعية، نجده كذلك في المقامات الحبرية، وكان هذا أحد الأسباب المهمة في ذبوعها وإقبال الناس عليها، لأنهم وجدوا فيها ما يسليهم ويعينهم على أعباء الحياة.⁴²⁰

بينما لا نجد لموضوع الكدية أي وجود في مقامات الألوسي التي يغلب عليها الجد، ويندر فيها الهزل. كما أن أحداث مقامات الألوسي واقعية وليست متخيلة إلا في المقامة الخامسة. فقد حاول رحمه الله نقل مضمون المقامات إلى موضوعات الواقعية الجدية بدل مواضيع الهزل. وأما المقامة الأخيرة "سجع القمرية" فهي قصة لم تكتمل عناصرها الفنية، ولكنها محاولة لإعطاء القصة مضموناً حيوياً، وهو إصلاح الحالة الاجتماعية، والتنبيه إلى بعض المفاصل الأخلاقية.⁴²¹

انظر إلى ما ذكره في المقامة الخامسة: " فلما سمعتُ ما قلتُ وقيل، قصرتُ يدها عن تناول حنظل الأباطيل، وجعلت تحثني على التوبة، وتؤنّبني على تسويف الأوبة، فتبت إلى الله تعالى توبة نصوحاً، وأجريت على سالف أيامي من الدمع دمعاً مسفوحاً".⁴²²

2- مقامات بديع الزمان - وإن غلب عليها موضوع الكدية- إلا أنها لم تخلُ من موضوع الوعظ الديني، فقد كتب فيها مقامتين: المقامة الأهوازية والمقامة الوعظية. والبديع في هذا الجانب يقف ضد الملحدين، ملتزماً عقيدة أهل السنة، بوجه المعتزلة.⁴²³

أما مقامات ابن الجوزي فقد كان هدفها الأول هو الوعظي، ويأتي الهدف الأدبي بالمرتبة الثاني، وهذا واضح من عنوان المقامات "المقامات الجوزية في المعاني الوعظية"، كما يفهم ذلك من عبارة وردت في المقدمة يقول فيها: "الحمد لله الذي خصنا بأفصح اللغات، وحظنا بأنصح العظائم، وخص لنا المعاني في أخلص الكلمات".⁴²⁴

وهذا الموضوع بالذات، أي الوعظ، قد طغى على مقامات الألوسي حتى بدا أنه الهدف من وراء كتابته لها. من ذلك وعظه في المقامة الرابعة، وتحذيره من تقلب الدهر: "وقد أعرضت عن عتبي دهري وعاملته معاملة من لا علم له بإساءة ولا يدري، علماً مني بأنه قاسي القلب فلا يلين باستعطاف، جائر الحكم فلا يميل إلى إنصاف".⁴²⁵

⁴²⁰ ضيف، المقامة، 74.

⁴²¹ عبد الحميد، الألوسي مفسراً، 153.

⁴²² الألوسي، مقامات ابن الألوسي، 133.

⁴²³ ضيف، المقامة، 24.

⁴²⁴ أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، المقامات الجوزية في المعاني الوعظية، تحقيق محمد نغش (بيروت:

دار فوزي للطباعة، 1980)، 3.

⁴²⁵ الألوسي، مقامات ابن الألوسي، 55.

3- وصف الهمذاني في مقاماته كثيرًا من وجوه الحياة في عصره، وهذا ما يظهر جليًا في المقامة البغدادية التي تصور الحياة في بغداد في ذلك الزمن. كما أعطانا في المقامة النيسابورية صورة دقيقة لفساد القضاء في زمنه.⁴²⁶

كما يتجلى ذلك في كثير من أجزاء مقاماته، ولا سيما الخمرية، والمضيرية التي نجد البديع فيها يصف ببراعة لكل ما يعرض له، فقد وصف فيها الطست، والابريق، والباب، والطاق، والحصير، وكل ذلك يدل على أن البديع كان قصده من وراء ذلك حب الوصف ورغبته الشديدة به.⁴²⁷

وهذا أيضًا ما فعله الألوسي في مقاماته، حيث يقدم لنا كذلك صورة عن الحياة في زمنه وعن مدينته بغداد وسواها من المدن، كذلك يلمح إلى الفساد في قصته مع الوزير وكيف اغراه الواشون ضده. كما أننا لا نجد في مقامات الألوسي السخرية الاجتماعية، والترف العقلي، والتعليم اللغوي، وإنما تمتلئ بالدروس القيمة في فلسفة الحياة والمجتمع. من ذلك قوله في المقامة الأولى: "يا بنيّ إني رأيتُ أهلَ الزوراء لا يجتمعون على زود حق، حتى ولو أضحي كشمس الضحى في الظهور، بل يكونون طائفتين في كل حادثة، فإن أنتم أمنتم المكروه فالواجب أن تكونوا مع الطائفة المُحقّة، أو لا فكونوا طائفة ثالثة، وانحازوا عن الطائفتين بمعزل، وأبعدوا عنهما بألف ألف منزل، فذلك في هذه الأيام أبعد عن الوقوع في مهوي الملام".⁴²⁸

4- من خلال الموضوعات التي تناولها الهمذاني في مقاماته، يظهر أن الشكل القصصي ليس هدفها، فهي إنما تتخذ وسيلة لنسج الأسلوب البلاغي المسجوع. فعلى سبيل المثال في مقاماته التي مدح بها خلف بن أحمد صاحب سجستان، لم يجعل موضوعها الكدية، وإنما نحا نحو الإشادة به، لكن الهمذاني صاغ المدح نثرًا بدلًا من أن يكون شعرًا، وهو توافق في الأغراض بين الشعر والنثر.⁴²⁹

وكذا فعل الحريري في مقاماته، حيث نحا أسلوب الهمذاني من حيث الحوار بين الراوي والبطل، ومن حيث الصيغة الثابتة في بداية المقامة "حدثنا..." فمقامته هي الأخرى تأخذ أسلوب القصة، وهي أكثر حبكة من مقامة البديع.⁴³⁰

أما الألوسي فقد تجاوز الشكل القصصي، ليذهب مباشر إلى السرد، إلا في المقامة الخامسة كما أسلفنا.

وإذا كانت المقامة قصة وجيزة أو حكاية قصيرة مبنية على الكدية (الاستعطاء) وعناصرها الثلاثة:

⁴²⁶ ضيف، المقامة، 29.

⁴²⁷ مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، 13.

⁴²⁸ الألوسي، مقامات ابن الألوسي، 133.

⁴²⁹ ضيف، المقامة، 24.

⁴³⁰ ضيف، المقامة، 64.

- راوية ينقلها عن مجلس تحدث فيه.
- مكدي (بطل) تدور القصة حوله وتنتهي بانتصاره في كل مرة.
- ملحّة (نكتة أو عقدة)، تحاك حولها المقامة.⁴³¹

فإن مقامات الألوسي لم تضم من هذه العناصر شيئاً، بيد أنها تشترك مع المقامات بالصناعة اللفظية، كما تركز على:

- الوعظ.
- عرض السيرة الذاتية.
- الحديث عن الأحوال الاجتماعية والسياسية.

5- اختار الهمداني صيغة السجع لمقاماته كونها الصيغة التي يعجب بها أهل عصره، لذا عمد إليها لينمق بها أحاديثه، وهو يظهر براعة فائقة في استخدام السجع، وإن كان لا يلتزمه دائماً، لكنه لا يحيد عنه، فالأصل عنده أن يسجع، ولا يترك السجع إلا نادراً، ما يدل على حافظته القوية، وبديهته الحاضرة، وذكاءه المتقد، وإحساسه الدقيق باللغة ومتراذفات استخدامها واستخداماتها المتنوعة، فهو يعرف كيف يضع الكلمات في مواضعها بدقة وبراعة. ومن هنا كان سجعه هادراً كالسيل، لكنه في الوقت ذلت سجع خفيف رشيق، ليس فيه تكلف، وليس فيه صعوبة أو جفاء.⁴³²

وهذا ما نجده في سجع الألوسي بمقاماته، فهو سجع لطيف يعبر عن مقدراته البلاغية، دون تكلف أو تعقيد. قال في مقامته "سجع القمرية" في حديثه عن الدنيا وغرورها: "وما الدنيا إلا دار النقلة، ولا المقام فيها إلا للرحلة، قد ابتدعت للنفاذ، وشفع كونها بالفساد، وأن الثاوي فيها راحل، والأيام فيها مراحل، لو خُلد فيها من سبق، لما وسعت الأرض من لحق".⁴³³

6- من يعود إلى مقامات البديع، يجد فيها الكثير من اللفظ الغريب، يحشو به أساليبه. ولعل مقامته الحمدانية أكثر المقامات ألفاظاً مهملة غير مسموعة، فقد عني فيها بوصف الفرس، واستخدم محصوره اللغوي في هذا الوصف، وكأنه يؤلف متناً في غريب الفرس لا مقامة أدبية.⁴³⁴

أما الحريري فقد يستعرض مهاراته اللغوية في مقاماته أيضاً، ويصل في ذلك إلى استخدام تلك البراعة في الألعاب اللغوية. فعلى سبيل المثال المقامة السابعة عشرة، وهي المقامة القهقرية، حيث لف فيها رسالة تقرأ كلماتها من آخرها إلى أولها، كما تقرأ من أولها إلى آخرها، فهي تقرأ بالوجهين، وهي مجموعة من الحكم، أخرجها في مائة كلمة على هذا النحو: "الإنسان صنعة الإحسان". فانت تستطيع أن

⁴³¹ فروخ، الرسائل والمقامات، 21.

⁴³² ضيف، المقامة، 32-33.

⁴³³ الألوسي، مقامات ابن الألوسي، 128.

⁴³⁴ ضيف، المقامة، 42.

تقرأ هذه العبارة " الإحسان صنيعة الإنسان"،⁴³⁵ وهكذا بقية الرسالة، فهي تقوم على الطرد والعكس في الكلمات لا في الحروف.⁴³⁶

أما الألوسي، فإنه لا يحشد مقاماته بالغريب ولا ينشغل عن المعاني الأخلاقية بتدبيح الأساليب، واللعب بالألفاظ، وتعقيد الأداء كما كان يفعل سابقوه وخاصة الحريري. كما أن الألوسي في أسلوبه أقرب إلى التأثير بمقامات الهمذاني منه إلى مقامات الحريري، وهو يجاريه أحياناً، ويقتبس عنه عبارات معينة في الموضوعات المتشابهة. ففي "سجع القمرية" يقول الألوسي في وصف المائدة التي أعدها للشيخ: "ثم قدمت مائدة كدارة البدر اللطيفة، محفوفة بكل ظريفة، عليها أرغفة تصفع القضاء، وتشير بأكفها للجالسين بالشروع. وإن تسأل عن اللوزينج في أواني الفيروزج فهو ليلي العمر، يومي النشر، رقيق القشر، كثيف الحشو، لولي الدهن، كوكبي اللون، يذوب كالصمغ قبل المضغ".⁴³⁷

هذه الجمل القصيرة مقتبسة من المقامة البغدادية لبديع الزمان الهمذاني، والتي يقول فيها: "زن لأبي زيد من اللوزينج رطلين فهو أجرى في الحلوق، وأمضى في العروق، وليكن ليلي العمر، يومي النشر، رقيق القشر، كثيف الحشو، لؤلؤي الدهن، كوكبي اللون، يذوب كالصمغ قبل المضغ".⁴³⁸

ومع ذلك لم تخل مقامات الألوسي من الألفاظ الغريبة، نذكر بعضها:

ففي المقامة الثانية يقول: "فجعلتُ أكرع من برّه، في مشارع تعزُر ولا تنزُر".⁴³⁹

والكرع في اللغة يطلق على شرب الماء من الإناء إذا تناوله بفيه من موضعه. وكرع في الإناء، إذا أمال نحوه عنقه فشرب منه.⁴⁴⁰

والعز هو المطر الشديد الوابل، يُعزّز الأرض تعزيراً، ويقال للوابل إذا ضرب الأرض السهلة فشدّها حتى لا تسوخ فيها الأرجل: قد شدّد منها وعزّز منها.⁴⁴¹

أما النزر فهو القليل، وعطاء منزور: قليل..⁴⁴²

⁴³⁵ الحريري، مقامات الحريري، 168.

⁴³⁶ ضيف، المقامة، 57-58.

⁴³⁷ الألوسي، مقامات ابن الألوسي، 117.

⁴³⁸ بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، 68.

⁴³⁹ الألوسي، مقامات ابن الألوسي، 27.

⁴⁴⁰ أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي،

إبراهيم السامرائي (الرياض: دار ومكتبة الهلال، 1431)، 199/1؛ والأزهري، تهذيب اللغة، 202/2.

⁴⁴¹ الفراهيدي، كتاب العين، 359/3؛ والأزهري، تهذيب اللغة، 130/13.

⁴⁴² الفراهيدي، كتاب العين، 199/1؛ والأزهري، تهذيب اللغة، 202/2.

وفي نفس المقامة يقول: " فعند ذلك رمي ابن النائب بثلاثة الأثافي، وقُصَّ من أخيل خيلائه
القُدَامَى والخوافي".

والمعنى: رَمَاهُ اللَّهُ بِثَلَاثَةِ الْأَثَافِي: يَعْنِي الْجَبَلَ لِأَنَّهُ يَجْعَلُ صَخْرَتَانِ إِلَى جَانِبِهِ وَيُنْصَبُ عَلَيْهِ
وَعَلَيْهِمَا الْقُدْرُ، فَمَعْنَاهُ رَمَاهُ اللَّهُ بِمَا لَا يَقُومُ لَهُ.⁴⁴³

أما قَوَادِمُ رِيَشِ الطَّائِرِ: ضِدُّ خَوَافِيهَا، الْوَاحِدَةُ قَادِمَةٌ وَخَافِيَةٌ. وَالْقَوَادِمُ أَرْبَعُ رِيَشَاتٍ فِي مُقَدِّمَةِ
الْجَنَاحِ، وَهِيَ الْقُدَامَى، وَالْمَنَاقِبُ اللَّوَاتِي بَعْدَهُنَّ إِلَى أَسْفَلِ الْجَنَاحِ، وَالْخَوَافِي مَا بَعْدَ الْمَنَاقِبِ، وَالْأَبَاهِرُ
مَنْ بَعْدَ الْخَوَافِي، وَقِيلَ: قَوَادِمُ الطَّيْرِ مَقَادِيمُ رِيَشِهِ، وَهِيَ عَشْرٌ فِي كُلِّ جَنَاحٍ.⁴⁴⁴

ومن الغريب أيضاً ما استخدمه في المقامة الثالثة: قال "حتى إذا ناغتنى العشرة الثانية من عمري،
وقدرتُ أن أسيرَ كالْبُزْلِ الْقَنَاعِيْسِ".⁴⁴⁵

وناغى الصَّبْيُ: لَاطَفَهُ بِالْحَدِيثِ وَالْمُلَاعَبَةِ، وَمِنْهُ نَاغَتْ الْمَرْأَةُ طِفْلَهَا.⁴⁴⁶

أما البزل القناعيس هي الأبل، والقنعاس: الأجل الضخم، وَرَجُلٌ قَنَعَاسٌ: شَدِيدٌ مَنِيْعٌ.⁴⁴⁷
ومنه قول جرير:⁴⁴⁸

وَابْنُ اللَّبُونِ إِذَا مَا لَزَّ فِي قَرْنٍ لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ الْبُزْلِ الْقَنَاعِيْسِ
وينبغي أن نشير هنا إلى أن المقامات لاحقاً لم تبق على ما أسسه الهمذاني والحريري، بل اتخذت
اتجاهات متعددة:

الأول: الاتجاه الكلاسيكي، وهي المقامات التي سارت على المنحى الذي وضعه بديع الزمان
الهمذاني أو التزمت بتقليد نموذج قديم، كما هو الحال مع مقامات اليازجي.

الاتجاه الثاني: هو الاتجاه الذي مال نحو أدب القصة، وهذا ما نجده في (حديث عيسى ابن هشام)
لمحمد المويلحي.

⁴⁴³ ابن منظور، لسان العرب، 114/14.

⁴⁴⁴ ابن منظور، لسان العرب، 469/12.

⁴⁴⁵ الألويسي، مقامات ابن الألويسي، 41.

⁴⁴⁶ أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة (القاهرة: عالم الكتب، 2008)، 2246/3.

⁴⁴⁷ أبو بكر محمد بن الحسن ابن دريد، جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير بعلبكي (بيروت: دار العلم للملايين،

1987)، 182/3.

⁴⁴⁸ جرير بن عطية الكلبي التميمي، ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تحقيق نعمان محمد أمين طه (القاهرة:

دار المعارف، 1440)، 128/1.

الاتجاه الثالث: مقامات مالت نحو أدب المقالة بوجهها العام أو بصورتها القصصية، مثل (المقامة الشريفة في مزايا اللغة العربية) لمحمد أفندي شريف.

فلم يعد فن المقامة كما كان في السابق، فقد آل أمرها إلى التفكك والتحلل من عناصرها المختلفة التي ظلت تتكون منها.⁴⁴⁹

المطلب الثالث: فنون البديع والبيان في مقامات الألوسي

يستخدم كُتّاب المقامة في أساليبهم لغة متينة أنيقة أحياناً، وغريبة ثقيلة أحياناً أخرى. وهم لا يعنون بالموضوع، قدر عنايتهم بالألفاظ، ولا سيما حين يتناولون الألفاظ والأحاجي التي تدور حول اللغة ومفرداتها واستعمالاتها، والشعر ومعانيه، ولذلك غلبت الصناعة البديعية في فن المقامات على ما سواها، ولم تذهب مقامات الألوسي بعيداً في ذلك، حيث استخدم كاتبها الكثير من فنون البلاغة.⁴⁵⁰

والبلاغة لغة: "بلغ: رَجُلٌ بَلَغَ: بَلَغَ، وقد بَلَغَ بلاغةً. وَبَلَغَ الشَّيْءُ يَبْلُغُ بُلُوغاً، وَأَبْلَغْتُهُ إِبْلَاغاً. وَبَلَغْتُهُ تَبْلِيغاً".⁴⁵¹

"والبلاغة: الفصاحة. والبَلُّغُ والبَلِغُ: البَلِغُ مِنَ الرِّجَالِ. وَرَجُلٌ بَلِغٌ وَبَلَغٌ وَبَلَغٌ: حَسَنُ الْكَلَامِ فَصِيحُهُ يُبَلِّغُ بِعِبَارَةٍ لِسَانِهِ كُنْهَ مَا فِي قَلْبِهِ، وَالْجَمْعُ بُلُغَاءُ، وَقَدْ بَلَغَ، بِالضَّمِّ، بِلَاغَةً أَيْ صَارَ بَلِغاً".⁴⁵²

واصطلاحاً فقد عرفه الجرجاني⁴⁵³ رحمه الله بأنه مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته.⁴⁵⁴ ومقتضى الحال مختلف. فإن مقامات الكلام متفاوتة فمقام التنكير يباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التقيد، ومقام التقديم يباين مقام التأخير، ومقام القصر يباين مقام خلافه، ومقام الذكر يباين مقام الحذف، ومقام الفصل يباين مقام الوصل، وهكذا.⁴⁵⁵

وللبلاغة أهمية كبيرة بين علوم العربية، وموضعها -كما يقول الدكتور علي بولوت - من علوم العربية موضع الرأس من الإنسان، أي في الذروة، ولدراستها فوائد جمة: منها أنها تعلمنا التكلم بالقول

⁴⁴⁹ يوسف نور عوض، فن المقامات بين المشرق والمغرب (بيروت: دار القلم، 1979)، 335.

⁴⁵⁰ مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، 364.

⁴⁵¹ الفراهيدي، كتاب العين، 421/4.

⁴⁵² ابن منظور، لسان العرب، 420/8.

⁴⁵³ هو علي بن محمد بن علي الشريف الحسني الجرجاني المعروف بسيد مير شريف (740- 816 هـ / 1339- 1413 م)، لغوي، وفقه، وفيلسوف، وفلكي. ألف أكثر من خمسين كتاباً في علوم الهيئة والفلك والفلسفة والفقه ولعل أهم هذه الكتب: كتاب التعريفات وهو معجم يتضمن تحديد معاني المصطلحات المستخدمة في الفنون والعلوم حتى عصره.

⁴⁵⁴ علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء (بيروت: دار الكتب العلمية، 1983)، 46.

⁴⁵⁵ محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي (بيروت: دار الجيل، د.ت)، 42/1.

البليغ، كما أنها تمثل وسيلة لمعرفة إعجاز القرآن الكريم وكشف ما فيه من معاني وأحكام وأخبار وقضايا. ولا بد للمفسر الذي يتعرض لتفسير القرآن الكريم من معرفة قواعد البلاغة، كحال الفقيه الذي يستنبط الأحكام.⁴⁵⁶

وينقسم علم البلاغة الى ثلاثة أقسام:

الأول هو علم المعاني: هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي الذي يطابق مقتضى الحال.
والثاني علم البيان: وهو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه.
أما الثالث فهو علم البديع: وهو الذي يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ورعاية وضوح الدلالة، أي الخلو عن التعقيد المعنوي.⁴⁵⁷

وفي اللغة أَبْدَعَ الشَّيْءَ اخْتَرَعَهُ لَا عَلَى مِثَالٍ. قال تعالى عن نفسه ﴿بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: 117] أَي مُبْدِعُهُمَا.⁴⁵⁸

المقصد الأول: علم البديع في مقامات الألوسي

تنقسم المحسنات البديعية إلى قسمين:⁴⁵⁹

الأول: محسنات معنوية، وهي التي يكون التحسين بها راجعاً إلى المعنى بشكل أساسي، وإن كان بعضها قد يفيد تحسين اللفظ أيضاً، كالطباق بين يُسر ويُعلن في قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ [البقرة: 77].

الثاني: محسنات لفظية، وهي التي يكون التحسين بها راجعاً إلى اللفظ أصالة وإن حسنت المعنى أحياناً، كالجناس في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: 55]، فالساعة الأولى يوم القيامة والساعة الثانية واحدة الساعات الزمنية، وعلامتها أنه لو غير اللفظ الثاني إلى ما يرادفه زال ذلك المحسن، فلو قيل: ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا إلا قليلاً لضاع ذلك الحسن.⁴⁶⁰

أولاً: المحسنات اللفظية

1- السجع

⁴⁵⁶ علي بولوط، البلاغة الميسرة: المعاني- البيان- البديع (إسطنبول: جامعة مرمره، 2023)، 21-21.

⁴⁵⁷ الجرجاني، التعريفات، 156.

⁴⁵⁸ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ محمد (بيروت: المكتبة العصرية والدار النموذجية، 1999)، 30.

⁴⁵⁹ ابتدأ الباحث بذكر المحسنات البديعية لأنها أكثر ظهوراً في المقامات.

⁴⁶⁰ المراغي، علوم البلاغة، 354.

لغة: سَجَعَ الرجلُ إذا نطق بكلام له فواصل كقوافي الشعر من غير وزن. سَجَعَتِ الحمامةُ إذا رَدَّدَتْ صَوْتَهَا عَلَى طَرِيقَةٍ واحدة.⁴⁶¹

والسَّجْعُ في اصطلاح البلاغيين: هو تواطؤُ الفاصلتين من النَّثر على حرف واحد، كالقافية في الشعر. وأفضل السجع ما كانت فِقْرَاتُهُ متساوية.⁴⁶²

وفي القرآن الكريم لا يقال سجع، بل يقال فاصلة، وذلك احترازًا عن إطلاق ما أطلق على صوت الطيور على كلام الله عز وجل، واحترازًا عن تشبيه كلام الله تعالى بسجع الكهان الذي كان مشتهرًا في الجاهلية. والسجع يمنح الكلام إيقاعًا يجذب آذان السامع، ويلفته إلى تلقي الكلام ويزيد في تأثيره في نفسه.⁴⁶³

وكحال كل المقامات منذ عهدنا الأول، طغى على مقامات الألوسي السجع، فنجدته في أول مقامته الأولى يوصي أولاده فيقول: "بعض الناس ذياب، عليهم من جلود الشياه ثياب، فلا تخذعوا بتماوت تفنجت كالهلو كلمته، ولانت كالعلو كعريكته".⁴⁶⁴

وكذلك في قوله: "فقلْتُ ومنزلُ المثنائي، لقد صدقَ في الأول وكذب في الثاني، لكن كانَ الأولى به ألا يلوْتُ لسائنه بسببه، فقال قد كانَ ذاكَ فلا تنفع الندامة، ولا تُجدي بعد الوقوع الملامة، وليس بلازم الآن إلا تلافي ما كان، فأخذتُ قرطاسًا وكتبتُ فيه لرئيس الباب، وكنْتُ أمضي إليه لولا ما بي من فرط الاكتئاب".⁴⁶⁵

2- الجنس

لغة مصدر جانس الشيء أي شاكله واتحد معه في الجنس، واصطلاحًا تشابه الكلمتين في النطق مع اختلاف في المعنى.⁴⁶⁶

والجناس ينقسم إلى نوعين رئيسيين، تنفرع منهما أنواع أخرى.

الأول: جناس تام وهو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في أربعة أمور هي: نوع الحروف، وعددها، وهينتها، وترتيبها، كقوله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ. يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً

⁴⁶¹ الفراهيدي، كتاب العين، 215/1.

⁴⁶² عبد الرحمن بن حسن حبنكة، البلاغة العربية (دمشق: دار القلم والدار الشامية، 1996)، 503/2.

⁴⁶³ بولوط، البلاغة الميسرة، 213-216.

⁴⁶⁴ الألوسي، مقامات ابن الألوسي، 7.

⁴⁶⁵ الألوسي، مقامات ابن الألوسي، 123.

⁴⁶⁶ المراغي، علوم البلاغة، 254.

لأُولَى الْأَبْصَرِ [النور: 43-44]. فالأبصار الأولى، جمع بصر، أي ما تراه جارحة العين، أما الثانية، فهي جمع بصيرة، وهو مما تدركه القلوب والعقول.

ومن أمثله أيضاً قولنا: "يقيني بالله يقيني". فالأولى بمعنى إيماني، والثانية بمعنى يحميني.⁴⁶⁷

وهذا عين ما استخدمه الألوسي في مقامته الثاني بقوله: "وأساتُ ظني بمن كان خذلني، إذ كان يقيني أن سوء الظن بهم من سوء يقيني".⁴⁶⁸

والنوع الثاني هو الجنس غير التام، وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد أو أكثر من الأمور الأربعة السابقة.⁴⁶⁹

ومن أمثله الجنس غير التام قولهم: "لقاء الخليل شفاء العليل".⁴⁷⁰

ومن أمثلة الجنس التام التي استخدمها الألوسي في مقاماته قوله ضمن وصيته لأولاده: "ولا يكن لسوف النفاق بين نفاق".⁴⁷¹

فالنفاق الأول هو إظهار المرء خلاف ما يبطن، أو هو إخفاء الكفر في الباطن والتظاهر بالإيمان.⁴⁷²

أما الثانية فهي من نفقت البضاعة أي راجت ورُغِب فيها.⁴⁷³ ومنه ما يقال "للسوق درّة و غرار أي نفاق وكساد".⁴⁷⁴

ومن أمثلة الجنس أيضاً قوله في المقامة الثانية "منذ ان ميزت بين الجنوب والشمال، وعرفت اليمين من الشمال".⁴⁷⁵

ففي الأولى قصد بالشمال الاتجاه الجغرافي، وفي الثاني قصد في بها أي اليسار الذي هو عكس اليمين.

⁴⁶⁷ بولوط، البلاغة الميسرة، 207.

⁴⁶⁸ الألوسي، مقامات ابن الألوسي، 35.

⁴⁶⁹ محمد أحمد قاسم - محيي الدين ديب، علوم البلاغة «البدیع والبيان والمعاني» (طرابلس - لبنان: المؤسسة الحديثة للكتاب، 2003)، 116.

⁴⁷⁰ بولوط، البلاغة الميسرة، 207.

⁴⁷¹ الألوسي، مقامات ابن الألوسي، 10.

⁴⁷² الأزهرى، تهذيب اللغة، 111/10.

⁴⁷³ عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، 2260/3.

⁴⁷⁴ الزمخشري، أساس البلاغة، 968/1.

⁴⁷⁵ الألوسي، مقامات ابن الألوسي، 24.

كما يظهر جميل الجناس في الاقتباس الذي استخدمه في ذات المقامة بقوله: " ورأيت هاتيك المائدة،
مثل عروس مائدة".⁴⁷⁶

فالمائدة الأولى هي مائدة الطعام التي أعدت لضيافته، ومنها قوله تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾
[المائدة: 114]. وَسُمِّيَتْ مَائِدَةً لِأَنَّهَا مِيدَ بِهَا صَاحِبُهَا أَيْ أُعْطِيَهَا وَتُفَضِّلُ عَلَيْهِ بِهَا.⁴⁷⁷

والمائدة الثانية، بمعنى تميد أي تتمايل، والمِيد: مصدر ماد يُميد مِيدًا، إذا تمايل وغصن مائد
ومِيَاد.⁴⁷⁸

وبنفس الكيفية يستخدم أبو الثناء الجناس في المقامة الثالثة فنراه يتحدث عن الطاعون الذي ضرب
بغداد على زمانه وما خلفه من فواجع وأحزن فيقول: جرت حادثة الطاعون، فأجرت من العيون العيون،
وعظم الهم وربا، وبلغ السيل الزبى".⁴⁷⁹

وواضح أنه يقصد في العيون الأولى الجارحة التي يرى بها الإنسان وفي الثانية، عين الماء، فشبه
الأولى بالثانية لكثرة ما نزل منها من دموع. فالعين في اللغة لها العديد منها المعاني، منها: العينُ النَّاظرة
لكلّ ذي بصر، وعَيْنُ الماء.⁴⁸⁰

3- الاقتباس

في اللغة: "الْقَبْسُ: شُعْلَةٌ مِنَ النَّارِ يَقْتَبِسُهَا أَيُّ: يَأْخُذُهَا مِنْ مُعْظَمِ النَّارِ. قَالَ: وَقَبَسْتُ الْعِلْمَ وَاقْتَبَسْتُهُ،
وَأَقْبَسْتُهُ فَلَانًا وَأَقْبَسْتُ فَلَانًا نَارًا أَوْ خَبْرًا".⁴⁸¹

واصطلاحًا: الاقتباس: إدخال المؤلف كلامًا منسوبًا للغير في نصّه، ويكون ذلك إمّا للاستدلال أو
للتحلية. والاقتباس في البديع، أن يتضمّن الكلام نثرًا أو شعرًا شيئًا من القرآن الكريم أو الحديث الشريف،
لا على أنّه منه، ودون أن ينسبه عليه، أو ينسبه، أي من غير أن يقول قال الله تعالى، أو قال صلى الله عليه
وسلم. والهدف من ذلك هو لتزيين الكلام وتجميله وتفخيمه.⁴⁸²

وتوسع بعضهم في الاقتباس، فعرفه بأنه تضمين المتكلم كلامه من شعر أو نثر كلامًا لغيره بلفظه
أو بمعناه. وعند هؤلاء يكون الاقتباس من القرآن الكريم، أو من أقوال المصطفى صلى الله عليه وسلم، أو

⁴⁷⁶ الألوسي، مقامات ابن الألوسي، 28.

⁴⁷⁷ الأزهرى، تهذيب اللغة، 154/14.

⁴⁷⁸ ابن دريد، جمهرة اللغة، 685/2.

⁴⁷⁹ الألوسي، مقامات ابن الألوسي، 43.

⁴⁸⁰ الفراهيدي، كتاب العين، 254/2.

⁴⁸¹ الأزهرى، تهذيب اللغة، 318/8.

⁴⁸² قاسم - ديب، علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، 127.

من الأمثال السائرة، أو من الحُكم المشهورة، أو من أقوال كبار البلغاء والشعراء المتداولة، دون أن يعزو المقتبس القول إلى قائله.⁴⁸³

وفائدة الاقتباس هي تأكيد الكلام ورفع شأنه، لأنه يستعير قوته من قوة القرآن الكريم أو الحديث الشريف، كما أنه يدل على ثقافة الأديب ومهاراته في إحكامه الصلة بين كلامه والكلام المقتبس، كقول عبد المؤمن الأصفهاني: "لا تغرنك من الظلمة كثرة الجيوش والأنصار، إنما نؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار".⁴⁸⁴

فاقتبس من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: 42].

وقد اقتبس أبو الثناء في مقاماته من آي القرآن الكريم، كما في وصفه لمائدة أعدت لضيافته حيث يقول: "ورأيت هاتيك المائدة مثل عروس مائدة لا عيب فيها سوى اشتغالها على أصناف اطعمة تلذها الأعين، وتميل إليها الأنفس وتشتيتها".⁴⁸⁵

وقد اقتبس هذا الوصف من كلام الله عز وجل في سورة الزخرف واصفًا الجنة وما أعد فيها لعباده من نعيم: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: 71].

وفي مقامه الثانية، نجده يقتبس من آي القرآن الكريم ليصف حاله مع خصومه وصفا بليغ فيقول: "فشملت من أنفاس بعض القوم جيفة، فأوجست في نفسي لا رضي الله عنهم خيفة، فلم أرد بدءًا من التفويض لله تعالى والرضى، وتطمين القلب على ما يجري من سحائب القضا".⁴⁸⁶

وهنا اقتبس من قوله تعالى في سورة طه متحدثًا عن كليمة موسى عليه السلام في نزاله مع سحرة فرعون: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ [طه: 67-68].

كما اقتبس من قوله تعالى على لسان مؤمن آل فرعون: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر: 44].

⁴⁸³ حبكة، البلاغة العربية، 536/2.

⁴⁸⁴ بولوط، البلاغة الميسرة، 222.

⁴⁸⁵ الألوسي، مقامات ابن الألوسي، 28.

⁴⁸⁶ الألوسي، مقامات ابن الألوسي، 35.

ومن الاقتباسات الجميلة من آي القرآن الكريم قوله في ختام المقامة الثالثة: "فاعرف أيها الأديب قيمة أدبك، فعن قريب إن شاء الله تعالى يكون سبباً لحصول أربك، وأمط عن وجه قلبك همًا وغمًا، ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114].⁴⁸⁷

وكذلك كان له اقتباس من الحديث النبوي الشريف، نذكر منه قوله: "رأيت الليلة في نومي، الصالحة المرحومة أمي، رأيته قد ضمتني إلى صدرها، ورأسي بين سحرها ونحرها".⁴⁸⁸

وكلامه هنا مقتبس من الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: "إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَتَعَذَّرُ فِي مَرَضِهِ: (أَيَّنَ أَنَا الْيَوْمَ، أَيَّنَ أَنَا غَدًا). اسْتَبْطَاءَ لِيَوْمٍ عَائِشَةَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي، قَبَضَهُ اللَّهُ بَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي".⁴⁸⁹

والسَّحَرُ والسُّحْر: الرئة، وما تَعَلَّقَ بالخُلُقُوم،⁴⁹⁰ أما النحر فهو مَجَالُ القلادة من الصَّدْر وَمِنْهُ اشتقاق نَحَرَتِ البَعِيرُ لِأَنَّكَ تَطْعَنُهُ فِي نَحْرِهِ".⁴⁹¹

أما اقتباساته الشعرية فهي أكثر من أن نحصيها في بحثنا هذا، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، اقتباسه هذين البيتين من شعر الإمام الشافعي:⁴⁹²

أَمْطِرِي لَوْلُؤًا جِبَالَ سَرَنْدِيبٍ وَفَيْضِي آبَارَ تَكْرُورَ تَبْرَا
أَنَا إِنْ عَشْتُ لَسْتُ أَعْدَمُ قُوًّا وَإِذَا مُتُّ لَسْتُ أَعْدَمُ قَبْرَا

ومن جميل اقتباساته إبراده للمشهور من أبيات الشعر في طيات نثره على نحو قوله: "وقال هذا أمر بُيِّتَ بليل وما أرى عليَّ هذا المفتي العليّ، إلا كجلمودٍ صخرٍ حطه السيل من علي".⁴⁹³

وهو شطر من بيت لمعلقة امرئ القيس يقول في وصف فرسه:⁴⁹⁴

مَكْرٍ، مَفْرٍ، مُقْبِلٍ، مُذْبِرٍ مَعَا كَجُلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلٍ

⁴⁸⁷ الألويسي، مقامات ابن الألويسي، 48-49.

⁴⁸⁸ الألويسي، مقامات ابن الألويسي، 94-95.

⁴⁸⁹ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، تحقيق د. مصطفى ديب البغا (دمشق: دار ابن كثير ودار اليمامة، 1993)، 468/1 رقم الحديث: 1323. وأبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري مسلم، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1955)، 1893/4 رقم الحديث: 2443.

⁴⁹⁰ الفراهيدي، كتاب العين، 136/3.

⁴⁹¹ ابن دريد، جمهرة اللغة، 252/1.

⁴⁹² محمد بن إدريس الشافعي، الجواهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس، تحقيق محمد إبراهيم سليم (القاهرة: مكتبة ابن سينا، د.ت)، 66.

⁴⁹³ الألويسي، مقامات ابن الألويسي، 48.

⁴⁹⁴ امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس، تحقيق عبد الرحمن المصطاوي (بيروت: دار المعرفة، 2004)، 12.

ثانيًا: المحسنات المعنوية

1- الطباق

وهو الجمع بين معنيين متضادين في جملة واحدة مثل: أضحك وأبكى.⁴⁹⁵ وهو على قسمين:

الأول: طباق الإيجاب: وهو ما لم يختلف فيه الضدان إيجابًا وسلبًا نحو: خير المال عين ساهرة لعين نائمة. فالقول مشتمل على الشيء وضده (ساهرة ونائمة).

الثاني: طباق السلب: وهو الجمع بين فعلي مصدر واحد مثبت ومنفي، نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: 9]. فالفعل ﴿يَعْلَمُونَ﴾ أثبت في الطرف الأول من الطباق ونفي ب (لا) في الطرف الثاني.

أو يكون طرفاه أمرًا ونهيًا كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَآخِشُوا﴾ [المائدة: 44]، فالطرف الأول نهي ﴿لا تخشوا﴾، والطرف الثاني أمر ﴿آخشوا﴾.⁴⁹⁶

ومن أمثلة الطباق في مقامات ابن الألويسي قوله موصيًا أولاده في المقامة الأولى: إذا أحببتم فلا تُفَرِّطُوا، وإذا غضبتم فلا تُفَرِّطُوا، فإنه كان يُقال: أحبب حببيك هونًا ما، عسى أن يكون بغضك يومًا ما، وأبغض بغضك هونًا ما، عسى أن يكون حببيك يومًا ما".⁴⁹⁷

ف نجد هنا أكثر من طباق، الأول بين (تُفَرِّطُوا) و (تُفَرِّطُوا) أي الإفراط والتفريط. والفَرَطُ: الأمر الذي يُفَرِّط فيه صاحبه، وتقول: كلَّ أمرٍ من فلانٍ فَرَط. وفَرَط فلانٌ في جنب الله، أي: ضَيَّعَ حَظَّهُ من عند الله في اتِّباع دينه ورضوانه. وكلَّ شيءٍ جاوز قدره فهو مُفَرِّطٌ.⁴⁹⁸

كما نجد الطباق بين فعلي أحبب وأبغض، وصفتي حببيك وبغضك.

وكذلك قوله في مقامته الخامسة لجليسه: "فأحسن الله تعالى لك الخاتمة، ولروح أمك الفاتحة".⁴⁹⁹ والفاتحة عكس الخاتمة.

2- المقابلة

وهي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ثم يؤتى بما يقابل ذلك على سبيل الترتيب.

495 عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، 1351/2.
496 قاسم - ديب، علوم البلاغة «البدیع والبيان والمعاني»، 68.
497 الألويسي، مقامات ابن الألويسي، 9.
498 الفراهيدي، كتاب العين، 420/7.
499 الألويسي، مقامات ابن الألويسي، 96.

فمقابلة اثنين باثنين كقول النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه. ولا ينزع من شيء إلا شانه".⁵⁰⁰

ومقابلة ثلاثة بثلاثة كقوله تعالى: ﴿وَيُجِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾ [الأعراف: 157].

ومقابلة أربعة بأربعة، نحو: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْتَفَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: 5-7]، وهكذا.⁵⁰¹

ومثاله في مقامات ابن الألويسي في قوله في المقامة الأولى: "إذا أحببتهم فلا تفرطوا، وإذا أبغضتم فلا تفرطوا".⁵⁰²

فقد قابل المحبة بالبغض، والإفراط بالتفريط.

وكذلك في قوله: "ومتى افتقرتم ضحكت عليكم الأعداء، وبكت رحمة بكم الأصدقاء".⁵⁰³

وهنا قابل الضحك بالبكاء، والأعداء بالأصدقاء.

ومثالها أيضاً قوله في المقامة الثالثة: "أنا أبشرك بما يسرك، من إقبال ما ينفعك، وإدبار ما يضررك".⁵⁰⁴

وهنا قابل الإقبال بالإدبار، والنفع بالمضرة.

3- حسن التعليل

هو أن يدعي كاتب أو قائل لشيء علة مناسبة غير العلة الحقيقية على جهة الاستطراف، وذلك بهدف إيهام السامع أن تحقيقه وتقريره من قبل، أن الشيء معللاً أكد في النفس من إثباته مجرداً عن التعليل. ومثاله قول أبي الطيب المتنبي:

مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَكِنْ يَنْتَقِي إِخْلَافَ مَا تَرَجَوُ الدُّنَابُ

فعلل الشاعر هنا قتل الأعداء بإخلاف رجاء الدناب وهو تناول لحوم القتلى. وقد كانت علته الحقيقية دفع مضررتهم وطلب هلاكهم، وقد علل ذلك تعليلاً حسناً بأن جمع وصف ممدوحه بالوفاء إضافة إلى الشجاعة.⁵⁰⁵

⁵⁰⁰ مسلم، صحيح مسلم، 2004/4 رقم الحديث: 2594.

⁵⁰¹ المراغي، علوم البلاغة، 322.

⁵⁰² الألويسي، مقامات ابن الألويسي، 9.

⁵⁰³ الألويسي، مقامات ابن الألويسي، 10.

⁵⁰⁴ الألويسي، مقامات ابن الألويسي، 41.

⁵⁰⁵ بولوط، البلاغة الميسرة، 189.

ونحو قول الشاعر:

مَا زُلْزِلْتُ مِصْرُ مَنْ كَيْدٍ يُرَادُ بِهَا وَإِنَّمَا رَقَصَتْ مِنْ عَدْلِهِ طَرْبًا

فالشاعر هنا يتزلف للحاكم بأن علل زلزال مصر بفرح الأرض بعدل ذلك الحاكم.⁵⁰⁶

ومثال هذا الفن البلاغي في مقامات ابن الألويسي قوله: في بيتين من البحر الخفيف يرجح أنهما من نظمه، حيث لم يقف الباحث على قائل لها:⁵⁰⁷

لَيْسَ الْخُمُوءُ بِعَارٍ عَلَى امْرِئٍ ذِي جَلَالٍ
فَلَيْلَةُ الْقَدَرِ تَخْفِي وَتِلْكَ خَيْرُ اللَّيَالِي

فهو يعلل ما قاله في البيت الأول من أن الشهرة ليست بالضرورة دليل على نجابة الإنسان وعلو قدره، بما ذكره في البيت الثاني عن ليلة القدر وعلو منزلتها على الرغم من عدم معرفة وقتها على وجه التحديد، وذلك تعليل جميل.

4- تأكيد الفكرة بما يشبه تقرير ضدها

وهذا الضرب معروف بتأكيد المدح بما يشبه الذم، وتأكيد الذم بما يشبه المدح.

"وهو أن يأتي المتكلم بكلام يتضمن مدحاً، أو ذمّاً، أو إثبات صفة أو حدّث، أو نفي صفة، أو حدث، ويُنبَعُهُ بكلام يبدؤُهُ بما يُشْعِرُ باستثناء أو استدراكٍ على كلامه السابق فإذا به يأتي بما يتضمن تأكيد كلامه السابق".⁵⁰⁸

ومن أمثلة المدح بما يشبه الذم، قوله عز وجل: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا. إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة: 25-26].

إنّ الاستثناء بعبارة ﴿إِلَّا﴾ يُشْعِرُ بآن نفي اللغو والتأثيم السابق سيأتي إثبات بعض ما هو ضده، فإذا بالمستثنى يؤكد الفكرة السابقة، وهي أنهم لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً، لأن عبارات السلام التي يسمعونها أهل الجنة ليست من اللغو ولا من التأثيم، الذي هو الشتيمة بارتكاب الإثم، بل هي تكريم ودعاء وتحيّة.⁵⁰⁹

وقول النابعة الذبياني:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُوءٌ مِنْ قَزَاعِ الْكَتَائِبِ

⁵⁰⁶ قاسم - ديب، علوم البلاغة «البدیع والبيان والمعاني»، 101.

⁵⁰⁷ الألويسي، مقامات ابن الألويسي، 40.

⁵⁰⁸ حبنكة، البلاغة العربية، 392/2.

⁵⁰⁹ حبنكة، البلاغة العربية، 393/2.

"قُلُول: جَمْعُ "قَلَّ" وهو ثَلَمٌ يُصِيبُ حَدَّ السَّيْفِ من الضرب الشَّدِيدِ به. مِنْ قَرَاعِ الْكُتَائِبِ: الْقِرَاعُ: التقاتل ضرباً بالسَّيُوفِ والرماح، والكتائب: الجيوش المحاربة إِنَّ تَثَلُّمَ سَيُوفِهِمْ من قَرَاعِ الْكُتَائِبِ يَتَضَمَّنُ مَدْحًا لَهُمْ بالشجاعة والإقدام، فهو ليس من العيوب، بل هو من المناقب، فذكره على أَنَّهُ هو العيب الوحيد لهم يُوَكِّدُ الثناء عليهم أبلغ تأكيد".⁵¹⁰

أما الذم بما يشبه المدح فهو كقول أحدهم: زيد لا خير فيه إِلَّا أَنَّهُ يَضُرُّ بَمَنْ أَسَدَى إِلَيْهِ مَعْرُوفًا. ومثال تأكيد الفكرة بما يشبه تقرير ضدها في مقامات ابن الألويسي قوله يصف وليمة أعدت له: "وَرَأَيْتُ هَاتِيكَ الْمَائِدَةَ مِثْلَ عُرُوسٍ مَائِدَةٍ لَا عَيْبَ فِيهَا سِوَى اشْتِمَالِهَا عَلَى أَصْنَافِ أَطْعَمَةٍ تَلْذُهَا الْأَعْيُنُ، وَتَمِيلُ إِلَيْهَا الْأَنْفُسُ وَتَشْتِيهَا، وَلَمْ يَبْقَ فِي الْبَلَدِ عَالَمٌ إِلَّا أَكَلَ مِنْهَا وَرَوَى أَحَادِيثَ الشِّفَا عَنْهَا".⁵¹¹

فهو قد وصف المائدة بخلوها من العيب، ثم بدا وكأنه سيستدرك على ذلك حين جاء بـ"سوى" لكنها زاد من مدحها بوصفها أن اشتملت على ما لذ وطاب من أصناف الأطعمة، فقد أكد المدح بما يشبه الذم. ثم يوالي وصف تلك المائدة مستخدمًا ذات الأسلوب بقوله: " وَإِنَّهَا بَيْنَهُمْ كَبَدَّرَ السَّمَاءَ، إِلَّا أَنْ هَالَتْهَا مِنْ رَقِيقٍ غَمَائِمَ عَمَائِمَ أَحْرَارِ الْعُلَمَاءِ".⁵¹²

فبعد وصفها بأنها شبه البدر في جمالها وبهائها، جاء بـ "إلا" الاستثنائية، ليوهم القارئ أن ثمة عيب سيذكره، ليفاجئه بأنه يزيد من مدحها بوصفها هالته، -هي ما يحيط بالبدر- تشبه عمام العلماء الأحرار. فياله من وصف وتشريف.

المقصد الثاني: علم البيان في مقامات الألويسي

الْبَيَانُ لُغَةً: "بَيَّنَ بِهِ الشَّيْءُ مِنَ الدَّلَالَةِ وَغَيْرِهَا. وَبَانَ الشَّيْءُ بَيَانًا: اتَّضَحَ، فَهُوَ بَيِّنٌ، وَالْجَمْعُ أَبْيَانٌ، مِثْلُ هَيِّنٍ وَأَهْيَانٍ، وَكَذَلِكَ أَبَانَ الشَّيْءُ فَهُوَ مُبَيِّنٌ".⁵¹³

وعرفه الجرجاني في التعريفات بأنه "عبارة عن إظهار المتكلم المراد للسامع".⁵¹⁴

أما علم البيان من حيث كونه فرع من علوم البلاغة فهو "علم يبحث في كَيْفِيَّاتِ تَأْدِيَةِ الْمَعْنَى الْوَاحِدِ بِطُرُقٍ تَخْتَلِفُ فِي وَضُوحِ دَلَالَاتِهَا، وَتَخْتَلِفُ فِي صُورِهَا وَأَشْكَالِهَا وَمَا تَتَصَفَّى بِهِ مِنْ إِبْدَاعٍ وَجَمَالٍ، أَوْ قُبْحٍ وَابْتِذَالٍ".⁵¹⁵

⁵¹⁰ حبكة، البلاغة العربية، 393/2-394.

⁵¹¹ الألويسي، مقامات ابن الألويسي، 28.

⁵¹² الألويسي، مقامات ابن الألويسي، 28.

⁵¹³ ابن منظور، لسان العرب، 67/13.

⁵¹⁴ الجرجاني، التعريفات، 47.

⁵¹⁵ حبكة، البلاغة العربية، 126/2.

وقد انحصرت أبواب علم البيان في الأبواب الثلاثة الآتية:

(أ) التشبيه

(ب) المجاز

(ج) الكناية

وسيتناولها الباحث على الإجمال مع الإشارة إلى ما ورد منها في مقامات الألوسي.

(أ) التشبيه:

لغة: هو التمثيل، يقال شَبَّهْتُ هذا بذاك، مثَّلْتَه به. والتشبيه اصطلاحاً: بيان أن شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بإحدى أدوات التشبيه المذكورة أو المقدرة المفهومة من سياق الكلام. والتعريف الجامع هو: صورة تقوم على تمثيل شيء بشيء آخر لاشتراكهما في صفة أو أكثر. وهذا يعني أن المتشابهين ليسا متطابقين في كل شيء.⁵¹⁶

وأركان التشبيه هي: (المشبه) و(المشبه به)، ويسميان: طرفي التشبيه، و(وجه الشبه)، وهو المعنى المشترك بينهما، و(أداة التشبيه)، وهذه الأخيرة هي كل لفظ يدل على معنى التشبيه، وهي إما أن تكون حرفاً (الكاف وكان) وإما أن تكون فعلاً (يمثل، يشابه)، وإما أن تكون اسماً (شبه، مثل).⁵¹⁷

ومن أمثلة التشبيه التي استخدمها الألوسي في مقاماته، قوله في وصيته لأبنائه: "يا بابني إياكم وكثرة المزاح فإنه منه ما هو كطعن الرماح".⁵¹⁸

وهذا تشبيه مرسل مجمل، فقد ذكر هنا المشبه وهو "كثرة المزاح"، والمشبه به "طعن الرماح"، باستخدام أداة التشبيه (الكاف)، دون أن يذكر وجه الشبه، وهو هنا الأذى، فالمزاح الكثير قد يجرح القلب والمشاعر، كما تجرح الرماح الجسد وتفتك به.

ونجده أيضاً يستخدم التشبيه المفرد المفصل بذكر المشبه والمشبه به وأداة التشبيه ووجه الشبه، وذلك في مقامته الأخيرة حيث يقول: "إن العشق كالخمر، إنَّه أكبر من نفعه".⁵¹⁹ فشبه العشق بالخمر باستخدام الكاف أيضاً، ووجه الشبه اقتبسه من قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: 219].

⁵¹⁶ قاسم - ديب، علوم البلاغة «البدیع والبيان والمعاني»، 143.

⁵¹⁷ حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناحي، البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبدیع (القاهرة:

المكتبة الأزهرية للتراث، 2006)، 18.

⁵¹⁸ الألوسي، مقامات ابن الألوسي، 10.

⁵¹⁹ الألوسي، مقامات ابن الألوسي، 81.

أما في قوله: "واعلموا أن مقالة السوء تسرع إلى أهلها إسراع السيل ينصب في الحدود".⁵²⁰ فهو تشبيه بليغ حذف منه أداة التشبيه ووجه الشبه.

(ب) المجاز:

"المجاز مفعول واشتقاقه من الجواز وهو التعدي من قولهم: جرت موضع كذا، إذا تعديته، سمي به المجاز الآتي بيانه؛ لأنهم جازوا به موضعه الأصلي، أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً".⁵²¹

وهو على قسمين: مجاز عقلي: وهو إسناد الفعل إلى غير صاحبه لعلاقة مع قرينة تمنع من أن يكون الإسناد حقيقياً، مثل: أنبت الربيع العشب. فإسناد الإنبات إلى الربيع هنا مجاز عقلي لأن المنبت الحقيقي هو الله تعالى. والعلاقات في المجاز العقلي كثيرة أهمها: السببية، الزمانية، المكانية، والمصدرية.⁵²²

أما القسم الثاني فهو المجاز اللغوي وهو اللفظ المستعمل في غير معناه الأصلي، لعلاقة مع قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي. وينقسم إلى مجاز مرسل واستعارة؛ فإذا كانت العلاقة في المجاز اللغوي "المشابهة" فهو استعارة، وإذا كانت غيرها فهو مجاز مرسل.⁵²³

والمجاز المرسل: هو استعمال الكلمة في غير معناها الحقيقي لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.⁵²⁴

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ [البقرة: 19]، هو من المجاز المرسل بإطلاق الكل وإرادة البعض، فحين نسمع هذا القول، ويسرع إلى تصوّرنا أنّ الأصابع كلّها لا تدخل عادة في الأذن، إنّما الذي يدخل منها رأس الأنملة فقط، نعلم أنّ المراد أنّهم يجعلون رؤوس أناملهم في آذانهم، ولكنّ لمّسنا ذلك من وراء فاصل، وهذا هو المجاز المرسل.⁵²⁵

وقد تحدّث البلاغيون بإسهاب عن العلاقة غير المشابهة في المجاز المرسل فنذكروا أكثر من عشرين علاقة، وقد اكتفى الخطيب القزويني بذكر تسع منها. تتمحور هذه العلاقة حول أربعة محاور ينضوي تحت كلّ منها عدد من العلاقات، وهي: العلاقة الغائيّة والعلاقة الكميّة والعلاقة المكانية والعلاقة الزمانية.⁵²⁶

⁵²⁰ الألوسي، مقامات ابن الألوسي، 12.

⁵²¹ المراغي، علوم البلاغة، 248.

⁵²² بولوط، البلاغة الميسرة، 141-142.

⁵²³ بولوط، البلاغة الميسرة، 143.

⁵²⁴ المراغي، علوم البلاغة، 249.

⁵²⁵ حبنكة، البلاغة العربية، 44/1.

⁵²⁶ القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 217/1-218.

ومثال المجاز المرسل في مقامات الألوسي قوله: "قد رأيتُ أهل الزوراء لا يجتمعون على زود حق حتى ولو أضحي كشمس الضحى في الظهور".⁵²⁷ وهذا مجاز مرسل لعلاقة الكلية حيث ذكر الكل، (أهل الزوراء) وهي بغداد، وأراد الجزء.

أما الاستعارة، ففي اللغة: هي طلب العارية، والعارية هي ما تداولوه بينهم، فهي مأخوذة من قولهم: استعرت الشيء استعارة. فإذا ما أخذت لفظاً موضوعاً في اللغة لشيء، ووضعته لشيء آخر، كنت قد استعرت ذلك اللفظ، غير أن الاستعارة لا تأتي إلا بعد المبالغة في التشبيه ثم تناسيه.⁵²⁸

فالاستعارة إذن: هي اللفظ المستعمل في غير المعنى الذي وضع له لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي.

ومثال ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: 11]، فقد شبه كثرة الماء كثرة جاوزت الحد (بالطغيان)، بجامع تجاوز الحد في كل منهما، ثم استعير الطغيان للكثرة، واشتق منه (طغى) بمعنى كثر حتى جاوز الحد استعارة تبعية.⁵²⁹

وتقسم الاستعارة حيث لفظها إلى:

أ- استعارة أصلية: هي ما كان اللفظ المستعار فيها اسم جنس غير مشتق سواء أكان اسم عين "كالأسد" أو اسم معنى "كالقتل". فاستعارة اسم العين، كقولك: "رأيت أسداً على صهوة جواده". واستعارة اسم المعنى، كقولك: "ألمني قتل زيد أخاه" تقصد إذلاله إياه.⁵³⁰

ومن أمثلة استخدام الألوسي لهذا النوع من الاستعارة، وصفه في مقامته الثانية العلامة عبد الغني جميل، بقوله: "فقمْتُ وسرْتُ إليه، ولم أعزَّج على أحد حتى صرت بين يديه، فرأيتُ عنده أسد الغابة، والشهم الذي ولع سهمه بغرض الإصابة، من تجسد من الغيرة، ولم تعرف النخوة الآن غيره، مولاي عبد الغني أفندي جميل زاده، منَّ الله تعالى عليه بجميل إحسانه وزاده".⁵³¹ وهذه استعارة تصريحية أصلية باستخدامه لفظ الأسد لوصف العالم الجليل.

ب- استعارة تبعية: هي أن تكون الكلمة التي فيها الاستعارة فعلاً أو كلمة مشتقة، كاسم الفاعل والمفعول والصفة المشبهة ... الخ، كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَسْتَرْوُا الضَّلَلَةَ بِالْهَدْيِ﴾ [البقرة: 16].

⁵²⁷ الألوسي، مقامات ابن الألوسي، 13.

⁵²⁸ الجناحي، البلاغة الصافية، 42.

⁵²⁹ الجناحي، البلاغة الصافية، 43.

⁵³⁰ الجناحي، البلاغة الصافية، 45.

⁵³¹ الألوسي، مقامات ابن الألوسي، 36.

والمقصود اختاروا الضلالة على الهدى، لأن الضلالة لا تشتري، فشُبّه الاختيار بالاشتراء، والاستعارة بفعل يشتري.⁵³²

أما باعتبار ذكر أحد طرفي التشبيه فتقسم الاستعارة إلى:

(1) استعارة تصريحية: وهو ما صُرح فيها بلفظ المُشَبَّه به (المستعار منه) وحذف لفظ المُشَبَّه (المستعار له) مع قرينة تدل على المقصود، كقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 103]. فقد شبه الإسلام أو القرآن الذي يربط القلوب، بالحبل الذي يربط الأشياء، أو يُتمسك به للنجاة.⁵³³

(2) استعارة مكنية، وهي ما ذُكر فيه المُشَبَّه فقط، وحُذف المُشَبَّه به، وأُبقى على شيء من لوازمه وصفاته، مثل قوله عز من قائل: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: 24]. فقد شبه التواضع بطائر، ثم حذف المُشَبَّه به أي الطائر، وأُبقى على شيء من لوازمه وهو الجناح، وقرينتها المانعة من إرادة المعنى الحقيقي هو إسناد الجناح إلى لفظ الذل.⁵³⁴ وكقول أبي ذؤيب الهذلي:⁵³⁵

وَإِذَا الْمَنِيَةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتُ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

فقد شبه المنية بحيوان مفترس فحذف المشبه به أو المستعار منه وهو الحيوان الوحش المفترس، وأُبقى على شيء من لوازمه وهي الأظفار، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي هو إسناد الأظفار إلى المنية أي الموت.

ومن أمثلة الاستعارة في مقامات الألوسي قوله في المقامة الثانية: "فأجبت له لأمر الشيخ بما اقترح، فكاد يطير إلى النسر الطائر بأجنحة الفرح".⁵³⁶ فنسب إلى الفرح شيئاً من لوازم الطير وهو الجناح، وهو القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقية في هذه الاستعارة.

وقوله: "إن العراق قد خلقت ثيابه، بل أنتن لحمه وشحمه وإهابه".⁵³⁷ حيث نجد الألوسي هنا قد استعار من خصائص الإنسان وهي الملابس التي يرتديها الناس، وكذلك الشحم واللحم والجلد، وألبسها على البلد (العراق)، ليدل على ما حل به من مصائب، وما خلفت عليه تلك الكوارث من آثار.

ومن الاستعارات الجميلة التي استخدمها الألوسي في مقاماته متحدثاً عن المولى عز وجل، وقصور العقل البشري عن معرفة كنهه سبحانه وتعالى فيقول: "وأنتى لعناكب الأفهام والأوهام، أن تعرج بلعابها

⁵³² بولوط، البلاغة الميسرة، 157.

⁵³³ بولوط، البلاغة الميسرة، 152.

⁵³⁴ بولوط، البلاغة الميسرة، 154.

⁵³⁵ الشعراء الهذليين، ديوان الهذليين، تحقيق محمد محمود الشنقيطي (القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر،

1965)، 3/1.

⁵³⁶ الألوسي، مقامات ابن الألوسي، 29.

⁵³⁷ الألوسي، مقامات ابن الألوسي، 13.

إلى حمى ذي الجلال والإكرام، هيهات هيهات، ذاك حمى منيع جليل، حمى حتى عن جبريل وإسرافيل".⁵³⁸
فشبه عقل الإنسان القاصر عن الإحاطة بكنه مواله جل وعلا بخيوط العنكبوت الواهية.

وكذلك في المقامة الثانية: " فوصل إلى قلبه فأثبت ما بذرت يد الحسد في قيعان بواديه، وأبرق وأرعد، وهاج وأزبد".⁵³⁹

فجملة أبرق وأرعد وهاج وأزبد، كناية عن الغضب وأنزال الوعيد، مستمداً ذلك من حال السماء إذا أرادت أن تمطر بغزارة، يُقال: "رَعَدَتِ السَّمَاءُ وبرقَتْ، ورعد له وبرق له إذا أوعده".⁵⁴⁰ "وإذا اشتد موعد بالوعيد يقال: أبرق وأرعد".⁵⁴¹ وحال البحر إذا هاج وماج، "هاج هياجاً، واهتاج اهتياجاً، إذا ثار وهذر".⁵⁴²

وكذا نجده في مطلع مقامته الخامسة قوله: "ويتصافح في أفق خدي الليل والنهار".⁵⁴³
ففي هذه الجملة نجده يكتفي بداية خروج شعر الذقن (الliche) بلونها الأسود، فكانت أشبه بالليل، الذي يتصافح أي يجاور النهار، والمقصود به بشرة وجهه البيضاء.
ومن أجمل الاستعارات التي استخدمها تعبيره عن غروب الشمس، مشبهاً إياها بحسنا لبست حجابها ونقابها، فيقول: "فقبل أن تتوارى غادة الشمس بالحجاب، أو تنقب من أبخرة العين الحمئة بنقاب".⁵⁴⁴

وواضح أن عبارة العين الحمئة اقتبسها من قوله تعالى في سورة الكهف متحدثاً عن ذي القرنين: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَرْبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: 86].

أما الاستعارة التمثيلية فهي تركيب استخدم في غير معناه الأصلي، لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، وهي تشبيه موقف بموقف، ولكن يُحذف المشبه والأداة ووجه الشبه، ويبقى المشبه به فقط، وهي كثيرة الورد في الأمثال السائرة مثل: "يجعل الحبة قبة"، وتشبيه لمن جعل من شيء صغير تافه قضية كبيرة.⁵⁴⁵

538 الألويسي، مقامات ابن الألويسي، 35.

539 الألويسي، مقامات ابن الألويسي، 32.

540 الأزهرى، تهذيب اللغة، 123/2.

541 الفراهيدي، كتاب العين، 156/5.

542 الأزهرى، تهذيب اللغة، 185/6.

543 الألويسي، مقامات ابن الألويسي، 56.

544 الألويسي، مقامات ابن الألويسي، 101.

545 بولوط، البلاغة الميسرة، 158.

ومثال الاستعارة التمثيلية في مقامات الألوسي قوله: يكفي من القلادة ما أحاط بالجيد".⁵⁴⁶

وأصل هذا مثل "حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق" يضرب في وجوب الإكتفاء من الشيء بما تتم به الحاجة.⁵⁴⁷

ثالثاً: الكناية

الكناية لغة أن تتكلم بشيء وتريد غيره، أما في الاصطلاح فتطلق على اللفظ المستعمل فيما وضع له، لكن لا يكون مقصوداً بالذات، بل لينتقل منه إلى لازمه المقصود لما بينها من العلاقة واللزوم العرفي.⁵⁴⁸

مثل الكناية عن كثرة إطعام الضيفان عند البدو، أن يقول قائلهم فلان: "كثير الرماد" أي: مضيف جواد. لأن كثرة الرماد عندهم من كثرة إيقاد النار، وكثرة إيقاد النار من كثرة الطبخ عليها، وكثرة الطبخ تدل على كثرة الضيوف بحسب العادة.⁵⁴⁹

ومن أمثلة الكناية التي استخدمت في مقامات الألوسي قوله متحدثاً في المقامة الثانية عما كان يحاك ضده من مؤامرة: "فشمت من أنفاس بعض القوم جيفة، فأوجست في نفسي لا رضي الله عنهم خيفة".⁵⁵⁰ وهي كناية عما يصدره أولئك القوم من أقوال وطعن فيه، دون أن يمنع من إرادة المعنى الحقيقي.

وكذلك قوله في خامس مقاماته متحدثاً عن إحدى الشخصيات: "فتراه خرب الله تعالى فناه وعجل فناه".⁵⁵¹ فدعاؤه هنا بأن يخرب الله فناه، كناية عن حصول الأذى فيه، أو قد يكون المقصود فناء داره، أي أن يحل الخراب في داره. فالتعبير استخدم في غير معناه الأصلي، مع جواز إرادة المعنى الأصلي.

والأمر ذاته في قوله واصفاً شخصاً آخر في ذات المقامة: "طويل العنق بين الأشباه"،⁵⁵² كناية عن الفخر بين أقرانه، وهو وصف لا يمنع من إرادة المعنى الحقيقي وهو طول الرقبة.

⁵⁴⁶ الألوسي، مقامات ابن الألوسي، 72.

⁵⁴⁷ محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب (بيروت: دار الكتب العلمية، 1987)، 62/2.

⁵⁴⁸ المراغي، علوم البلاغة، 301.

⁵⁴⁹ حبنكة، البلاغة العربية، 48/1.

⁵⁵⁰ الألوسي، مقامات ابن الألوسي، 35.

⁵⁵¹ الألوسي، مقامات ابن الألوسي، 101.

⁵⁵² الألوسي، مقامات ابن الألوسي، 67.



الخاتمة

يُعدُّ الأدب جزءاً أساسياً من هوية الأمم وثقافتها، حيث يعكس تجاربها وأفكارها ومشاعرها، ويسهم في تشكيل وعيها وتعزيز القيم التي تؤمن بها، كما يساعدها في التعبير عن ذاتها، والاحتفاظ بتراثها عبر الأجيال.

وكحال غيره من الآداب الأخرى، مرَّ الأدب العربي بمراحل من النهوض والتألق، وأخرى من التراجع والخفوت، تبعاً للعديد من العوامل، في مقدمتها السياسية والاجتماعية التي مرت بها البلاد العربية، وهو بهذا يكون مشابهاً لمفردة الأدب التي تغيّر مدلولها في اللغة العربية إلى أن استقر على معنى الكلام الجميل الذي يؤثر في عواطف السامعين، على نحو ما هو معروف في صناعاتي الشعر والنثر.

وفي هذا البحث جرى تسليط بعض الضوء على واحدة من مراحل النهضة تلك، والتي كان مسرحها مدينة بغداد، وزمانها هو القرن التاسع عشر الميلادي، ليخرج البحث بالخلاصات الآتية:

أولاً: إن بغداد التي كانت عاصمة الخلافة العباسية، شهدت تراجعاً كبيراً بعد الغزو المغولي، حيث مرت بمرحلة سبات طويلة، عانت المدينة فيها ما عانت من تدهور على مختلف الأصعدة، إلى أن جاء القرن التاسع عشر الميلادي، حيث بدأت المدينة تشهد أسوأ بأحوالها من الحواضر العربية والإسلامية حركة أدبية، كانت نتيجة لتحسن نسبي حدث في واقعها السياسي والاجتماعي.

وقد شهدت بغداد مجموعة من الأحداث السياسية التي ساهمت في إحياء الأدب والفكر، بدءاً من تولي مقاليد الحكم في الدولة العثمانية سلاطين عرفوا بحبهم للأدب وتشجيعهم للثقافة، كالسلطان سليم الثالث والسلطان محمود الثاني، مروراً بولاية الحاكم المملوكي داود باشا الذي شهدت فترة حكمه نهضة علمية وأدبية كبيرة، فقد أسس العديد من المدارس والجوامع، ما ساهم في ازدهار الحركة الأدبية، وصولاً إلى فترة الوالي مدحت باشا الذي أدخل تحسينات في التعليم والخدمات العامة، ما ساعد في انتعاش الحركة الأدبية، وهو ما يدل على أهمية الاستقرار السياسي في تحريك عجلة الإبداع.

ثانياً: العوامل الثقافية التي طرأت على العالم حينذاك، أسهمت في تنشيط الحركة الثقافية، كالطباعة والصحافة والمدارس الحديثة والجمعيات والأسر والمجالس العلمية والأدبية. كما أن التغيرات الاجتماعية والثقافية التي حدثت في المجتمع العراقي أثرت على تطور الحياة فيه، وبالتالي تغير أشكال التعبير الأدبية، ما يؤكد أن الحركة الأدبية في بغداد كانت نتيجة تفاعل معقد بين العوامل السياسية والاجتماعية وتفاعلها مع السياقات التاريخية، وأن هذه العوامل تلعب دوراً محورياً في تشكيل الهوية الثقافية للمجتمع.

ثالثاً: أبرزت هذه النهضة ظهور أسر ومجالس علمية أدبية في بغداد كان لها دور بارز في إحياء الحركة الأدبية، حيث ساهمت في نشر العلم والأدب بين الأجيال. كما كانت المجالس الأدبية، أماكن تجمع

لأهل الفكر والأدب، حيث جرت مناقشات أدبية وعلمية ساهمت في إغناء الحركة الثقافية، وهي بهذا أدت دوراً مهماً في تنشيط حركة الثقافة يوازي ما قامت بها الجمعيات والمجامع الأدبية في بلدان أخرى.

رابعاً: إحدى النتائج الرئيسة لهذه الحركة كانت إعادة إحياء الشعر العربي، الذي مر بمراحل عدة من الضعف في السابق، حيث بدأ الشعراء بالعودة إلى الأساليب التقليدية مع إدخال عناصر جديدة، والتأثر بشعراء العصر العباسي الكبار، مع الحرص على الدقة في التعبير والمتانة اللغوية، والاهتمام بالمعاني واستقامة النظم، بدلاً من الأشكال العقيمة التي سادت في المراحل السابقة ما ساعد على إحياء الأغراض الشعرية التي كانت قد تراجعت.

وتجلى تأثير الحركة الأدبية في العصر الحديث من خلال شعراء مثل محمود سامي البارودي، الذي يُعد مؤسس مدرسة الإحياء والبعث، حيث جمع بين الأصالة والمعاصرة. وساهم البارودي وخلفه جيل من الشعراء في تطوير الشعر العربي من خلال أساليب جديدة ومواضيع مبتكرة، مما أعاد للشعر قوته وجاذبيته.

خامساً: تمثلت الحركة الأدبية أيضاً، بالتغير الذي طرأ على النثر الأدبي، حيث ظهر تحسن كبير في الأساليب والمضامين، هذا بالإضافة إلى الزيادة الكبيرة في أعداد المشتغلين بالأدب. فبدأ النثر يتخلص من الضعف والركاكة التي صاحبتة من قبل، ويتوجه نحو التركيز على المعاني المعبرة دون تكلف أو تزويق. وشهد هذا العصر أيضاً ظهور أسلوب الإنشاء العصري.

سادساً: من تجليات هذه الحركة الأدبية أنها حفلت بأعلام وضعوا بصمتهم فيها، وقادوها نحو شاطئ الأمان. وفي بغداد كان رائد هذه الحركة وحاديها هو العلامة أبو الثناء الألوسي الذي جمع المجد من أطرافه علماً وأدباً ومكانة اجتماعية وثقافية. فكان بحق عنوان بارزاً للنهضة الأدبية، ليس لدوره النشط في رعاية هذه الحركة بشعرائها وكتابها عبر مجلسه وتدريسه فحسب، بل أيضاً عبر مصنفاته الأدبية وحتى العلمية التي لم تخلُ من نفس الأديب.

كما أن تأثير الألوسي الاجتماعي بخطبه ووعظه أثرى الألوسي المجتمع البغدادي، ما جعله شخصية محورية في الحياة الدينية والثقافية في ذلك الوقت، وفي قيادته للإصلاح الاجتماعي من خلال ما كتبه عن عيوب المجتمع وطرق إصلاحها، ما يؤكد تأثيره العميق في المجتمع البغدادي.

سابعاً: من بين تلك المصنفات التي أبرزت مقدرة الألوسي الأدبية هي مقاماته، لا سيّما وأن هذا الفن الذي انفرد به الأدب العربي، يمثل نموذجاً لخصوبة اللغة العربية وثرائها، ويعكس جمال الأدب العربي وقدرته على الإبداع اللغوي، دون إغفال الغاية من الأدب وهي التهذيب وإعطاء الرسائل التي تمثل القيم والمعاني النبيلة وتتناول قضايا إنسانية مختلفة، ما يجعلها مرآة للمجتمع.

وقد أظهرت الدراسة أن فن المقامات تطور بشكل ملحوظ عبر العصور، حيث أدت الظروف السياسية والاجتماعية في العالم الإسلامي إلى ازدهاره. من خلال المقامات، تمكّن الكتّاب من التعبير عن قضايا مجتمعية وثقافية عديدة، ما جعل هذا الفن أداة فعالة للتعليم والترفيه، فضلاً عن دوره الفعال في تعزيز استخدام اللغة العربية وتطوير أساليب النثر.

فالمقامات تُعد من أشهر الفنون الأدبية في التراث العربي، ليس لأن كتّابها يستخدمون أساليب بلاغية متنوعة تُظهر براعتهم اللغوية فحسب، بل لأنها ساهمت في تطوير الكتابة والنثر العربي، كما تحتوي على معارف ثقافية وعلمية، إذ تُستخدم لتناول موضوعات متنوعة بأسلوب ممتع وجذاب، ناهيك عن أنها تمثل جزءاً مهماً من تاريخ الأدب العربي، حيث تُظهر تطور النثر الأدبي عبر العصور، وقد ساهمت في تشكيل الهوية الثقافية للأدب العربي من خلال دمج التعليم والترفيه في قالب أدبي جذاب.

ثامناً: "مقامات ابن الألوسي" تعكس ثراء لغة كتّابها الأدبية وأسلوبه في كتاباته، وإطلاعه الواسع، ما يجعلها نموذجاً لتطور اللغة وواقع المجتمع في تلك الفترة.

ومقامات الألوسي الخمس، تميزت عن المقامات في عصرها الأول مثل مقامات الهمذاني والحريري بعدة جوانب، في الموضوع والأسلوب والمحتوى، حيث تقدم مقامات الألوسي رؤى واقعية عن المجتمع، من خلال تجارب شخصية وأحداث تاريخية، على عكس المقامات القديمة التي كانت أكثر خيالية. كما أنها تظهر دور السرد الأدبي كوسيلة للإصلاح الاجتماعي والفكري في المجتمع.

وتبرز مقامات الألوسي كعمل أدبي يحمل قيمة فكرية وأخلاقية عالية، وتعكس تجربة شخصية غنية، وتتسم بالواقعية والعمق. كما تقدم دروساً في الحياة تتعلق بالعلم والأخلاق والزهد، ما يجعلها ذات أهمية كبيرة في تاريخ الأدب العربي بالقرن التاسع عشر.



المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، مصحف المدينة المنورة للنشر المكتبي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1443 هـ.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن. **المقامات الجوزية في المعاني الوعظية**. تحقيق محمد نعش. بيروت: دار فوزي للطباعة، 1980.
- ابن العبري، أبو الفرج غريغوريوس ابن أهرن بن توما الملطي. **تاريخ مختصر الدول**. تحقيق أنطون صالحاني اليسوعي. بيروت: دار الشرق، الطبعة 3، 1992.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي. **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**. تحقيق خليل شحادة. بيروت: دار الفكر، الطبعة 2، 1988.
- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن. **جمهرة اللغة**. تحقيق رمزي منير بعلبكي. بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة 1، 1987.
- ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم الأندلسي. **العقد الفريد**. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة 1، 1404.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد. **معجم مقاييس اللغة**. تحقيق عبد السلام محمد هارون. دمشق: دار الفكر، الطبعة 1، 1979.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري. **عيون الأخبار**. بيروت: دار الكتب العلمية، 1418.
- ابن قيم الجوزية، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب. **طريق الهجرتين وباب السعادتين**. تحقيق محمد أجمل الإصلاحي. بيروت: دار ابن حزم، الطبعة 4، 2019.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي. **البداية والنهاية**. تحقيق علي شيري. بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة 1، 1988.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي. **لسان العرب**. بيروت: دار صادر، الطبعة 3، 1414.

- الآلوسي، أبو الثناء، شهاب الدين محمود بن عبد الله. الأجوبة العراقية على الأسئلة اللاهوتية. تحقيق عبد الله بن بو شعيب البخاري. الرياض: دار ابن القيم ودار ابن عفا، 2007.
- الآلوسي، أبو الثناء، شهاب الدين محمود بن عبد الله. الخريدة الغيبية في شرح القصيدة العينية. د.م: د.ن، د.ت.
- الآلوسي، أبو الثناء، شهاب الدين محمود بن عبد الله. الطراز المذهب في شرح قصيدة الباز الأشهب. عمان: وقفية الأمين غازي للفكر القرآني، د.ت.
- الآلوسي، أبو الثناء، شهاب الدين محمود بن عبد الله. الفيض الوارد على مرثية مولانا خالد. د.م: د.ن، د.ت.
- الآلوسي، أبو الثناء، شهاب الدين محمود بن عبد الله. حاشية شرح القطر في علم النحو. فؤاد صالح. تركيا: مكتبة نور الصباح، 2011.
- الآلوسي، أبو الثناء، شهاب الدين محمود بن عبد الله. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. تحقيق علي عبد الباري عطية. بيروت: دار الكتب العلمية، 1415.
- الآلوسي، أبو الثناء، شهاب الدين محمود بن عبد الله. غرائب الاغتراب ونزهة الألباب في الذهاب والإقامة والإياب. بغداد: مطبعة الشابندر، 1327.
- الآلوسي، أبو الثناء، شهاب الدين محمود بن عبد الله. كشف الطرة عن الغرة. د.م: د.ن، د.ت.
- الآلوسي، أبو الثناء، شهاب الدين محمود بن عبد الله. مقامات ابن الآلوسي. مطبعة كربلاء الحجرية، 1857.
- الآلوسي، أبو الثناء، شهاب الدين محمود بن عبد الله. نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول. د.م: د.ن، د.ت.
- الآلوسي، أبو الثناء، شهاب الدين محمود بن عبد الله. نشوة المدام في العودة إلى مدينة السلام. د.م: د.ن، د.ت.
- الآلوسي، جمال الدين. بغداد في الشعر العربي. بغداد: المجمع العلمي العراقي، 1987.
- الآلوسي، علي علاء الدين. الدر المنتثر في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر. تحقيق جمال الدين الآلوسي، عبد الله الجبوري. د.م: الدار العمرية، 2005.

- الآلوسي، محمود شكري. **المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر**. تحقيق عبد الله الجبوري. الرياض: دار العلوم، 1982.
- الأثري، محمد بهجة. **أعلام العراق**. القاهرة: المطبعة السلفية، 1345.
- الأخرس، عبد الغفار بن عبد الواحد الموصلي البغدادي. **ديوان الآخرس**. تحقيق وليد الأعظمي. الكويت: مؤسسة البابطين، الطبعة 2، 2008.
- الأزهري، أبو منصور، محمد بن أحمد الهروي. **تهذيب اللغة**. تحقيق محمد عوض مرعب. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2001.
- الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع. **الأصمعيات**. تحقيق أحمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون. القاهرة: دار المعارف، الطبعة 7، 1993.
- الأعظمي، عليّ ظريف. **مختصر تاريخ بغداد القديم والحديث**. بغداد: مطبعة الفرات، 1926.
- البارودي، محمود سامي. **الديوان**. تحقيق علي الجارم، محمد شفيق معروف. بيروت: دار العودة، 1998.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. **الجامع الصحيح**. تحقيق د. مصطفى ديب البغا. دمشق: دار ابن كثير ودار اليمامة، الطبعة 5، 1993.
- البصري، عثمان بن محمد بن أحمد بن سند. **مطالع السعود بأخبار الوالي داود، اختصره أمين الحلواني**. تحقيق محب الدين الخطيب. القاهرة: المطبعة السلفية، 1389.
- البصير، محمد مهدي. **نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر**. بغداد: مطبعة المعارف، 1946.
- البيطار، عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم الميداني الدمشقي. **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر**. تحقيق محمد بهجة البيطار. بيروت: دار صادر، الطبعة 2، 1993.
- البيومي، محمد رجب. **النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين**. دمشق: دار القلم والدار الشامية، 1995.
- الترك، نقولا بن يوسف الإسطمبولي. **مذكرات نقولا الترك**. تحقيق جاستون فيبيت. القاهرة: مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، 1950.

- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف. التعريفات. ضبطه وصححه جماعة من العلماء. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة 1، 1983.
- الجنابي، حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق. البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبدع. القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، 2006.
- الجندي، أنور. العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي. بيروت: دار الكتاب اللبناني ومطبعة المدرسة، الطبعة 2، 1983.
- الجيوسي، سلمى الخضراء. الاتجاهات والحركات الأدبية في الشعر الحديث. ترجمة عبد الواحد لؤلؤة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة 2، 2007.
- الحري، أبو محمد القاسم بن علي. مقامات الحريري. بيروت: مطبعة المعارف، 1873.
- الحصري القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري. زهر الآداب وثمر الألباب. بيروت: دار الجيل، 1431.
- الحمداني، سالم - أحمد، فائق مصطفى. الأدب العربي الحديث دراسة في شعره ونثره. طهران: دار زين العابدين، 2014.
- الخازن، ولیم. تباشیر النهضة الأدبية. بيروت: دار العلم للملايين، 1993.
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي. تاريخ بغداد. تحقيق الدكتور بشار عواد معروف. بيروت: دار الغرب الإسلامي، الطبعة 1، 2002.
- الخطيب الموصلی، یاسین خیر الله العمري. غایة المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام. بغداد: منشورات دار البصري، 1968.
- الخفاجي، شهاب الدين شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي. شفاء الغليل فيما في كلام العرب من دخیل. تحقيق محمد كشّاش. بيروت: دار الكتب العلمية، 1988.
- الدروبي، إبراهيم. البغداديون أخبارهم ومجالسهم. بغداد: مطبعة الرابطة، 1958.
- الدسوقي، عمر. في الأدب الحديث. القاهرة: دار الفكر العربي، 2000.
- الدسوقي، عمر. نشأة النثر الحديث وتطوره. القاهرة: دار الفكر العربي، 2007.
- الذهبي، محمد السيد حسين. التفسير والمفسرون. القاهرة: مكتبة وهبة، 1976.

- الرازي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي. مختار الصحاح. ترجمة يوسف الشيخ محمد. بيروت: المكتبة العصرية والدار النموذجية، الطبعة 5، 1999.
- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين. مفاتيح الغيب. بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة 3، 1420.
- الراوي، محمد سعيد. تاريخ الأسر العلمية في بغداد. تحقيق عماد عبد السلام رؤوف. بغداد: دار الشؤون الثقافية، 1997.
- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني. تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق مجموعة من المحققين. القاهرة: دار الهداية، د.ت.
- الزمخشري، محمود بن عمر بن محمد بن أحمد. أساس البلاغة. تحقيق محمد باسل عيون السود. بيروت: دار الكتب العلمية، 1998.
- الزمخشري، محمود بن عمر بن محمد بن أحمد. المستقصى في أمثال العرب. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة 2، 1987.
- الزيات، أحمد حسن. دفاع عن البلاغة. القاهرة: عالم الكتب، الطبعة 2، 1967.
- الزيات، أحمد حسن. مجلة الرسالة. القاهرة: دار الرسالة، د.ت.
- السامرائي، إبراهيم. السيد محمود شكري الألوسي وبلوغ الأرب. دم: المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع، 1992.
- السهروردي، عبد الرحمن حلمي العباسي. تاريخ بيوتات بغداد في القرن الثالث عشر للهجرة. بغداد: الجواد للطباعة والنشر، 1996.
- الشافعي، محمد بن إدريس. الجواهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس. تحقيق محمد إبراهيم سليم. القاهرة: مكتبة ابن سينا، د.ت.
- الشعراء الهذليون. ديوان الهذليين. تحقيق محمد محمود الشنقيطي. القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، 1965.
- الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق محمود محمد شاكر. مكة المكرمة: دار التربية والتراث، د.ت.

العزاوي، عباس. "النثر الأدبي ومصادره في العهد العثماني". مجلة المجمع العلمي العراقي 9 (1961).

العزاوي، عباس. تاريخ الأدب العربي في العراق. بغداد: المجمع العلمي العراقي، 1962.

العزاوي، عباس. ذكرى أبي النشاء الألويسي. بغداد: المجمع العلمي العراقي، 1958.

العزاوي، عباس. موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين. بغداد: الدار العربية للموسوعات، 2004.

العمرى، سعاد هادي. بغداد كما وصفها السواح الأجانب في القرون الخمسة الأخيرة. بغداد: دار المعرفة، 1954.

العمرى، عبد الباقي. الترياق الفاروقي. النجف: دار النعمان، الطبعة 2، 1964.

الفاخوري، حنا. الجامع في تاريخ الأدب العربي. بيروت: دار الجيل، 1968.

الفاخوري، حنا. تاريخ الأدب العربي. بيروت: المطبعة البولسية، 1953.

الفاروقي، أحمد عزت باشا. العقود الجوهريّة في مدائح الحضرة الرفاعية. مصر: مطبعة محمد أفندي مصطفى، 1309.

الفرايدي، أبو عبد الرحمن، خليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري. كتاب العين. تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي. الرياض: دار ومكتبة الهلال، 1431.

القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر. الإيضاح في علوم البلاغة. تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي. بيروت: دار الجيل، الطبعة 3، د.ت.

القلقشندي، أحمد بن علي الفزاري ثم القاهري. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء. تحقيق محمد حسين شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة 1، 1987.

الكرخي، حسين حاتم. مجالس الأدب في بغداد. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2003.

اللّبابيدي، أحمد بن مصطفى الدمشقي. اللطائف في اللغة، معجم أسماء الأشياء. القاهرة: دار الفضيلة، د.ت.

المراغي، أحمد مصطفى. علوم البلاغة. بيروت: دار الكتب العلمية، 1993.

المستعصمي، محمد بن أيدير. **الدر الفريد وبيت القصيد**. تحقيق كامل سلمان الجبوري. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة 1، 2015.

المقدسي، أنيس خوري. **الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث**. بيروت: الجامعة الأمريكية، 1952.

المكتبة الشاملة. **تراجم شعراء الموسوعة الشعرية**. دم: دن، د.ت.

الملك المؤيد، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، صاحب حماة. **المختصر في أخبار البشر**. تحقيق محمد زينهم محمد عزب، يحيى سيد حسين. مصر: المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة 1، د.ت.

النجار، جميل موسى. **الإدارة العثمانية في ولاية بغداد**. القاهرة: مكتبة مدبولي، 1991.

الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى. **جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب**. بيروت: مؤسسة المعارف، 1431.

الهاللي، عبد الرزاق. **تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني**. القاهرة: وزارة المعارف المصرية، 1959.

الوائلي، إبراهيم. **الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر**. بغداد: مطبعة المعارف، 1978.

الوائلي، إبراهيم. **لغة الشعر العراقي في القرن التاسع عشر**. بغداد: مطبعة الإرشاد، 1965.

الواعظ، مصطفى نور الدين. **الروض الأزهر في تراجم آل السيد جعفر**. تحقيق إبراهيم الواعظ. الموصل: مطبعة الاتحاد، 1948.

الوردي، علي. **لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث**. بغداد: مطبعة الإرشاد، 1971.

اليسوعي، لويس شيخو. **تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين**. بيروت: دار المشرق، الطبعة 3، 1991.

امرؤ القيس. **ديوان امرئ القيس**. تحقيق عبد الرحمن المصطاوي. بيروت: دار المعرفة، الطبعة 2، 2004.

بديع الزمان الهمذاني، أبو الفضل، أحمد بن الحسين بن يحيى. **مقامات بديع الزمان الهمذاني**. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة: المكتبة الأزهرية، 1923.

- بصري، مير. أعلام الأدب في العراق الحديث. د.م: دار الحكمة، 1995.
- بولوط، علي. البلاغة الميسرة: المعاني- البيان- البديع. إسطنبول: جامعة مرمره، الطبعة 25، 2023.
- جرير بن عطية الكلبي التميمي. ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب. تحقيق نعمان محمد أمين طه. القاهرة: دار المعارف، الطبعة 3، 1440.
- حاجي زادة، مهين. المقامة في الأدب العربي والآداب العالمية. أذربيجان: مجلة اللغة العربية وآدابها، 2004.
- حبكة، عبد الرحمن بن حسن. البلاغة العربية. دمشق: دار القلم والدار الشامية، الطبعة 1، 1996.
- حبيب، كاظم. لمحات من عراق القرن العشرين. أربيل - العراق: دار آراس للطباعة والنشر، 2013.
- حسن، محمد رشدي. أثر المقامة في نشأة القصة المصرية الحديثة. القاهرة: المكتبة العربية، 1974.
- دُوزي، رينهارت بيتر آن. تكملة المعاجم العربية. ترجمة محمد سليم النعيمي، جمال الخياط. العراق: وزارة الثقافة والإعلام، الطبعة 1، 1979.
- رفائيل بطي. الصحافة في العراق. القاهرة: معهد الدراسات العربية العالية، 1955.
- زهير بن أبي سلمى. الديوان. تحقيق علي حسن فاعور. بيروت: دار الكتب العلمية، 1988.
- زيدان، جرجي. تاريخ آداب اللغة العربية. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012.
- سليم، محمود رزق. الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث. د.م: دار الكتاب العربي، 1957.
- شمس الدين الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق الدكتور بشار عواد معروف. بيروت: دار الغرب الإسلامي، الطبعة 1، 2003.
- شيخو، رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب. تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والرابع الأول من القرن العشرين. بيروت: دار المشرق، الطبعة 3، د.ت.

صابان، سهيل. المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 2000.

ضيف، شوقي. المقامة. القاهرة: دار المعارف، الطبعة 3، 1973.

ضيف، شوقي. تاريخ الأدب العربي. القاهرة: دار المعارف، الطبعة 1، 1960.

عباس، حسن. نشأة المقامة في الأدب العربي. القاهرة: دار المعارف، د.ت.

عبد الحميد، محسن. الآلوسي مفسراً. بغداد: مطبعة المعارف، 1968.

عبود، مارون. بديع الزمان الهمذاني. القاهرة: كلمات للترجمة والنشر، 2013.

عز الدين، يوسف. "بواكير الحركة الأدبية في العراق وبداية الوعي". مجلة المجمع العلمي العراقي 32. (1961).

عز الدين، يوسف. داود باشا ونهاية المماليك في العراق. بغداد: دار البصري، 1967.

عز الدين، يوسف. في الأدب العربي الحديث. بغداد: دار البصري، 1967.

علوان، علي عباس. تطور الشعر العربي الحديث في العراق. بغداد: وزارة الإعلام العراقية، د.ت.

علوش، لبنى. بغداد في الشعر العربي. فلسطين: جامعة حيفا، وظيفة سيمينار، 2011.

عمر، أحمد مختار عبد الحميد. معجم اللغة العربية المعاصرة. القاهرة: عالم الكتب، الطبعة 1، 2008.

عوض، يوسف نور. فن المقامات بين المشرق والمغرب. بيروت: دار القلم، 1979.

فروخ، عمر. الرسائل والمقامات. بيروت: مكتبة ميمنة، الطبعة 2، 1950.

قاسم، محمد أحمد - ديب، محيي الدين. علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني». طرابلس - لبنان: المؤسسة الحديثة للكتاب، الطبعة 1، 2003.

كونستانس، ألكسندر. بغداد في الأيام الخوالي. ترجمة سيد أحمد الحكيم. الإمارات العربية المتحدة: المجمع الثقافي، الطبعة 1، 2001.

م.ت. هوتسما - ت.و. أرنولد - ر. باسيت - ر. هارتمان. موجز دائرة المعارف الإسلامية. تحقيق نخبة من أساتذة الجامعات المصرية والعربية. الشارقة: مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1998.

مرتاض، عبد المالك. **فن المقامات في الأدب العربي**. تونس: الدار التونسية للنشر، الطبعة 2، 1988.

مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. **صحيح مسلم**. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1955.

موافي، عثمان. **في نظرية للأدب من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي الحديث**. دم: دار المعرفة الجامعية، الطبعة 2، 1994.

موسى باشا، عمر. **تاريخ الأدب العربي العصر العثماني**. بيروت: دار الفكر المعاصر، 1989.

ميدان، أيمن وآخرون. **الأدب العربي الحديث**. المملكة العربية السعودية: شبكة الألوكة، 2017.

نخبة من الباحثين العراقيين. **حضارة العراق**. بيروت: دار الجميل، 1985.

نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة. **المعجم الوسيط**. القاهرة: مجمع اللغة العربية، الطبعة 2، 1972.

نوار، عبد العزيز سليمان. **تاريخ العراق الحديث**. القاهرة: دار الكتاب العربي، 1968.

ياغي، إسماعيل أحمد. **العالم العربي في التاريخ الحديث**. الرياض: مكتبة العبيكان، 1997.

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي. **معجم البلدان**. بيروت: دار صادر، الطبعة 2، 1995.

يونس، مي حسن أحمد. **سمات أسلوبية في مقامات ناصيف اليازجي: دراسة تحليلية**. غزة: الجامعة الإسلامية، رسالة ماجستير، 2015.

Pakalın, Mehmet Zeki. **Osmanlı Tarih Deyimleri ve Terimleri Sözlüğü**. İSTANBUL: MİLLÎ EĞİTİM BAKANLIĞI YAYINLARI, 1993.

السيرة الذاتية

حصل الباحث على بكالوريوس في الأدب الفرنسي من كلية اللغات بجامعة بغداد عام 2003م. وفي عام 2016م حصل على البكالوريوس من قسم أصول الدين في كلية العلوم الإسلامية بجامعة بغداد، وفي 2018م حصل على الماجستير في الفكر الإسلامي من نفس الكلية، عن رسالته الموسومة: (الإلحاد المعاصر وأساليب التعامل معه في ضوء الفكر الإسلامي). يعمل في مجال الصحافة منذ عام 2006، في عدد من وسائل الإعلام.

ÖZGEÇMİŞ

2003 yılında Bağdat Üniversitesi Dil Fakültesi'nden Fransız Dili bölümünden lisans diploması almıştır. 2016 yılında Bağdat Üniversitesi İslam Bilimleri Fakültesi'nden Din Bilgisi bölümünden lisans diploması almış, 2018 yılında aynı fakülteden İslam düşüncesi alanında yüksek lisans yapmış ve "Modern Ateizm ve İslam Düşüncesine Göre Onunla Başa Çıkma Yöntemleri" başlıklı tezini sunmuştur. 2006 yılından beri çeşitli medya kuruluşlarında gazetecilik yapmaktadır.



**T.C.
YALOVA ÜNİVERSİTESİ
LİSANSÜSTÜ EĞİTİM ENSTİTÜSÜ**

**TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ BİLİM DALI**

**ON DOKUZUNCU YÜZYILDA BAĞDAT'TA EDEBÎ BİR HAREKET
MAKÂMAT AL-ÂLÛSÎ ÖRNEĞİ**

DOKTORA TEZİ

ADNAN KHALAF MUTTLAG MUTTLAG

DANIŞMAN: DR. ÖĞR. ÜYESİ ŞULE AĞAÇ

**YALOVA
OCAK 2025**